أصول

الدعوة الإسلامية

تأليف

أ.د/ أحمد أحمد غلوش

عميد كلية الدعوة الإسلامية الأسبق

جامعة الأزهر

مؤسسة الرسالة

ناشرون



أصول الدعوة الإسلامية

الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ = ٢٠٠٤ م

رقم الإيداع ٥٥٥٣ /٢٠٠٤

الشركة الدولية للطباعة

المنطقة الصناعية الثانية - قطعة ١٣٩ - شارع ٣٩ - مدينة ٦ أكتوبر
☎ : ٨٣٣٨٢٤٠ - ٨٣٣٨٢٤٢ - ٨٣٣٨٢٤٤
e-mail: pic@6oct.ie-eg.com

بسم الله الرحمن الرحيم





المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،

فمنذ أن نزل الوحي على رسول الله ﷺ بالإسلام، والدعوة إليه أمر لازم وواجب ضروري، قياماً بالمسئولية، وأداء للأمانة، ونشراً لدين الله بين الناس أجمعين

وقد قام رسول الله ﷺ بهذا الواجب ، وعلم أصحابه ﷺ القيام به ، وتركوا لمن بعدهم رصيداً هائلاً ، يستفيدون به في مجال الدعوة إلى الله تعالى .

وقد نهض السلف الصالح بهذا الواجب ، فدعوا إلى الإسلام ، وبلغوه للعالم كله ، متحملين الكثير من أجل أمانة الدعوة إلى الله تعالى ، والوصول بالإسلام إلى كل مكان فى الوجود .

لقد اتخذ المسلمون الأول القرآن الكريم، والسنة النبوية سنداً لهم، واستفادوا بجهود سلفهم الصالح ، وتتبعوا تجاربهم العملية، وهم يبلغون دين الله تعالى للناس، وكانوا ﷺ صورة كاملة للإسلام ، يحيطون به علماً ، ويطبقونه عملاً ، وينشرونه بلاغاً وإرشاداً ، ولم يكتفوا بواجب محدد مع القرآن الكريم ، أو مع السنة الشريفة ، كأن يفسروا ، أو يستخرجوا حكماً عقدياً ، أو فقهياً ، أو تنظيمياً، أو يعملوا وفقط ، وإنما استشعروا ﷺ المسئولية بتمامها ، فكان كل واحد منهم دائرة للمعارف الإسلامية تجده مفسراً ، ومحدثاً ، وفقيهاً ، وأديباً ، ومجاهداً ، وداعياً إلى الله بإذنه ، وسراجاً منيراً ، وتلقاه فى سائر المجالات عاملاً

بعلمه ، متمسكاً بالحق والرشاد ، ملتزماً بكل ما أمر الله به إصلاحاً لنفسه ، ولأهله ، وللناس أجمعين .

ومن هنا بقيت آثارهم جامعة وبارك الله فى كل ما تركوه ، من علوم نافعة، وأعمال مضيئة ، وأخلاق عالية كريمة .

إن من يرجع إلى تاريخ سلف الأمة الإسلامية يرى حياة مليئة بالحيوية ، والقوة ، والعظمة .. تعد مرجعاً للخلف ، ومصدراً من مصادر الهدى ، الرشاد ، فى كل مجال ، ومع سائر الفنون .

و لم تدم هذه الصورة الجامعة فى شخصية عالم واحد ، وبخاصة بعد أن تعددت العلوم ، وتنوعت الفنون ، وأصبح العلم الواحد عدداً ، وانقسم التخصص الواحد إلى تخصصات فرعية عديدة .

لقد حتم التوسع الحضارى ، والتقدم العمرانى ، والتعمق العلمى إلى ضرورة أن يتخصص العلماء ليسير كل فريق مع وجهته ، ولتتعمق كل طائفة فيما اختارت من فروع العلم ، وجزئياته .

وللمسلمين فى التخصص العلمى دليل من القرآن الكريم ، ومن السنة النبوية ، حيث يقول الله تعالى ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [١]

فقد أفادت الآية أنه لا يصح أن يتجه المسلمون جميعاً لعمل واحد ، ويتركوا ما عداه ، ولو كان هو الجهاد ، لأنهم بحاجة إلى كافة الأعمال التى يحتاجون إليها فى مسيرة الحياة .

وتشير الآية إلى ضـــرورة تفرغ طائفة من المسلمين للتفقه فى الدين ، وتفهـــم

---

(١) سورة التوبة الآية ١٢٢ .

تعاليم الإسلام ، ســـواء بقوا فى المدينة ، أو خرجوا مع المجاهدين ، ليقوموا بدعوة غيرهم إلى الله تعالى حينما يلتقون بهم ، ونشر تعاليم الله بين الناس

ومن أقواله ﷺ الدالة على التخصص: **أقضاكم على .**

ويقول ﷺ : **أعلمكم بالفرائض زيد .**

ويقول ﷺ : **أقرؤكم للقرآن أبى .**

وخالد هو سيف الله المسلول ..... وهكذا .

لقد أصبح التخصص ضرورة علمية ، وضرورة حياتية لابد منها .

أما كونه **ضرورة علمية** فلحاجة العلوم إلى التعمق والتحليل ، والمقارنة ... وأما أنه **ضرورة حياتية** فلأن حياة الناس ملئت بالحركة ، وانشغل الناس بالدنيا و لم يعد مقبولاً أن يقدم لهم كل شئ فى وقت واحد ، وإنما المقبول أن يقدم لهم ما يحتاجون إليه بصورة موجزة ، وواضحة ، فى وقته الملائم ، وظروفه المناسبة .

إن على المؤمنين أن يوزعوا أنفسهم على الأنشطة الاجتماعية المختلفة ، فبعضهم يخرج للجهاد ، والقتال ، والبعض الآخر يخرج للتعليم ، وبعضهم يقوم على الإنذار والبلاغ ، وبعض آخر يشرف على القاعدين والضعفاء ، والباقون يقومون بالتجارة والعمل .

بل إن على الفرقة الواحدة أن توزع أفرادها على أعمال مختلفة فى إطار عمل الفرقة كلها ، فالمجاهدون – مثلاً – بعضهم يرمى ، وبعضهم يوزع الأسلحة ، وبعضهم يداوى وبعضهم يطعم ، ويسقى ، وهكذا ، وكان رسول الله ﷺ يكلف بعض أصحابه بالقضاء ، وبعضهم بحمل الرسائل والكتب ، وبعضهم بقيادة الجيش ، وبعضهم بتولى أمر المدينة أثناء الغزوات ، وذلك نوع من مراعاة الاستعداد والتخصص .

لقد حتمت هذه الضرورة أن تظهر علوم للدعوة ، خاصة بها .

فبعد أن كانت الدعوة تقدم فى إطار علوم الإسلام ، مثل التفسير، والحديث والفقه .. والعقيدة صارت علماً مستقلاً بموضوعها ، وخصائصها ، وهدفها .

واجتهد علماء الدعوة فى تأصيل تخصصهم، وإبرازه فى أطر علمية، واضحة ، حتى أصبحت أبحاث الدعوة علوماً متعددة ، تتمايز عن بعضها، وصار لكل منها موضوعه ، ومنهجه ، وغايته .

وتناولت علوم الدعوة الجانب التطبيقى مع الناحية النظرية ، لشدة صلتها بالناس ، ولأهميتها فى إيصال المعارف الإسلامية إلى العقول، والقلوب ، وتحويلها فى حياة الناس إلى عمل ، وسلوك .

إن أهمية العلوم تكمن فى موضوعها ، ووسيلتها ، وهدفها ، وعلوم الدعوة تشرف بكل هذا ، لأن موضوعها هو الإسلام بكماله ، وتمامه ، وهدفها نشر المصلحة ، وإسعاد الناس بالإسلام ، ووسيلتها التوجه إلى الناس بما يناسبهم من حكمه ، وموعظة ، وحوار على نحو ما قام به رسول الله ﷺ .

ولعل فى تتبع الدعاة لخطى رسول الله ﷺ فى البلاغ ، والإرشاد خير شاهد على شرف علوم الدعوة ، وعلو هامتها ... وصدق الله تعالى وهو يقول ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ** ﴿٣٣﴾ ﴾ [1] .

إن الدعوة إلى الله تعالى تعتمد على سائر العلوم الإسلامية ، وتتحرك بها ، وتحولها فى الناس، حياة للقلوب، وعملاً فى الجوارح، وخلقاً مع السلوك، ولذلك كانت كافة العلوم الإسلامية إعداداً عاماً للدعاة ، يحتاجون بعده إلى علوم الدعوة التخصصية لتعينهم على النجاح ، وتمكنهم من إيصال هذه العلوم للناس

إن **منهج الدعوة** يعد إطاراً يحدد كافة أركان الدعوة ، وبخاصة بعدما صار كل ركن منها علماً مستقلاً ، يقوم على دراسات عديدة ، تحتاج إليها أركـــان

---

(١) سورة فصلت الآية ٣٣ .

الدعوة ويمكن إجمال أركان الدعوة ، والإشارة إليها فى نقاط هى :

أ) **مضمون فكرى هو الإسلام** بما حوى من عقيدة ، وشريعة ، وأخلاق وهو الذى يعرف **بأصول الدعوة** .

ب) **أسلوب يحتوى على الفكرة** ، ويتحرك بها ، ويوصلها لمن يستقبلها من الناس ، وقد يكون الأسلوب قولاً ، أو عملاً ، أو حالة معبرة ، أو غير ذلك ، وهو الذى يعرف **بأساليب الدعوة** .

ج) **أدوات تحمل الأسلوب بمضمونه** ، ومحتواه ، وهى المعروفة **بوسائل الدعوة**

د) **شخصية عاقلة، عالمة،** تفهم الفكرة المذكورة ، وتصوغها فى صورة حسنة لتصل بها إلى المدعوين ، رجاء إيمانهم ، وهدايتهم ، وهذه الشخصية **هى الدعاة** .

هـ) **أناس يتوجه إليهم الدعاة بالفكرة** ، واضحة ، مقنعة ، بأسلوب مناسب ، وأدوات ملائمة ، رجاء تحقيق ما تريده الدعوة منهم ، **وهم المدعوون**

إن هذه الجوانب علوم للدعوة إلى الله ، ويجب أن يهتم العلماء بها ، بوضع القواعد وإعداد الدراسات التى يحتاجها كل علم منها .

ومنهج الدعوة هو الخطة الكلية ، والنظام العام الذى يحدد الإطار لكل هذه الجوانب ، ولكل هذه العلوم لتترابط وتتكامل .

إن منهج الدعوة بصورة عامة هو النظام الذى يجمع كافة جزئيات عملية الدعوة، وينسق بينها، لتتكامل ، وتحقق للدعوة ما يراد منها ، على وجه صحيح

إن الدعوة فى أمس الحاجة لمعرفة نظريات الاتصال الحديثة ، وكافة الدراسات المتصلة بالنفس والجماعة ، ومختلف الأديان والمذاهب ، لتتم معرفة الإسلام بوعى ، ويتحقق النجاح بأمان ، ويعيش الناس دينهم علماً ، وعملاً.

إن هذه الدراسات قد تقدم لغير المتخصصين فى الدعوة ، لكنها تقدم لهم بلون آخر يتفق مع تخصصهم ، وحاجتهم من دين الله تعالى .

إن هذه الدراسات تقدم لغير الدعاة بعيدة عن التحليل الفلسفى ، وخالية

من المقارنات الفكرية ، وبلا تركيز على الجدل والحوار ، لأن الدعاة يحتاجون إلى التعمق ، ومعرفة العلوم الحديثة مع تأصيلها بمصادر الإسـلام ، بالقـدر الذى يمكنهم من مخاطبة الجماهير العريضة ، ورد الشبه التى تثار بين الحين والحين ولذلك كانت حاجتهم إلى التعمق ، والتحليل ، وربط علوم العصر بعلوم الدعوة لأن العصر هو مجال عملهم ، وفيه ، ومعه يكون نجاحهم .

إن صراع اليوم أساسه الفكرة ، وعلى المسلمين أن يعدوا الدعاة مسلحين بالعلم الذى يمكنهم من الانتصار لدينهم ، وسط هذا الصراع الرهيب .

وهذه الدراسة عن أصول الدعوة أقدمها فى الإطار الذى أتصوره للدعاة وهو ربط الحديث فى أى قضية بدليلها من القرآن الكريم ، والسنة النبوية كلما أمكن ، مع بيان اتحاد الأصول فى الأديان جميعاً ، ونسخ الأديان بمجئ الإسلام دين الله الخاتم الذى بعث به محمد ﷺ .

وأملى أن يستفيد الدعاة من هذه الدراسة ، ويعلموا أن الغاية من ورائها أن تظهر فى حركتهم ، وأثناء عملهم مع الناس .

والأمل كله فى الله تعالى الذى أسأله التوفيق ، والسداد ، وأرجوه وأن يبارك فيما أملت فيه ... وأن يجعل قصدى خالصاً له سبحانه وتعالى ، وأن يكون سعيى فى الدنيا نوراً بين يدي فى الآخرة ، فى يوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وعلى الله قصد السبيل ، إنه نعم المولى ونعم النصير ،

المؤلف

أ.د/ أحمد أحمد غلوش

مدينة نصر فى ١/١/ ١٤٢٥هـ

٢١/٢/ ٢٠٠٤م



ـ الفصل الأول ـ

تحديد المفاهيم

ويتكون من :ـ

التمهيد .

المبحث الأول :

التعريف اللغوى للدعوة .

المبحث الثانى :

التعريف الاصطلاحى للدعوة الإسلامية :ـ

- بمعنى الدين
- بمعنى التبليغ

المبحث الثالث :

المفهوم المراد من كلمة أصل .

المبحث الرابع :

التعريف الإصطلاحى لأصول الدعوة الإسلامية :ـ

- بمعنى الدين
- بمعنى التبليغ

تمهيد

ينطلق العلم دائماً من تصور ثابت ، وينمو على أسس لابد من البدء بها .. وقد درج العلماء على هذه القاعدة فى كافة العلوم حيث تجدهم يبدأون دراستهم ببيـــان المفهوم العام للعلم ، مع تحديد موضوعه ، وبيان هدفه ، ليقفوا مع الدارس على الغاية من الدراسة ، وأهميتها ، وخصائصها .

ولعل علوم الدعوة أكثر العلوم حاجة لهذا التحديد لجدتها ، وشدة صلتها بغيرها من العلوم ، وضرورة تميزها حتى لا تختلط بغيرها ، وحتى لا يتوه معـــنى التخصـــص حينما يغيب هذا التحديد .

إن أصول الدعوة الإسلامية ، مفهوم مركب من ثلاث كلمات ، لكـــل منـــها معنى خاص بها ، وثلاثتها يتعاون فى إعطاء معنى لعلم " أصول الدعوة الإسلامية" ومن أجل تحديد المفهوم الاصطلاحى لـــ " أصول الدعوة الإسلامية " ســـأبين بـــإذن الله تعالى تعريف الدعوة ، والأصل ، والإسلام ، لأنتهى بعد ذلك إلى تعريف للمركـــب من الكلمات الثلاث ، وهو علم " أصول الدعوة الإسلامية " ولذلك ســـيأتى هـــذا الفصل مكوناً من المباحث التالية :-

المبحث الأول :

التعريف اللغوى للدعوة

المبحث الثانى :

التعريف الاصطلاحى للدعوة بمعنى الدين .

المبحث الثالث :

التعريف الاصطلاحى للدعوة بمعنى التبليغ .

المبحث الرابع :

المفهوم المراد من كلمة " أصل "

المبحث الخامس :

تحديد المفهوم الاصطلاحى لعلم " أصول الدعوة الإسلامية "

- المبحث الأول -
التعريف اللغوى للدعوة

للدعوة معان عديدة فى لغة العرب ، وقد ذكرها العلماء تمهيداً لبيان معنى الدعوة ، وأصولها ، ومنهجها ، وهكذا .... وذلك لأن المعانى اللغوية أساس تقوم عليه المفاهيم الاصطلاحية ، ومن هنا سأورد بمشيئة الله تعالى أهم المعانى اللغوية لكلمة الدعوة لنتمكن من تعريف الدعوة اصطلاحاً ، ونقف بعد ذلك على معنى ما يتصل بالدعوة من معارف ، وعلوم ، ومنها أصول الدعوة .

جاء فى معجم مقاييس اللغة : أن الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد .

ومعناه أن تميل الشئ إليك بصوت ، وكلام يكون منك ، أو بغير ذلك ، تقول دعوت أدعو دعاء ، قمت بمحاولة الإمالة .

والدَّعوة إلى الطعام تكون بالفتح ، والدِّعوة إلى النسب بالكسر ، ومنه داعية اللبن ، وهو ما يترك فى الضرع ليطلب ما بعده ، ومنه تداعت الحيطان إذا سقط واحد ، وآخر بعده ، فكأن الأول يدعو الثانى .

ودواعى الدهر صروفه ، لأنها تأتى متعاقبة ، وكأن الأول يدعو الثانى فيميله وهكذا [١] .

وجاء فى المصباح المنير: دعوت الله أدعو دعاء ، ابتهلت إليه بالسؤال، ورغبت فيما عنده من الخير ، ودعوت زيداً ناديته وطلبت إقباله ، ودعا المؤذن الناس إلى الصلاة فهو داعى الله ، والجمع دعاة وداعون ، والنبى داعى الخلق إلى التوحيد [٢] .

وجاء فى أساس البلاغة : ودعوت فلانا ناديته ، والنبى داعى الله ، وهم دعاة الحق ، ودعاة الباطل ، ودعاة الضلال [٣].

---

(١) معجم مقاييس اللغة ، مادة "دعا" جـ٢ صـ٢٣٩

(٢) المصباح المنير ، مادة "دعا" .

(٣) أساس البلاغة ، مادة " دعا "

ويفهم مما ذكر أن الدعوة تعنى فى اللغة إمالة شئ لشئ ، وربطه به ، مادياً كان الربط أو معنوياً ، يتم بجهد أو بطريقة تلقائية .

وجاء فى لسان العرب : الدعوة المرة الواحدة من الدعاء ، ومنه الحديث : فإن دعوتهم تحيط من ورائهم ، أى تحوطهم ، وتكتنفهم ، وتحفظهم .

والدعاء : واحد الأدعية ، وأصله دعو ،لأنه من دعوت ، إلا أن الواو لما جاءت بعد الألف همزت .

وتقول للمرأة : أنت تَدْعِين ، وفيه لغة ثانية : أنت تَدْعُوِين ، وفيه لغة ثالثة أنت تدعيين ، بإشمام العين الضمة ، والجماعة أنتن تدعون ، مثل الرجال سواء، قال ابن برى : قوله فى اللغة الثانية أنت تدعوين لغة غير معروفة ، أى شاذة .

والدَّعَّاءة : الأنملة يدعى بها ، كقولهم السبابة ، كأنها هى التى تدعو ، كما أن السبابة هى التى ترفع حين المخاصمة كأنها تسب .

وقوله تعالى ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾[١] أى الإسلام لله .

قال الزجاج: جاء فى التفسير أنها شهادة أن لا إله إلا الله، وجائز أن يكون المراد من دعوة الحق دعاء العبد لله خاصة ، لأن من دعا الله موحداً استجيب له دعاؤه

وفى كتابه ﷺ إلى هرقل : أدعوك بدعاية الإسلام[٢] أى بدعوته ، وهى كلمة الشهادة التى يدعى إليها أهل الملل الكافرة ، وفى رواية : بداعية الإسلام ، وهو مصدر بمعنى الدعوة كالعافية والعاقبة .

ومنه حديث عمير بن أفصى : ليس فى الخيل داعية لعامل ، أى لا دعوى لعامل الزكاة فيها ، ولا حق يدعو إلى قضائه ، لأنها لا تجب فيها الزكاة .

ودعا الرجل دعواً ودعاءً : ناداه ، والاسم الدعوة ، ودعوت فلاناً أى صحت به واستدعيته .

---

(١) سورة الرعد الآية ١٤ .

(٢) صحيح مسلم ك الجهاد باب كتاب النبى بدعوة الإسلام جـ٥ صـ١٦٥

وكان عمر بن الخطاب ﷺ ، يقدم الناس فى أعطياتهم على سابقتهم ، فإذا انتهت الدعوة إليه كبر ، أى وصله النداء والتسمية ، وتداعى القوم : دعا بعضهم بعضاً حتى يجتمعوا .

ودعاه إلى الأمير: ساقه، وقوله تعالى ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[١] أى منادياً لدين الله ، و داعياً إلى توحيد الله ، وما يقرب منه ، ودعاه الماء والكلأ كذلك على المثل ، والعرب تقول : دعانا غيث وقع ببلد فأمرع ، أى كان ذلك سبباً لانتجاعنا إياه .

والدعاة : قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة ، واحدهم داع ، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين ، أدخلت الهاء فيه للمبالغة .

والنبى ﷺ داعى الله تعالى ، وكذلك المؤذن ، وفى التهذيب : المؤذن داعى الله والنبى ﷺ داعى الأمة إلى توحيد الله وطاعته ، قال الله عز وجل مخبراً عن الجن الذين استمعوا القرآن حين ﴿ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾[٢] قالوا ما حكاه الله تعالى عنهم ﴿ يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ ﴾[٣].

ويقال لكل من مات : دعى فأجاب ، ويقال : دعانى إلى الإحسان إليك إحسانك إلى ، وفى الحديث : الخلافة فى قريش ، والحكم فى الأنصار ، والدعوة فى الحبشة ، أراد بالدعوة الآذان ، جعله فيهم تفضيلاً لمؤذنه بلال .

والداعية: صريخ الخيل فى الحروب، لدعائه من يستصرخه، يقال : أجيبوا داعية الخيل

وداعية اللبن : ما يترك فى الضرع ، ليدعو ما بعده ، ودعى فى الضرع : أبقى فيه داعية اللبن [٤] .

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٤٦ .

(٢) سورة الأحقاف الآية ٢٩

(٣) سورة الأحقاف الآية ٣٠

(٤) لسان العرب مادة " دعا "

وقد وردت كلمة الدعوة فى القرآن الكريم بصيغ مختلفة ، ومعان متعددة كذلك ، فقد جاءت **فعلاً ماضياً** :

يقول الله تعالى ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ﴾ [١].

ويقول سبحانه ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [٢].

ويقول سبحانه ﴿ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴾ [٣].

ويقول سبحانه ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا ﴿٥﴾ ﴾ [٤].

ويقول سبحانه ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ﴾ [٥].

وجاءت **فعلاً مضارعاً** :

يقول الله تعالى ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [٦].

ويقول سبحانه ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [٧].

ويقول سبحانه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ [٨].

وجاء فعل أمر :

يقول الله تعالى ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [٩].

---

(١) سورة آل عمران الآية ٣٨

(٢) سورة فصلت الآية ٣٣

(٣) سورة مريم الآية ٩١

(٤) سورة نوح الآية ٥

(٥) سورة إبراهيم الآية ٢٢

(٦) سورة يوسف الآية ١٠٨

(٧) سورة الجن الآية ١٨

(٨) سورة الأعراف الآية ١٩٤

(٩) سورة النحل الآية ١٢٥

ويقول سبحانه ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [1].

وجاءت مصدراً :

يقول الله تعالى : ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾ [2].

ويقول سبحانه ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْآخِرَةِ ﴾ [3].

وبالنظر فى دلالات اللغة ، وألفاظ القرآن الكريم نرى أن معانى الدعوة اللغوية تنحصر فى بذل محاولات حسية ، أو معنوية ، لربط شئ بشئ ، وإلحاق أمر بأمر ، لتحقيق غاية ، فى خير أو فى شر ، تساوى الطرفان أو لم يتساويا ، ولا فرق أن يتم هذا الإلحاق بجهد ، أو بصورة تلقائية .

فتداعى الأحداث ، والأفكار ، والمعانى جزئيات تترابط ، ودعوة النسب إلحاق الفرع بأصله ، وداعية اللبن والتوالد جذب يقوم به الموجود لما سيوجد بعده ، والدعوة إلى الدين ربط العابد بالمعبود ، وإلحاق الناس بدين الله تعالى ... والاستغاثة ، والطلب ، والرجاء تعنى تعلق العبد بالرب ليحقق له ما يتمنى ، ويرجو ... وفى كل هذا المعنوى والمحسوس ، والقائم على جهد وتعب ، والذى يحدث بصورة تلقائية عادية .

والدعوة حين تطلق فى الإطار العلمى والعملى تنصرف إلى الدعوة الإسلامية وهى المصطلح الذى يحتاج إلى تعريف لأنه أساس الدراسة والبحث فى علم أصول الدعوة .

---

(١) سورة غافر الآية ٦٠

(٢) سورة الرعد الآية ١٤

(٣) سورة غافر الآية ٤٣

ـ المبحث الثانى ـ

المعنى الاصطلاحى للدعوة

حينما نرجع إلى دلالات اللغة ، وألفاظ القرآ الكريم ، وكلمات السنة النبوية واستعمالات العلماء لمصطلح الدعوة الإسلامية ، نرى أنها تأخذ مسارين مختلفين وهما :

المسار الأول :

يعنى هذا المسار أن الدعوة الإسلامية هى الإسلام ، دين الله تعالى بما حوى من عقيدة، وشريعة، أخلاق .

يقول الله تعالى ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّ ﴾ [١].

أى لله دينه ، وهو الإسلام .

و يقول الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ ﴾ [٢] أى تعبدون .

فالدعوة هى العبادة ، والعبادة هى الدين .

يقول الله تعالى ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾[٣]يقول مجاهد أى يصلون الصلوات خضوعاً، واستسلاماً لله تعالى[٤] .

ويقول النبى ﷺ أدعوك بدعاية الإسلام[٥] ، أى لدينه .. ويقول ﷺ : "**الدعاء هو العبادة** "[٦] .

---

(١) سورة الرعد الآية ١٤

(٢) سورة الأعراف الآية ١٩٤

(٣) سورة الكهف الآية ٢٨

(٤) تفسير مجاهد

(٥) صحيح مسلم ك الجهاد باب كتب النبى جـ٥ صـ١٦٥

(٦) فيض القدير جـ٣ صـ٥٤٠ وأسنده إلى الترمذى وقال حسن صحيح

ومن استعمالات الناس قولهم ... أمنت بالدعوة ، أى صدقت بدين الله تعالى

المسار الثانى :

يعنى هذا المسار أن الدعوة الإسلامية ، هى طرق تبليغ الإسلام ، ونشره بين الناس ، والتذكير به ، والدفاع عنه ، والعمل على أن يكون منهج الحياة لكافة الأفراد وسائر المجتمعات يقول الله تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [١] أى بلغ وأرشد .

ويقول سبحانه ﴿ يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ ﴾ [٢] أى مبلغ الدين ، وحامله للناس ومن استعمالات الناس قولهم : أنا من رجال الدعوة ، أى من الدعاة الذين يحملون الإسلام ، ويبلغونه للناس .

و المسار الثانى هو الوعاء الحامل للمسار الأول ، والغاية من المسار الثانى خدمة الإسلام ، وتبليغه للناس .

ويلاحظ أن بين المسار الأول ، والمسار الثانى ترابط من جهة ملازمة كل منهما للإسلام ، واتباع تعاليمه ... ويختلفان فيما عدا هذا ، لأن المسار الثانى عملية توجيهية فنية ، تحمل الفكرة ، وتوصلها لأناس يحتاجون إليها على وجه مقبول ، ومفهوم ، لتكون دستور العمل ، ومنهج الحركة ... بينما المسار الأول هو الفكرة نفسها ، وهو المنهج ، وهو الدستور ... ويختلفان كذلك فى مناط مسئولية الناس إزاءهما ، فالمسار الأول مسئولية كل إنسان عاقل مكلف ... والمسار الثانى مسئولية أولى الأمر والخاصة ، وكل قادر على القيام به ، أو المساهمة فى القيام به ... فالمسار الأول واجب عينى ، والمسار الثانى واجب على الكفاية .

وعلى هذا فإن الدعوة تعرف بتعريفين اصطلاحيين ، تبعاً للمراد بها .

---

(١) سورة فصلت الآية ٣٣

(٢) سورة الأحقاف الآية ٣٠

ـ التعريف الأول ـ
الدعوة بمعنى الإسلام

يمكن وضع تعاريف متعددة للدعوة الإسلامية ، بمعنى الإسلام نذكر منها :

١) **الدعوة الإسلامية** : هى الخضوع لله ، والانقياد لتعاليمه بلا قيد ولا شرط، ومن المعلوم أن الانقياد لله دليل الخضوع له ، ولذا اشترط العلماء فى هذا الخضوع الاختيار الحر ليتحقق الانقياد والاستسلام .

٢) **الدعوة الإسلامية** : هى الدين الذى ارتضاه الله للعالمين ، وأنزل تعاليمه وحياً على رسول الله ﷺ ، وحفظها فى القرآن الكريم ، وبينها فى السنة النبوية .

٣) **الدعوة الإسلامية** : هى النظام العام والقانون الشـــامل لأمور الحياة ، ومناهج السلوك التى جاء بها محمد ﷺ وحياً من ربه ، وأمره الله بتبليغها إلى الناس ، وبيان ما يترتب على ذلك من ثواب أو عقاب فى الآخرة .

٤) **الدعوة الإسلامية** : هى الصراط المستقيم الذى أنزله الله تعالى لتحقيق السعادة للناس فى الدنيا والآخرة .

٥) **الدعوة الإسلامية** : هى الدين الذى جاء به محمد ﷺ وختم به سائر الأديان .

وهذه التعاريف ليست متعارضة ، بل إنها تتعاون فى إعطاء صورة الإسلام الذى هو الدعوة الإسلامية ... ويمكن لكل مسلم فاهم أن يضع تعريفاً للدعوة الإسلامية اعتماداً على تصوره المستمد من المصادر الإسلامية .

والإسلام بهذه التعاريف ، وبغيرها يتكون من أصول ، وفروع كأى دين أو مذهب ، **لأن الأصل** هو أساس الشئ ، ومبدؤه ، ولابد منه لتحقيق الدين ووجوده ، **أما الفرع** فهو جزئيات تؤكد الأصل ، وتدل عليه ، وليس للفرع أهمية فى الدين كالأصل ، ولكل منهما دوره ، وحكمه فى شرع الله تعالى .

وتتفق أصول الدعوة الإسلامية مع أصول سائر الدعوات الإلهية السابقة ،

يقول الله تعالى ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾ (١).

ويقول تعالى ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ ﴾ (٢).

ويقول سبحانه وتعالى ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾(٣) .

ويقول سبحانه وتعالى ﴿ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾(٤) .

ففى هذه الآيات يوضح الله تعالى أن الدين الذى شرعه ، وأنزله وحياً على رسوله محمد ﷺ هو نفسه الدين الموحى به إلى الأنبياء السابقين ، والآيتان الأخيرتان تتضمنان أمراً وإخباراً بأن على المسلمين أن يؤمنوا بما آمن به السابقون

يذكر الإمام فخر الدين الرازى فى تفسيره أن الآيات التى تدل على التباين بين الرسالات كما فى قوله تعالى ﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ﴾ (٥) تشير إلى الفروع الخاصة بكل دين ، أما الآيــات التى تدل على عــدم التباين فهى تتعلــق

---

(١) سورة الشورى الآية ١٣

(٢) سورة النساء الآية ١٦٣

(٣) سورة البقرة الآية ٢٨٥

(٤) سورة آل عمران الآية ٨٤

(٥) سورة المائدة الآية ٤٨

بالأصول فقط [١].

ومن الواضح أن الأصول الواحدة فى سائر الأديان هى التوحيد ، وإثبات الرسالة ، والإيمان بالملائكة ، والكتب المنزلة ، وإثبات البعث ، وأصول العبادات ، ومكارم الأخلاق ... وأن الفروع هى الشرائع الخاصة بكل ملة على حدة .

إن الإسلام يحتم تعانق العقيدة والشريعة ، بحيث لا تنفرد إحداهما عن الأخرى على أن تكون العقيدة أصلاً يدفع إلى الشريعة ، والشريعة تلبية لانفعال القلب بالعقيدة ، فمن آمن بالعقيدة وألغى الشريعة ، أو أخذ الشريعة وأهدر العقيدة لا يكون مسلماً عند الله ، ولا سالكاً فى حكم الإسلام طريق النجاة، ولابد للعقيدة والشريعة من أخلاق تبرزهما فى صورتهما الحسنة ، الجميلة تحقيقاً للسعادة ، والأمان

ـ التعريف الثانى ـ
الدعوة بمعنى النشر والبلاغ

إن عملية تبيلغ الإسلام تحتاج إلى جملة من العناصر التى لابد منها لتتم على الوجه المطلوب ، وتحقق الغايات المقصودة منها .

فلابد لها من جهود تبذل ، قائمة على أدلة الإقناع ، وقادرة على إثارة داعية النظر ، والتفكير .

ولابد لها من طرف يقوم بها سواء كان فرداً ، أو جماعة ... أو غير ذلك .

ولابد لها من التجديد ، لتستفيد من مخترعات العصر ، وتطورات المدنية فى إطار المبادئ الإسلامية .

ولابد فيها من التنوع ، لتتلاءم الدعوة مع تنوع الناس الذين تتوجه إليهم .

ولابد لها من الارتباط بمبادئ الإسلام ، وتوجيهاته فى مجال التبليغ والإرشاد وبمراعاة هذه الضرورات يمكن أن نضع تعريفاً للدعوة بمعنى النشر والبلاغ يكون

---

(١) تفسير الرازى جـ٣ صـ٦٠٨ ط الحلبى

جامعاً مانعاً فنقول :

الدَّعوة الإسلامية هى :

" العلم الذى به تعرف أسس وتطبيقات كافة العمليات الفنية ، المتنوعة ، القادرة على تبليغ الإسلام للناس على الوجه المشروع " .

وبالنظر فى هذا التعريف نلحظ فيه ما يلى :-

أولاً : الدعوة بمعنى النشر علم مستقل له موضوعه ، وخصائصه ، وهدفه .

ثانياً : يتضمن هذا العلم الأسس ، والمبادئ النظرية للدعوة ، كما يحدد الطرق العملية للتبليغ ، والإرشاد .

ثالثاً : يتضمن هذا العلم كافة العلميات التى يستفاد بها فى التبليغ سواء كانت قولاً ، أو فعلاً ، أو حالاً ، أو صورة ، أو غير ذلك .

رابعاً : يشير التعريف إلى أن هذه العمليات تعتمد على فنية التأثير ، وبلاغة الخطاب ، لإيصال الإسلام إلى كافة الناس كاملاً ، تاماً .

خامساً : يتضمن هذا التعريف ضرورة تنوع عمليات التبليغ لتناسب الناس جميعاً، وتلتقى مع كل منهم حيث تتجه إلى العقل، وإلى العاطفة ، وإلى الوجدان

سادساً : يحدد التعريف هدف علم الدعوة بأنه تبليغ الإسلام للناس ، مع المحافظة على الأسس الشرعية ، وتجنب كل ما يتعارض مع هذه المشروعية .

وعلى هذا فإن المفهوم الإصطلاحى للدعوة الإسلامية بمعنى التبليغ تشمل كل ما يمكن تصوره **طرفاً للدعوة والبلاغ** ... مثل الخطبة ، والندوة والمحاضرة والصحيفة والإذاعة ، والملصقات ، والكتاب ، والرسائل الهاتفية والبريدية ... كما يشمل الدراسات المتصلة بتكوين الداعية ، وحركته فى التبليغ ، ومدى إحاطته بالدعوة ، وصلته بالله تعالى .

وتتضمن كذلك معرفة الصور الفنية للأسلوب المؤثر المفيد ، الذى يتلاءم مع المدعويين ، بعد التعرف عليهم ومخاطبتهم بما يناسب أحوالهم ، وواقعهم .

ويشتمل على الدراسات التى تمكن الدعاة من معرفة من توجه إليهم الدعوة من ناحية مذاهبهم ، وثقافتهم ، واتجاهاتهم العامة والخاصة ، وعاداتهم ، وكافة المؤثرات فى حياتهم ليتم التعامل معهم بذكاء، ودعوتهم بما يؤدى إلى النفع، والفلاح

وبهذا يلاحظ أن تبليغ الدعوة ، يقوم على أركان عدة ، يتضمنها ما جاء فى التعريف من أنه يشمل " كافة العمليات " وإذا ما استقل كل ركن بالدراسة وصار علماً مستقلاً (**وهو ما يجب أن يكون**) فإن التعريف ينطبق على كل ركن منها ، بعد قصر التعريف على عمليات هذا الركن ليكون دالاً عليه ، لأن قولنا فى التعريف " كافة العمليات " شامل لكل أركان البلاغ والتوجيه ، وقد يحتاج التعريف إلى تغيير فى بعض عبارته ليتفق مع ما سيق له ، وبذلك تكون تعاريف العلوم ، الدعوية كالآتى :

١) تعريف العلم المتصل بالدعاة : هو العلم الذى تعرف به عملية تكوين الدعاة ليبلغوا الإسلام للناس، بكافة الوسائل، والأساليب، الفنية، على الوجه المشروع والإحاطة بسيرهم ، وأخبارهم فى الماضى ، والحاضر .

٢) تعريف العلم المتصل بالوسائل : هو العلم الذى تعرف به كافة الطرق التى يبلغ بها الإسلام قديمة ، وحديثة ، على الوجه المشروع .

٣) تعريف العلم المتصل بالأساليب : هو العلم الذى تعرف به الأساليب الفنية ، المتنوعة ، القادرة على إيصال الإسلام للناس ، على الوجه المشروع .

٤) العلم المتصل بالمدعويين : هو العلم المتصل بمعرفة من يوجه إليهم الإسلام للتأثير فيهم ، وإقناعهم على الوجه المشروع .

٥) العلم المتصل بتاريخ الدعوة : هو العلم الذى يبحث فى الوقائع ، والأحداث ، والمناقشات التى حدثت فى الأمم حين دعوتهم ، والوقوف على العبر ، والدروس المستفادة من هذه الوقائع .

وهناك دراسات عديدة يحتاجها العاملـــون للدعـــوة يجب الوقوف عليها ،

ودراستها مع التركيز على مناط الاستفادة منها فى حركة الدعوة ، مثل علـــوم الأعلام ، والسياسة ، والنفس ، والاجتماع ، والخدمة الاجتماعية .

وهذه التعاريف ، كل فى موضوعها ، تعد تعاريف جامعة ، كما أن ربطها بالتزام المبادئ الإسلامية يجعلها مانعة من إدخال غيرها فيها .

وقد يقال : إن هذا تشقيق مبالغ فيه ، أو تجزئة لما لا يقبل التجزئة .

وأقول : الأمر ليس بهذا التصور ، ولا مبالغة فيه البتة ، فإذا نشط علماء الدعوة فى البحث والدراسة ،واهتموا بصبغ أبحاثهم بما استجد من نظريات علوم الاتصال ، والسياسة ، والنفس ، والاجتماع ، والمجتمع ، والخدمة الاجتماعية ، فإنهم سيصلون بإذن الله إلى إظهار علوم الدعوة المذكورة فى صورة كاملة ، يسلم بها الجميع ، ويستفيدون بها .

ونحن فى هذا التصور لعلوم الدعوة نتبع عمل من سبقنا من العلماء الكرام ، فعلماء التفسير مثلاً جعلوا من التفسير علوماً متعددة مثل التفسير التحليلى ، والتفسير الموضوعى ، والتفسير الإجمالى ، ، والتفسير اللغوى ، والتفسير الفقهى والتفسير العقدى ، ومناهج المفسرين ، وتاريخ التفسير ، والتفسير المقارن ، والدخيل .... إلخ

وعلماء الحديث قديماً وحديثاً أبدعوا فى علوم الحديث فظهر علم الحديث رواية ، وعلم الحديث دراية ، ومناهج المحدثين ، وطبقات المحدثين ، والمؤتلف والمختلف ... إلخ .

وعلماء العقيدة ، أوجدوا علم الفرق ، والملل ، والمذاهب المعاصرة وعلم الكلام ... والفلسفة القديمة ، والحديثة ... وغيرها.

وغير هؤلاء من المتخصصين فى العلوم النظرية والتجريبية ، كونوا باجتهادهم وبحوثهم علوماً عديدة للتخصص الواحد .... مما يدفعنا إلى الأمل ، ويبث فينا الاطمئنان لما نتمناه لعلوم الدعوة من تعمق ، وازدهار .

ولعلها لمسة رقيقة أمام عزائم علماء الدعوة ، ليضاعفوا العمل ، ويوحدوا الهمم حتى تصير علوم الدعوة مؤلفات ، ومراجع أمام الدراسين ، والدعاة .

ـ المبحث الثالث ـ

المفهوم المراد من كلمة أصول

الأصول جمع أصل والأصل أساس كل شئ ، ومبدؤه ، ولابد منه فى وجود هذا الشئ ، ولا يتصور عاقل قيام أمر ما إلا على أصل له ، ولذلك شبه الله تعالى الكلمة الطيبة بشجرة طيبة ، مثمرة ، يراها من ينظر إليها يانعة ، مزهرة ، لقيامها على أصلها الثابت فى باطن الأرض ، أما الشجرة الخبيثة التى لا أصل لها فإنها تنقطع ، ولا تدوم ، ولا تفيد ، لأنه لا أصل لها يقول الله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾[1] ومن الآيات ندرك أن هذه الشجرة اليانعة المثمرة تبدو فروعها ، وأوراقها ، وثمارها ، يانعة جميلة لأنها تعتمد على أساس متين ، هو أصلها المخبوء فى الأرض ، وهو الذى يمدها بالنماء وهو سبب وجودها ، وبقائها ، أما الخبيثة فإنها تنخلع من الأرض ، وتسقط حيث لا جذور لها ، ولا أصل ترتبط به .

جاء فى لسان العرب أن الأصل أسفل كل شئ ، يقال : استأْصَلَت الشجرة أى ثبت أصلها .... ويقال أَصَّل الشئ أى قتله علماً حتى وصل لأساسه ، وأصله ... ورجل أصيل أى له أصل متين ، وعقل ثابت ، وفكر راجح .. ورأى أصيل أى له أصل يعتمد عليه ، ويقوم به [2] .

ومن هذا المعنى اللغوى نرى الصلة بين علمى الفقه ، وأصول الفقه ، حيث يعتمد الفقه على أصوله ، وتؤخذ الأحكام التكليفية ، العملية من الأدلة الأصولية ولا تستقيم الأحكام إلا بهذه الأصـــول ، ولا يعتد بها شـــرعاً ، إلا إذا بنيت على

---

(١) سورة إبراهيم الآيات من ٢٤ إلى ٢٦

(٢) لسان العرب ، مادة "أصل" جـــ١ صـــ٨٩ ط دار المعارف

أسس الدين ، ومبادئه .

يقول الرهاوى : والأصل فى اللغة ما يبتنى عليه الشئ ، ويكون أساساً لهذا الشئ ، **وللأصل عند الأصوليين معان كثيرة .... فقد قالوا : الأصل هو القاعدة الكلية ، وهو الدليل ، وهو الحقيقة ، وهو العلة ، وحجتهم فى هذا أن القاعدة الكلية تنبنى عليها الفروع الجزئية ، والدليل أساس للحكم المدلول عليه ، والحقيقة أساس للمجاز ، والعلة أساس للمعلول** .

وأكد العلماء رأيهم هذا بأن الصلة بين الأساس وما قام عليه تكون حسية كابتناء السقف على الجدار ، وتكون معنوية كابتناء الحكم على الدليل ، وتكون جامعة للحسى والعقلى معاً كابتناء الفكرة على النص ، واستنباط الحكم بالاستقراء التجريبى (١) .

وجاء فى المنجد أن الأصل هو أسفل الشئ ، وبدايته ، والوالد أصل لولده ويراد بأصل الإنسان حسبه ونسبه (٢) .

ويرى علماء اللغة أن الأصل والأساس بمعنى واحد ولذلك يقولون : **الأساس هو الأصل** لكل شئ ، يقال : أساس البناء أى قاعدته ، وأصله الذى يقوم عليه .

كما قالوا : **الأصل هو الأساس** ، يقول ابن منظور : الأساس أصل كل شئ ، وأس الإنسان قلبه ، لأنه أصل الصلاح والهدى ، وهو أول ما يتكون فى الرحم (٣)

وقد يكون للأصل أصل آخر يســبقه ، وحينئذ يكون الأصل الثانى فرع للأول ، وأصل لما بعده ، كالوحى فإن أصله من الله ، والوحى أصلٌ للدين كله والتوحيد أصل للأركان بعده ، والأركان أصل للفروع .

---

(١) حاشية يحى الهراوى المصرى على شرح المنار جـ١ صـ١٩ ط دار سعادت سنة ١٩١٥م

(٢) المنجد مادة أصل صـ١٠

(٣) لسان العرب مادة " أس " جـ١ صـ٧٨

ويلاحظ أن كلمة "الأصل " مفردة أو جمعاً لابد لها من أن تأتى مضافة إلى ما يبتنى عليها ، لتكوِّن جملة مفيدة ، وتؤدى معنى مقصوداً ، كما يقال أصول الفقة وأصل البناء ، وأصل الفكرة ... وهكذا ، ومنه قولنا " أصول الدعوة " والمراد به أساس الدعوة ، وقاعدتها التى تنبنى عليها فروع الإسلام من شريعة ، وخلق ، ونظم ، وحياة .

وبهذا فالأصول هى العقيدة ، والفروع هى الشريعة ، والأخلاق ، وسائر الأحكام الفقهية المنظمة لكافة جوانب الحياة .

ويمكن اعتبار الأسس التى يقوم عليها تبليغ الإسلام ، وإيصاله إلى الناس أصولاً لذلك ... لأن أصول الدين إما أن تكون مسائل يجب اعتقادها ، والنطق بها ، والعمل بمقتضاها ، كمسائل التوحيد ، والصفات ، والقدرة ، والنبوة ، والمعاد .... وإما أن تكون أدلة بيان هذه المسائل ، وإثباتها .

وقد وضح النبى ﷺ ، القسمين ، وبينهما بياناً شافياً ، قاطعاً للعذر ، وجاءه الوحى بهما ، فبلغ الإسلام كله ، وتركه فى الناس حجة ، وبرهاناً ، وأودعه فيما أوحى إليه ، ليبقى فى العالمين إلى يوم القيامة ، وصدق الله تعالى فى قوله ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[١] .

---

(١) سورة الجمعة الآية ٢

ـ المبحث الرابع ـ
التعريف الاصطلاحى
لعلم «أصول الدعوة الإسلامية»

سبق أن ذكرت أن الدعوة الإسلامية تفيد من الناحية الاصطلاحية إحدى معنيين هما:

الأول : الدعوة بمعنى الإسلام ، دين الله تعالى .

الثانى : الدعوة بمعنى تبليغ الإسلام .

وعرفت كلاً منهما ، وبينت ما بينهما من اتفاق ، واختلاف ، ووضحت معنى " الأصل " وذلك كله لنقف على تعريف لعلم " أصول الدعوة الإسلامية "

وحيث أن لكل معنى من معنيى الدعوة المذكورين أصولاً ، وأسساً ، فإننا نحتاج إلى تحديد تعريف لأصول كلا المعنيين ، ليتميز كل منهما عن الثانى ، وبخاصة أنهما صارا عَلَمين على عِلْمين من علوم الدعوة إلى الله تعالى .

ـ التعريف الأول ـ
التعريف الاصطلاحى
لعلم «أصول الدعوة الإسلامية»
بمعنى الإســـــلام

يراد بمعنى علم أصول الدعوة الإسلامية حين يراد بالدعوة الإسلامية الإسلام بيان القواعد الأساسية التى تنبنى عليها فروع الدين ، وجزئياته .

ومن الضرورى أن تكون هذه القواعد متمكنة فى قلب المؤمن ، وسابقة على ما عداها عنده .

و لابد من وجودها المستمر ليصبح وجود ما يبتنى عليها قائماً ، لأن ذهابها ذهاب لما أتت به ، وبقاءها دعامة ضرورية لما يتبعها .

ولابد لهذه القواعد من شواهد تؤيدها ، وأعمال تؤكدها ، وتدل على وجودها.

يقول الرهاوى " وأصول الدين هى العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة من أدلتها اليقينية " [١] .

---

(١) شرح المنار وحواشيه ، حاشية الرهاوى صـ٢٠ .

ومن هنا يمكن تعريف " علم أصول الدعوة " حين يراد بالدعوة الدين الإسلامى بأنه : **العلم الذى يحدد الأسس الشرعية الاعتقادية ، الثابتة بأدلتها القطعية التى يجب الإيمان بها ، مع ربط هذه الأسس بما ينبنى عليها من أعمال شرعها الله تعالى .**

وهذا التعريف يقوم على العناصر التالية :

١) أصول الدعوة علم متميز بموضوعه ، وخصائص تفهيمه ، ووضوح هدفه ، لأن موضوعه هو أركان الإيمان التى تقوم على التصديق القلبى ، والإيمان العقلى ، ولتفهيمه طرق فنية تحدد ما يجب تعلمه ، وما يجوز ، ومالا يجوز وهدفه إيمان الناس واقتناعهم بدين الله تعالى .

٢) أسس العلم ، وأصوله هى أركان الإيمان القائمة على التصديق الباطنى الثابتة بدليل قطعى .

٣) أسس هذا العلم ترتبط بما يدل عليها قولاً وعملاً ، ولذا كان الإيمان هو التصديق بالقلب ، والشهادة باللسان ، والعمل بالجوارح ، وعلماء أهل السنة مجمعون على أن الإيمان يتكون من هذه العناصر الثلاثة فمن أقر بلسانه ، وعمل بجوارحه ، بلا تصديق القلب لا يكون مؤمناً ، ولذلك كان الإيمان هو مجموع الثلاثة .

٤) الأسس الاعتقادية التى يتضمنها علم أصول الدعوة لابد من ثبوتها بأدلة شرعية قطعية ، يقينية .

٥) يدل هذا التعريف على أن أركان الإيمان مرتبطة بفروع الإسلام ، ولابد من الفروع مع الأصول ، لأن الفروع تشهد للأصول، وتدل عليها ، كما أن الأصول المتينة تحقق تمام البناء ، وكماله .

وحين ننظر فى الإسلام نرى أنه يتكون من العقيدة المشتملة على أركان الدين ، ومن الشريعة التى تعد فروعاً للإسلام ، مرتبطة به ، ومن الأخلاق التى

تعد تحسيناً للعقيدة ، والشريعة ، وهى فروع لهما معاً.

وأركان العقيدة هى :-

١)الإيمان بالله تعالى ، وبكل كمال يليق به ، مع تتريهه سبحانه وتعالى عن كل نقص ، وتصديق ما جاء فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية من أسماء الله وصفاته ، وأفعاله ، بلا تأويل ، ولا تشبيه ، ولا تعطيل .

٢)الإيمان بالملائكة كما جاء الوحى بهم ، وعرفهم لرسول الله ﷺ على وجه الإجمال لمن جاء ذكرهم مجملاً ، وعلى وجه التفصيل لمن فصل القرآن عنهم من ناحية الأسماء ، والأعمال والعدد .

٣)الإيمان بالكتب المترله على رسله عليهم السلام على وجه الإجمال ، مع الإيمان التفصيلى بما فصل القرآن الكريم عنهم .

٤)الإيمان برسل الله الذين أرسلهم لعبادة ، وأنزل عليهم كتبه ، وأوحى إليهم والإيمان بالرسل يكون مجملاً فى رسل لا يعلمهم إلا الله سبحانه وتعالى ، ويكون مفصلاً فيمن ذكرهم القرآن الكريم ، وعددهم خمسة وعشرون رسولاً.

٥)الإيمان بيوم القيامة بكل مشاهده ، وصوره بدءاً من البعث حتى دخول أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار .

٦)الإيمان بالقدر خيره ، وشره ، حلوه ، ومره ، وهذا الإيمان يكون متصلاً بالركن الأول ، وهو الإيمان بالله ، لأن القضاء ، والقدر فى الكون يجريه الله تعالى وفق علمه ، وإرادته ، وتبعاً لحكمة يراها سبحانه وتعالى .

إن الإيمان بالله تعالى : يقوم على أدلة الشرع التى يخاطب بها العقل الذى لابد له من الاقتناع، واليقين، ويسمى العلماء هذا الركن بـــ"الإلهيات " وبقية الأركان تعتمد على ما جاء الوحى به، وأدلتها ثابتة قطعية، ويسميها العلماء بـــ"السمعيات"

يورد الرازى فى تفسيره بعض المواقف المؤكدة لوجود الله تعالى ، وثبـــوت قدرته ، وتحكمه فى الكون كله ، وهى أدلة عقلية مأخوذة من آيات الله الكونية

فيقول: **هجم بعض الكفار ، على أبى حنيفة ﷺ يريدون قتله ، فقال لهم : أجيبونى عن مسألة ، ثم افعلوا معى ما شئتم .**

فقالوا له : هات .

فقال : ما تقولون فى رجل يقول لكم ، إنى رأيت سفينة مشحونة بالأحمال مملوءة بالأثقال ، وقد احتوشها فى لجة البحر أمواج متلاطمة ، ورياح مختلفة ، وهى من بينها تجرى مستوية ليس لها ملاح يجريها ، ولا متعهد يدفعها ، هل يجوز ذلك فى العقل ؟

قالوا : هذا شئ لا يقبله العقل .

فقال أبو حنيفة : يا سبحان الله إذا لم يجز فى العقل سفينة تجرى فى البحر مستوية من غير متعهد ، ولا مجر ، فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها ، وسعة أطرافها ، وتباين أكفافها من غير صانع وحافظ ؟

فبكوا جميعاً ، وتابوا وقالوا له : صدقت .

وسأل بعض الملاحدة الإمام الشافعى ﷺ عن الدليل على وجود الله تعالى ؟

فقال لهم : ورقة الفرصاد "التوت " طعمها ، ولونها ، وريحها ، وطبعها واحد عندكم ؟

فقالوا : نعم .

فقال : فتأكلها دودة القز فيخرج منها الإبرسيم ، ويأكلها النحل فيخرج منها العسل ، وتأكلها الشاة فيخرج منها البعر ، وتأكلها الظباء فينعقد فى نوافجها المسك ، فمن الذى جعل هذه الأشياء كذلك مع أن الطبع واحد ؟

فاستحسنوا منه ذلك ، وأسلموا [١].

والقرآن الكريم يقدم عديداً من الآيات الكونية ، ويبرز واقعها شاهداً على وجود الله تعالى ، ودافعاً للإنسان لكى يراها ، وإليك بعضها :

---

(١) مفاتيح الغيب جـ١ صـ٣١٤ ط الحلبى

يقول سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [(١)] .

ويقول تعالى ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [(٢)] .

ويقول سبحانه وتعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾[(٣)]

ويقول تعالى ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾[(٤)].

وأصول الإسلام المذكورة هى أساس الدين ، ولابد معها من التصديق التام ، واليقين الكامل ليظهر الإيمان فى اللسان نطقاً ، وفى الجوارح عملاً ، وفى كل جوانب الحياة خلقاً وسلوكاً .. لأن الإسلام كل متكامل يقوم بأجزائه جميعاً .

يروى البخارى بسنده عن **أبى هريرة** ﷺ **أن رسول الله ﷺ كان بارزاً يوماً للناس فأتاه جبريل ، وقال له ما الأيمان ؟**

قال ﷺ : الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث

فقال جبريل عليه السلام : ما الإسلام ؟

قال ﷺ : أن تعبد الله ولا تشرك به ، وتقيم الصلاة ، وتؤدى الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان .

---

(١) سورة البقرة الآية ١٦٤

(٢)سورة الذاريات الآية ٢١

(٣) سورة الأنبياء الآية ٣٠

(٤) سورة الطارق الآيات من ٥ إلى ٨

قال جبريل عليه السلام : ما الإحسان ؟

قال ﷺ : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

قال جبريل عليه السلام : متى الساعة ؟

قال ﷺ : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، وسأخبرك عن أشراطها : إذا ولدت الأمة ربتها ، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم فى البنيان [١] فى خمس لا يعلمهن إلا الله ، ثم تلا النبى ﷺ قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِى ٱلۡأَرۡحَامِ ۖ وَمَا تَدۡرِى نَفۡسٌ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدۡرِى نَفۡسُۢ بِأَىِّ أَرۡضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾ [٢] .

ثم أدبر فقال : ردوه ، فلم يروا شيئاً ، فقال هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم [٣] .

وبالنظر فى هذا الحديث نرى أنه يتضمن الدين كله ، لأن كل ما سأل عنه جبريل عليه السلام كان هو الدين الإسلامى بأصوله ، وفروعه ، ولذلك قال ﷺ جاء يعلمكم دينكم .

---

(١) صحيح البخارى جـ١ صـ١٩ ، ٢٠ كتاب الأيمان ، باب سؤال جبريل ط الأوقاف .

ومعنى إذا ولدت الأمة ربها) أى يعق الولد أمه فيتحكم فيها كأنه سيدها ، **ورواية (إذا ولدت الأمة بعلها)** واضحة فى ذلك وهناك معان أخرى ، إلا أن ما أوردناه أرجحها .

ومعنى (إذا تطاول **رعاة الإبل البهم فى البنيان)** أى يسيطر أهل الفاقة على المدن ، وينشرون الإسلام فيها ، ويقيمون البنايات الشاهقة ، وهو إشارة إلى اتساع دين الإسلام ، لأن حملة الإسلام هم الفقراء فى البداية .

وقد ظهر جبريل بصورة دحية الكلبى ، وجلس أمام النبى ﷺ ، وسأله الأسئلة المذكورة ، يقول ابن الصلاح : ما فى هذا الحديث بيان لأصل الإيمان ، وهو التصديق الباطنى ، وأصل الإسلام وهو الاستسلام ، والانقياد الظاهرى ، وثم بيان اسم الإيمان يتناول ما فسر به الإسلام ، وسائر الطاعات لكونها ثمرات للتصديق الباطنى ، واسم الإسلام يتناول أيضاً ما هو أصل الإيمان وهو التصديق الباطنى لأن الاستسلام لا يتم إلا به (عمدة القارى جـ١ ص٢٧٩ ، ٢٩١) .

(٢) سورة لقمان الآية ٣٤

(٣) صحيح البخارى كتاب الإيمان باب سؤال جبريل عن الإيمان جـ١ صـ٤٨ ، ٤٩ .

وقد أنزل كثير من المحدثين هذا الحديث بالنسبة للسنة النبوية منزلة سورة الفاتحة بالنسبة للقرآن .

يقول القرطبى : هذا الحديث يصلح أن يقال له أم السنة .

ويقول القاضى عياض : اشتمل هذا الحديث على جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان ابتداء ، وحالا ، ومآلاً ، ومن أعمال الجوارح ومن إخلاص السرائر ، والتحفظ من آفات الأعمال ، حتى أن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ، ومتشبعة منه فهو لها أصل ، وأساس .

وجميع ما ورد فى هذا الحديث راجع إلى العقيدة ، أو إلى الشريعة ، أو إليهما معاً ، ذلك أن الإيمان بالله ، وملائكته، وبلقائه ، وبرسله ، وبالبعث راجع إلى العقيدة .

وعبادة الله وحده ، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان راجع إلى الشريعة .

والإحسان يكون فى العقيدة والشريعة معاً ، وبالإحسان توجد الأخلاق المثالية عند المسلم ، فهى أثر لازم وضرورى للعقيدة والشريعة ، فكأن العقيدة أصل للشريعة والشريعة ، مع العقيدة أصل للأخلاق .

وعلى هذا فإن أركان الإيمان ، هى أصول الدعوة وهى أصول الدين ، وجوانب الشريعة والأخلاق هى فروعها .

ـ التعريف الثانى ـ
تعريف علم « أصول الدعوة الإسلامية »
بمعنى التبليغ

أدى التطور العمرانى ، وتقدم المدنية ، إلى اختراع صور عديدة للإتصال والإعلام ، وتعددت جوانب الدراسة والبحث فى هذا الجانب الحيوى الهام ، فبعد ما كان الصحيفة مثلا تصدر شاملة للأخبار والإعلانات والحوادث ، والرياضة ، والفن ... وغيرها أصبحت تصدر متخصصة ، فهناك الصحف الإخبارية ، والاقتصادية ، والدعائية ، والفنية ، والعسكرية ، والرياضية ... وهكذا .

وعملية تبليغ الإسلام يجب أن تندرج فى إطار هذا التخصص المنهجى لنجد دراسات تتصل بالدعاة حملة الإسلام ، ومبلغوه للناس .

ودراسات أخرى تتعلق بالوسائل على اختلاف صورها ، وأحوالها ... ودراسات ثالثة عن الأسلوب ، وعوامل التأثير به .

ودراسات رابعة عن المدعوين لتوضيح أوضاعهم النفسية ، والاجتماعية والفكرية ، والثقافية ، والمذهبية ، والسكانية إلى غير ذلك مما له أثر فى الاتجاه ، وتكوين الرأى العام .

وليس هناك ما يمنع من الاستفادة بالدراسات الحديثة فى علوم الاتصال ونظرياته للتشابه القريب بين الدعوة والاتصال ، فكل منهما يقوم على فكرة ما يحملها طرف ما ، لينقلها إلى غيره ، من أجل إحداث غاية مقصودة .

يرى بعض العلماء **أن عملية تبليغ الإسلام ، بمختلف أركانها تمثل أركاناً متكاملة تتحرك فى إطار منهج شامل يجمعها ، ويذهب إلى أن منهج الدعوة خطة كاملة ، ونظرية تامة ، تحدد الدعوة ، ومسارها ، وطرق الإقناع بها ، وأسلوب الخطاب لها ، وتحقيق أهدافها فى كافة جوانب الحياة .**

ويرى هؤلاء أن منهج الدعوة كمصطلح علمى يشتمل على نظرية شاملة للدعوة بكل جوانبها ، وحينئذ لا يصح إطلاق مسمى المنهج على الأسلوب ، أو على الوسيلة ، أو على الموضوع ، أو غير ذلك ، إلا على وجه المجاز من باب تسمية الجزء باسم الكل ، ومع وجود قرينة تمنع من إرادة حقيقة المفهوم .

ومنهج الدعوة ربانى كله ، ويمكن أخذه من تعاليم الله تعالى من كافة جوانبه ، لأن الجوانب الثابتة كموضوع الدعوة ، وغايتها ، ثابتة مفصلة .

أما الجوانب غير الثابتة كالوسائل ، والأساليب ، وصفات القائم بالدعوة ، وأحوال المدعوين ، فإن تعاليم الله تعالى تضع الأسس ، والشروط مع ترك التفاصيل للاجتهاد والبحث .

ومنهج الدعوة ليس هو الحركة بالدعوة ، لأن الحركة تعنى الصورة العملية التى تظهر حين يقوم الرسل، والدعاة، بتبليغ دين الله للناس، والمنهج أعم من ذلك.

وعلى أساس التسليم بهذا الفهم نجد أنفسنا **أمام عدد من علوم تبليغ الإسلام** ، ولكل منها تعريف يوضحها ، ويحدد المراد منها ، وكلها تندرج فى **أن أصول كل منها تعنى دراسة الأسس ، والمبادئ التى تؤدى إلى قيام الدعاة والوسائل ، والأساليب بدورهم فى نشر الإسلام ، وإيصاله للناس على وجهه المشروع بعد الوقوف على أحوال الناس من كافة الوجوه** ليتعامل الدعاة مع واقع المدعوين ، ويستفيدوا به .

وعلى هذا :

نرى أن **أصول علم الدعاة** يحدد أسس اختيارهم ، وأهم الصفات الواجبة لهم ، والمعارف التى يحتاجون إليها ، وكيفية حركتهم بالدعوة ، ومخاطبة الناس ، والاهتمام بدورهم الدينى بين المدعوين .

وأصول علم الوسائل تعنى ببيان مشروعية الاستفادة بكل وسيلة اتصالية قديمة أو حديثة فى إطار المشروعية الدينية ، وتحقيق المراد من الدعوة .

وأصول علم الأساليب تتضمن بمعرفة الأسس الرئيسية للخطاب الدينى القائم على الحكمة ، والحسن فى الموعظة والحوار ، والتركيز على الأدلة الإقناعية والمثيرات الوجدانية ، مع الاستفادة بعلوم البلاغة ، والبيان وغيرها من سائر علوم العصر ومستحدثاته .

وأصول علم المدعوين تذهب إلى معرفة الأسس التى تساعد على فهم الناس ، وما هم فيه من اتجاهات ، ومعارف ،ومذاهب لإتيانهم من حيث يقبلون ويؤمنون وهذه الأسس تحتاج إلى دراسة أصول علم النفس الاجتماعى ، وفن قيادة الجماهير ، وعملية توجيه الرأى العام ، وعلوم الخدمة الاجتماعية .

وأصول علم تاريخ الدعوة : يحدد معالم هذا العلم ، ومصادره ، وطرق تمحيص الحق ، وتمييزه عما عداه ، وتجلية التاريخ الإسلامى فى مختلف العصور .

وهكذا تتعدد أصول عملية التبليغ تبعاً لتعدد علومه ، وأركانه.

إن الدعوة فى العصر الحديث تحتاج إلى هذه الدراسات المتعددة ، لتصل إلى إنسان العصر معبرة عن دين الله تعالى بمنهج قويم ، وخطة متكاملة ، ولو أجاد المسئولون عن الدعوة ، والمشرفون على حركتها العمل فى توضيح هذه الأسس وإيجادها فى عالم الواقع التطبيقى لتحقق خير كثير للناس ، ولوصلت الدعوة بوضوحها ، وصفائها ، وحجيتها للعالم كله .

وحينئذ نقول مطمئنين : لقد وصل الخطاب الصحيح الصادق إلى مستقره بنجاح ، وأمان ، وبلغ الإسلام إلى كل إنسان فى هذا الوجود .

إن العالم المعاصر يموج بالفكر ، وتتعارض فيه المصالح ، والكل يدافع عن نفسه ، ويثبت حقه بحجج المنطق ، وطول الحوار .... وكثيراً ما تعقد المؤتمرات والندوات ، وجلسات الخبراء ، والعلماء ، للدراسة ، والبحث ، وسندهم هو الكلمة ، والحجة .

ولذلك اهتم العالم بعلو الاتصال ، وتطوير مؤسساته ، وتطبيق النظريات

العلمية فى عملية التوجه للغير ، ومخاطبته فى القضايا التى يراد الوصول بها إلى غاية معينة .

ولم يعد فى العالم ما هو مستور عن الناس ، فكل ما يحدث ينتشر ، وما يقرر يذاع ، حتى صار العالم مثل قرية صغيرة ، يعلم ساكنوها كل ما فيها ، والدعوة الإسلامية ، يجب أن تستفيد من هذا الفكر المعاصر ، وتمشى إلى العالم كله بأسلوبها به لتصل بقضيتها إليه .

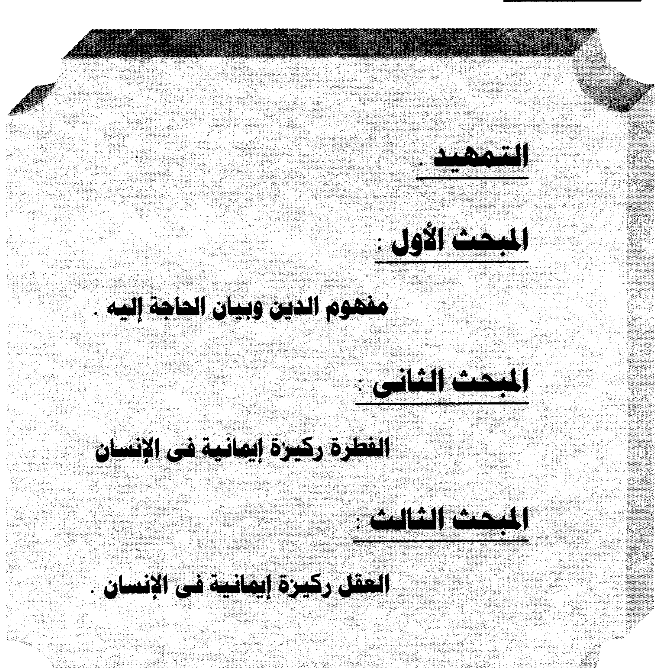
ولن يتم للدعوة ذلك إلا إذا استعدت ، وتأصلت .

والدعامة الأساسية للتأهيل هو العلم بكل الجوانب التى لا بد منها للدعوة ، وعلومها .

- الفصل الثانى -

الركائز الإيمانية فى الإنسان

ويتكون من :



التمهيد .

المبحث الأول :

مفهوم الدين وبيان الحاجة إليه .

المبحث الثانى :

الفطرة ركيزة إيمانية فى الإنسان

المبحث الثالث :

العقل ركيزة إيمانية فى الإنسان .

التمهيد

خلق الله الإنسان ، وأودع فيه عدداً من الطاقات ، والملكات ، وقدر لها أن تعمل وفق منهج خاص بها ، فالغرائز طاقات حيوية تبحث عن حاجاتها لترضى وتسعى لتشبع .

والعقل قوة تخيل ، وإدراك ، وتحليل ، لا يعرف الصمت ، ولا يمكنه أن يتوقف .

والجسد مادى شهوانى فى نشاطه ، وإخلاصه ، كل هذه ملكات وطاقات خلق الله الإنسان بها .

وبواسطة طاقات الإنسان وملكاته تمضى مسيرة الحياة ، وتستمر العلاقة بين الإنسان والكون تأثيراً وتأثراً .

وقضت حكمة الله تعالى أن يكون الإسلام متناسقاً مع الإنسان بكافة عناصره ، وقواه ، فلم يجعل فى الدين ما ينفر ، أو ما لا يستساغ ، أو ما يشق ، أو ما لا يفهم ، وإنما جعل الله كل ما فى الدين سهلا ، مقنعاً ، معقولاً ، واضح الوسيلة والغاية ، يجلب السعادة والسلام لمن يؤمن به ، ويخضع لتعاليمه ، وقد أوجد الله فى طبيعة الإنسان ما يجعله يتوافق مع الدين ، ويسعد به ، وهذه العوامل هى ركائز الإيمان فى الإنسان ، وهى التى تدفعه إلى الدين ، وتعينه عليه وتهيئه ليكون من المؤمنين الصادقين .

وأوضح دليل على وجود هذه الركائز فى الإنسان ، ما ذكره ابن طفيل ، وهو يروى قصة طفل ، ألقت به الأمواج بعد مولده ، بين الحيوانات ، فعاش وحيداً معها فى غاباتها ، فلما شب ، ونظر فى الحيوانات ، واختلافها ، والغابة وتنوع أشجارها ، والغذاء وكيف تتعدد مصادره ، والهواء وكيف يأتى ويتحرك ، والكون وكيف يسير بنظام وهدف ، والموت وأثره على حركة الجسد ، والتوالد بين الحيوانات المختلفة ، وبين الزروع ، والأشجار .

نظر الغلام "حى بن يقظان " إلى هذا وغيره فوصل بفكره إلى ضرورة وجود خالق لهذا الكون ، وإلى ضرورة أن تستمر عناية الخالق بما خلق ، فصادف تفكيره العقلى هذا ما فى نفسه من ميل ، وتصور فاستنتج ابن طفيل من ذلك وجود ركائز فى داخل الإنسان تدفعه إلى الإيمان بالله تعالى .

وقصة ابن طفيل "حي بن يقظان " من قصص الخيال الواقعى ، لأننا لو وضعنا العقل مكان الغلام ، ووضعنا مكان الغابة والحيوانات الكون كله ، لو فعلنا ذلك وتأملنا فيه، لوصلنا إلى ما وصل إليه "ابن طفيل " من وجود مرتكزات تهدى الإنسان إلى الله تعالى ، وهى التى نسميها بـــ"ركائز الإيمان " وأهمها ركيزتان هما :-

١) الفطرة .

٢) العقل .

وفى هذا الفصل سأتناول بالدراسة هاتين الركيزتين ، على أن أسبقهما ببيان مفهوم الدين ، وبيان الحاجة إليه ، وأهم عناصره التى تجعله يلتقى مع الركائز الموجودة فى الإنسان وذلك فى المباحث التالية :-

المبحث الأول : مفهوم الدين ، وبيان الحاجة إليه .

المبحث الثانى : الفطرة ركيزة إيمانية فى الإنسان .

المبحث الثالث : العقل ركيزة إيمانية فى الإنسان .

وذلك فيما يلى :

ـ المبحث الأول ـ
التعريف بالدين
وبيان مدى الحاجة إليه

" الدين " مصدر فعله دان ، و مشتقاته دان ، يدين ، والدائن ، والمدين ، والمديون ، والديان .

وكلمة " الدين " عند اللغويين تفيد عدة معان :-

فهى تفيد معنى الجزاء والحساب ، ومنها قوله تعالى ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾[١] أى مالك يوم الحساب والجزاء ، وهو يوم القيامة ... ومن هذا جاء قول النبى ﷺ : **الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت** "[٢] .

ومعنى دان نفسه — حاسبها وقدر جزاءها ... ومنه وصف الله بـــ"الديان" أى المحاسب المجازى على الأعمال يوم القيامة ، ومنه قول العرب عن على ابن أبى طالب ﷺ كان على ديان العرب ، أى قاضيها ، وحاكمها ، ومنه المثل المضروب " كما تدين تدان " أى كما تَجْزِى تُجْزَى .

ومن معان الدين الطاعة والانقياد ، تقول دان فلان لفلان أى انقاد له ، وأطاعه ... ومنه قول النبى ﷺ لعمه أبى طالب : " **أريد من العرب كلمة تدين لهم بها العرب " أى تنقاد وتطيع**[٣] .

ومن معانى الدين العادة والشأن والحال ... تقول العرب ما زال ذلك دينى وديدنى ، أى عادتى ، وشأنى ، وحالى .

يقول ابن الأعرابى : دان الرجل إذا عز ، ودان إذا ذل ، ودان إذا أطاع ، ودان إذا عصى ، ودان إذا اعتاد خيراً أو شراً ، ودان إذا أصابه الدَّين ، وهو

---

(١) سورة الفاتحة الآية ٤

(٢) فيض القدير جـــ٥ صـــ٦٧

(٣) السيرة النبوية جـــ١ صـــ٢٦٦

دائن ، ومدين وقوله تعالى ﴿ أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ [١] أى مملوكـــون ، وقوله تعالى ﴿ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾[٢] قال الفراء : غير مدينين أى غير مملوكين ، ودنته أدينه ديناً ، سسته .

ودنت الرحل : حملته على ما يكره ، ودينت الرجل تديناً إذا وكلته إلى دينه، والدين : الحال ، قال النضر بن شميل ، سألت أعرابياً عن شئ فقال : لو لقيتنى على دين غير هذه لأخبرتك أى على حالة ، والدين : ما يتدين به الرجل والدين : السلطان ، والدين : الورع ، والدين : القهر ، والدين : المعصية ، والدين : الطاعة [٣].

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز : والواقع أننا إذا نظرنا فى اشتقاق هذه الكلمة ، ووجوه تصريفها ، نرى من وراء هذا الاختلاف الظاهر تقارباً شديداً ، بل صلة تامة فى جوهر المعنى ، إذ نجد أن هذه المعانى الكثيرة تعود فى نهاية الأمر إلى ثلاثة معان ، تكاد تكون متلازمة ، بل نجد أن التفاوت اليسير بين هذه المعانى الثلاثة مرده فى الحقيقة إلى أن الكلمة التى يراد شرحها ليست كلمة واحدة ، بل ثلاث كلمات ، أو بعبارة أدق أنها تتضمن ثلاثة أفعال بالتناوب .

وبيانه أن كلمة (الدين) تؤخذ تارة من فعل متعد بنفسه ، (دانه يدينه) .

وتارة من فعل متعد باللام (دان له) .

وتارة من فعل متعد بالباء (دان به) .

وباختلاف الاشتقاق تختلف الصورة المعنوية التى تعطيها الصيغة .

١) فإذا قلنا (دانه ديناً) عنينا بذلك أنه ملكه ، وحكمه وساسه ، ودبره ، وقهره ، وحاسبه ، وقضى فى شأنه وجازاه ، وكافأه ، فالدين فى هذا الاستعمال

---

(١) سورة الصافات الآية ٥٣

(٢) سورة الواقعة الآية ٨٦

(٣) لسان العرب مادة "دان " جـــ٢ صـــ١٤٦٩ ط دار المعارف

يدور على معنى الملك، والتصرف بما هو من شأن الملوك من السياسة ، والتدبير ، والحكم ، والقهر ، والمحاسبة ، والمجازاة ، ومن ذلك ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾[1] أى يوم المحاسبة والجزاء ، وفى الحديث " الكيس من دان نفسه " أى حكمها وضبطها ، و " الديان " الحكم القاضى .

٢) وإذا قلنا " دان له " أردنا أنه أطاعة وخضع له فالدين هنا هو الخضوع والطاعة ، والعبادة ، والورع ، وكلمة (الدين لله) يصح أن يفهم منها كلا المعنيين ، الحكم لله ، أو الخضوع لله .

وواضح أن هذا المعنى الثانى ملازم للأول ومطاوع له (دانه فدان له) أى قهره على الطاعة فخضع وأطاع .

٣) وإذا قلنا "دان بالشئ " كان معناه أنه اتخذه ديناً ومذهباً أى اعتقده أو اعتاده ، أو تخلق به ، فالدين على هذا هو المذهب والطريقة التى يسير عليها المرء نظرياً أو عملياً ، فالمذهب العملى لكل امرئ هو عادته وسيرته كما يقال " هذا دينى وديدنى " والمذهب النظرى عنده هو عقيدته ورأيه الذى يعتنقه ، ومن ذلك قولهم " دينت الرجل " أى وكلته إلى دينه و لم أعترض عليه فيما يراه سائغاً فى اعتقاده .

ولا يخفى أن هذا الاستعمال الثالث تابع أيضاً للاستعمالين قبله ، لأن العادة أو العقيدة التى يدان بها لها من السلطان على صاحبها ما يجعله ينقاد لها ، ويلتزم اتباعها [2].

ويستفاد من المعانى اللغوية التى ذكرها العلماء أن الدين يفيد وجود علاقة بين طرفين ، أحدهما قوى قاهر ، والثانى ضعيف عاجز ، على أن يعظم الضعيف القوى ويخضع له ... فإذا ما وصف بالدين الطرف الأقوى كان معنى الدين

---

(١) سورة الفاتحة الآية ٤

(٢) دراسات فى العقيدة صـ ٩٠ ، ٩١

السلطان ، والحكم ، والإلزام ، وإن وصف به الطرف الأضعف كان معنى الدين الخضوع ، والانقياد والطاعة ... وإذا أريد بالدين العلاقة الموجودة بين الطرفين كان المراد بالدين الدين المعظم لتلك العلاقة ، أو الذى يعبر عنها .

والمعانى الثلاثة تدور حول الانقياد إلزاماً ، أو التزاماً ، أو تنظيماً لهذا الالتزام **وحينما ننظر إلى الدين فى واقع الحياة ، وبين المؤمنين ، نرى أنه الدين يتضمن العناصر التالية :-**

- الإحساس بوجود ذات علوية لها تأثير فى غيرها .

- تملك هذه الذات عدداً من الصفات التى تمكنها من التحكم فى غيرها وفق ما تريد ، وأساس هذه الصفات العلم التام ، والإرادة الطليقة ، والقدرة اللانهائية .

- حاجة سائر الكائنات الموجودة إلى عطاء هذه الذات العلوية بصورة دائمة.

تملك هذه الذات العلوية محاسبة ما عداها على أعمالهم التى يؤدونها ، ومجازاتهم عليها خيراً ، أو شراً .

- تمد الذات العليا ما عداها بمنهج تعيش به ، وتسير على هدية .

وقد تضمن تعريف د/دراز للدين هذه العناصر ... وفيه يعرف الدين بأنه : **الاعتقاد بوجود ذات ، علوية ، غيبية ، لها علم واختيار ، وقدرة ، وتدبير ، لشئون الآخرين ، ومن شأن هذا الاعتقاد أن يبعث على مناجاة هذه الذات الإلهية فى رغبة ، ورهبة ، وفى خضوع ، وتمجيد**[1].

وهذا التعريف خاص بالذات الإلهية ، مع أن الإيمان بها ركن من أصول الدين وأصول الدين ركن من أركان الإسلام ، الذى يتكون من الأصول ، والفروع .

ولعل قصر الدين فى هذا التعريف على الاعتقاد بوجود الله تعالى متصفاً بكل ما يليق به ، لا يغفل سائر الأركان ، والفروع ، لأن من يؤمن بالله بيقين يصـــدق

---

(١) الدين صــ٢٨

بكل ما أخبر الله به ويلتزم بكل ما أمر به ، وقد أمر الله تعالى بسائر الأركان ، وجميع الفروع ، ومكارم الأخلاق ... فكأن الإيمان بالله تعالى يعنى الإيمان بالإسلام كله ، ويتضمنه .

يقول ابن حجر : **اكتفى الفقهاء بإطلاق الإيمان على من آمن بالله ، ورسوله ، ولا اختلاف ، لأن الإيمان برسول الله يعنى الإيمان بوجوده ، وبما جاء به عن ربه ، فيدخل جميع الأركان تحت ذلك الإيمان** [١] .

وقد اشتغل العلماء المسلمون بإثبات ألوهية الله تعالى ، وفصلوا فيما يجب له وجاءوا فى أبحاثهم بأدلة تقنع العقل ، وتشبع الروح، ليتم الإيمان بصدق ويقين، واطمئنان .

يوضح الأستاذ / محمد فريد وجدى بعض هذه الدراسة فى بحث مطول ، ويبين أن الكون بكل ما فيه مادى ، وروحى ، بهما يترقى ، وينمو ، ويدرك ، ويقوم بوظائفه ، ولا يتصور عاقل قيامه بوظائفه تلك إلا بقوة بعيدة عنه تلهمه ، وتحركه

انظر إلى الزهرة كيف نبتت فى أرض ميتة ، وأنتجت ألواناً زاهية ، وأخرجت رياحاً طيبة .

وانظر إلى الماء كيف يتكون ؟ وكيف يتحرك ؟ وكيف يفيد ؟

وانظر إلى الطيور ، كيف تبنى عشها ؟ وكيف تربى صغارها ؟ وكيف تغدوا خماصاً ، وتروح بطاناً .

وانظر إلى النحل ، والنمل ، كيف صنعت مملكتها ؟ وأخرجت رحيقها ، وجمعت طعامها .

وانظر إلى الكائنات ذات الخلية الواحدة التى لا شكل لها ، المجـــردة من الأعضاء ، ومن الأجزاء ، ومن عناصر التركيب، ومع ذلك فهى تملك الخصائص والمميزات الأصلية للحياة، حتى أنها لتستطيع أن تبتنى لنفسها قواقع ، ذات تراكيب معقدة أحياناً ، وعلى غاية ما يمكن من الجمال .

---

(١) فتح البارى على صحيح البخارى جـــ١ صـــ١١٩

هل هذا الترتيب المحكم ، والتكوين المنظم ، والأسباب الموجدة للكائنات ، والعلل الحافظة لها ، والعوامل الدافعة لترقيتها ، والنواميس العاملة لتكميلها وجدت بلا موجد لها ؟

وهل كل هذه المجموعة الضخمة من الأسباب ، والعلل ، والنواميس ، والعوامل ، فى كون يزخر بالأحياء ، ويفيض بالكائنات ، قائمة على مجرد المصادفة والاتفاق ، أم أنها تدل على وجود إله واحد قادر حكيم (١).

إن الحقيقة ظاهرة ، والشواهد ناطقة بأن كل ذلك من تقدير العزيز العليم ، وهو الله رب العالمين .

يقول الأستاذ / سعيد حوى : لو كانت قشرة الأرض أسمك مما هى عليه بمقدار بضع أقدام لامتصت ثانى أكسيد الكربون ، والأكسجين ، ولما أمكن وجود الحياة .

ولو كان الهواء أقل ارتفاعاً مما هو عليه ، فإن بعض الشهاب التى تحترق بالملايين كل يوم فى الهواء الخارجى ، كانت تضرب فى جميع أجزاء الكرة الأرضية ، وكان فى إمكانها أن تشعل كل شئ قابل للإحتراق .

ولو أن شمسنا أعطت نصف إشعاعها الحالى لكنا تجمدنا ، ولو أنها ذادت بمقدار النصف لكنا رماداً منذ زمن بعيد .

ولولا المطر لكانت الأرض صحراء لا تقوم حياة عليها .

ولولا الرياح والبحار والمحيطات لما كانت حياة .

ولولا أن الماء يتبخر بشكل يخالف تبخر الملح لما كانت حياة .

ولولا أن البخار أخف من الهواء لما كانت حياة .

ولو كانت العناصر لا تتحد مع بعضها لما أمكن وجود تراب ، ولا ماء ، ولا شجر ، ولا حيوان ، ولا نبات .

---

(١) الإسلام دين الهداية والإصلاح صـ٨ بتصرف كبير .

ولولا الجبال لتناثرت الأرض ، ولما كان مثل هذه القشرة الصالحة للحياة [١].

إن الذى صنع كل ذلك هو الله ، يقول تعالى ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾ [٢].

ويقول سبحانه وتعالى ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ۝ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ۝ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾ [٣].

ويقول سبحانه ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۝ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[٤]

إن الإسلام دين الله تعالى يتكون من العقيدة بأركانها ، ومن الشريعة بنظمها ، وأعمالها ، ومن الأخلاق بمكارمه ، ومحاسنه ، وقد حفظ الله تعالى الإسلام بحفظ مصدريه ، وهما القرآن الكريم ، والسنة النبوية ... وأى اجتهاد بعدهما يأخذ منهما

---

(١) تبسيط العقائد الإسلامية صـــ٢٨

(٢) سورة الرعد الآية ٨

(٣) سورة الحجر الآيات من ١٩ إلى ٢٢

(٤) سورة النحل الآيات من ١٠ إلى ١٦

الحكم ، وينبني عليهما .

والإنسانية فى كافة عصورها ، ومختلف أماكنها فى حاجة ماسة لدين الله تعالى لأسباب متعددة من أهمها :

١) العقل البشرى عاجز عن اكتشاف الغيب بكل صوره ، **فهو عاجز عن فهم وعلم غيب الماضى** ، ولذلك لا يمكنه إدراك ما مضى إلا بخبر يأتيه ، أو راو يحكيه ، وما عدا ذلك لا يمكن لعاقل أن يتصوره .

والعقل كذلك عاجز عن إدراك غيب الحاضر فهو يدرك ما يحسه ، أما البعيد عنه فهو خارج عن إدراكه ، وبعيد عن نطاق عقله .

وعجز العقل عن إدراك المستقبل أمر مسلم لا يدعيه أحد ، وكل ما يتصوره العقل هو التوقع ، والأمانى .

وسبب هذا العجز أن العقل محدود بالزمان ، والمكان ، والثقافة ، والاعتقاد ولا يمكنه أن يخترق هذه الحجب إلا بعامل خارجى ، وقد دلت تجارب الناس أن آفة الأخبار رواتها ، وأن أغلب الناس يعملون لمصلحتهم ، وإن تناقضت مع الآخرين، ومن هنا كان العجز عن اكتشاف الأمور البعيدة على وجهها الصحيح

وحاجة الإنسان لاكتشاف هذا الغيب من الأمور الهامة النافعة ، ولذلك كانت حاجته إلى الدين ، ليكشف الله له كثيراً من الغيب .

فبواسطة القصص الموحى به ، يعلم الإنسان غيب الماضى .

وبواسطة التشريعات ، والنظم والتوجيهات الخلقية يمكنه أن ينظم حياته ، ويتصل بالناس سواء كانوا معه ، أو كانوا بعيدين عنه .

وبالنسبة للمستقبل يجده الإنسان صفحة مكشوفة بسبب الوحى الذى أرشد إلى العمل وربطه بنتائجه .. وهكذا يحتاج الإنسان إلى الدين لينكشف له الغيب فى حدود ما يصلحه ، ويفيده .

٢) نظم الحياة تحتاج إلى تشريعات ، وقوانين تحدد مسارها ، وتبين ما يفيد ،

وما لا يفيد ... وحين يترك هذا التنظيم للعقل البشرى يحدث الخلل والاضطراب .

وسبب هذا الخلل أن العقل المحدود يشرع بمفهومه القاصر ، ولا تتسع أفكاره لغير بيئته ... ولذلك تتعدد النظم ، وتتناقض ، ويصير الصالح فى الشرق ضاراً فى الغرب ، وما هو صالح اليوم لا يصلح غداً ... وما يعده البعض حرية وكرامة ، يراه الآخرون ذلا ، وإهانة .... ومن هنا كانت ضرورة وضع النظم من مصدر عالم بالأكوان كلها ، لا يتأثر بفريق دون فريق ، ويضع ما يحقق المصلحة الدقيقة للكافة .... ويشمل علم الزمن كله فيصنع التشريع الصالح لكل زمان ، ولكل مكان ، ولكل مخلوق .

إن من الحقائق العلمية أنه لا يقدر على وضع الخطة الدقيقة ، الموصلة إلى الفوز ، والفلاح إلا عالم بالواقع الحقيقى للحياة ، والأحياء ، والخبير بسبل الفوز ، والنجاح ، والمحيط بالغاية الموجودة ، والعقل البشرى يعجز عن ذلك تماماً .

ولا يقدر على ذلك إلا الله تعالى الذى أوحى دينه للناس بواسطة رسول يبعثه فيهم ... ومن هنا كانت ضرورة الدين .

٣) يتمنى الإنسان لنفسه أن يكون حراً ، لأن الحرية أساس الكرامة ، وقد جرت عادة الناس أن يعلو الغنى الفقير ، ويستذل القوى الضعيف ... وتنوع الناس فى كل مجتمع أمر حتمى ، وحين يترك الأمر للناس يحدث إذلال الكثير من العباد لغير سبب معقول ... والخلاص من هذا هو اتباع دين الله تعالى لأن الله تعالى هو رب الجميع ، والخلق عنده سواسية ، وأكرمهم عنده أتقاهم ، والكل عبيد له سبحانه وتعالى ... وحينما يلتزم الناس بدين الله تعالى يجدون أنفسهم فى خط متساو ، يعملون لله ، ويخافون منه ، ويرجون منه ما يريدون ، والاتصال بالله أمر يسعد النفس لأنه مصدرها ، والعبودية لله حرية للإنسان ، و اللجوء إليه سبحانه وتعالى ، هو الكرامة فى الحقيقة .

وإذا شعر أفراد المجتمع بهذه المساواة فإنهم يعيشون أعزة متعاونين ، وأخوة متحابين ، ومن هنا كان التدين أمراً ضرورياً لتحقيق حرية وكرامة الناس .

٤) الحياة مليئة بالمواقف الصعبة التى تولد الحيرة فى القلوب ، وتصيب الإنسان باليأس والقنوط ... ويشتد هذا اليأس كلما بعد الإنسان عن الله ، وضعف تدينه ... وحينئذ يلجأ إلى العقل فيزداد حيرة ، واضطراباً .

يصاب الإنسان بالمرض ، أو يناله مكروه ... أو تبور تجارته ، أو يموت ولده أو يفشل فى أمر سعى إليه ، وتمناه ... وحينئذ يعيش قلقاً محتاراً ، وتتناوشه أمراض النفس ، وتتكالب عليه الأزمات ... ويلجأ لعقله فلا يجد مخرجاً وتزداد عقده ، الأمر الذى يؤدى إلى الانتحار ، أو اعتزال الحياة ، والهروب إلى المعاصى والمنكرات ليبتعد عن وضعه الكئيب .

ولو لجأ الإنسان فى مصائبه إلى الدين ، وعلم أن كل شئ بقدر الله ، وأن من البلاء ما هو اختبار ، وامتحان ، وأن كل ما فى الدنيا لا يساوى شيئاً من نعيم الآخرة ... وعلم أنه مكلف بالصبر والرضى ، والتوجه إلى الله ، والالتزام بكل ما أمر به ... لو فعل ذلك يعود إليه الأمل ، ويرضيه الله ، ويملأ حياته بالرضى والهدوء .

ومن هنا كانت ضرورة الدين ليتغلب الإنسان على متاعب الحياة الدنيا .

وكلما اقترب الإنسان من ربه ، والتزم منهاجه ، ولجأ إلى رحابه ، واعتصم بحبله ، هداه ، وأرشده ، وصانه ، وحماه ، وأعزه ، وكفاه ، يؤكد هذا قوله — تبارك وتعالى — فى محكم كتابه ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴾[1] ، فمن اتصل بالله ، وتوكل عليه ، وجعله أمله وعمله هداه، ونجاه ، ونصره على كل من يعاديه .

إن الغرور بالعقل يجلب الضرر ، والأذى ... وأول ما يأتى الضرر يكون

---

(١) سورة الزمر الآيتان ٣٦ ، ٣٧

للعقل أولاً فيصاب بالحيرة ، وعدم الفهم ، والبعد عن الإدراك السليم .

إن كل شئ يعيش فى مجاله ، ويتلاءم معه ... ومجال العقل محدد بطاقاته ، وقدراته ... ومسئوليته أن يفهم الوحى ، ويدرك الآيات التى خلقها الله فى الكون ، والحياة ، ويعيش عبداً مطيعاً لخالقه سبحانه وتعالى .

والإنسان إذا تعهد نفسه بالحياة الدينية والسير على ضوء ما جاءت به القواعد الشرعية كان دائم السعادة ، غنياً بالله ، عزيز الجانب ، نقى السريرة ، محباً للخير ، يعمل لصالح نفسه ، ولإخوانه ، وللإنسانية كلها على ضوء دينه الحنيف ، فينجو من شقوة الدنيا ، وعذاب الآخرة .

ـ المبحث الثانى ـ
الفطرة ركيزة إيمانية فى الإنسان

الفطرة طبيعة الإنسان الأصلية ، مجردة عن ما يلحقها من شـوائب المـادة ، وسوءات الهوى ، وظلمات الجهل ، والتقصير ، وهى الصورة النقية الـتى يولـد الإنسان بها ، وتأخذ فى النمو بنمائه ما عاش فى خط الإنسانية المستقيم .

والذاتية الإنسانية تتجه بفطرتها إلى الخير ، وتسعد بالقيم الطيبة ، وتتواءم مع دين الله تعالى بيسر ، وتلقائية ... لأن الإسلام دين الفطرة التى خلق الله الناس عليها يقول الله تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [(١)] فالفطرة عبارة عن ملكات الحس ، والفكر ، والوجدان فى الإنسان ، وهى مستودع اليقين بل إنها باحثة عن الحق المؤكد لا ترضى بغيره بديلاً ، وقد جعلت الآيـة الفطـرة مضافة لله تعالى تشريفاً لها ، وبينت أنها الإسلام ، وأنها فطـرة النـاس ، إفـراداً وأجناساً ، وجماعات ، وأمماً ، وشعوباً ... فهى ثوب جميل يبرز فيـه الإنسـان والإسلام معاً .

إن الإنسان ساعة أن يؤمن إيماناً حقيقاً يشعر بحلاوة الإيمان ، وبلذة الرضى ، وسعادة المعرفة والوصول ، لأنه وصل إلى حاجات فطرته الصحيحة ، أمـا غـير المؤمن فإنه قلق متألم ، مريض ، لا يشعر لا بالأمن ، ولا بالسعادة ، وإن استجمع شرائطها المادية ، وسبب ذلك ، أنه بعدم الإيمان يعاند الفطرة ، ويبعد عن منـهج سعادتها.الذى لا يمكن تبديله ، أو تغيير أثره فى فطرة الناس .

وانظر إلى الآية تجدها تعبر بلفظ " الناس " على الجمع ، لإفادة أن الناس علـى اختلاف أجناسهم ، وألوانهم ، وبيئاتهم ، وأزمانهم ، تتحد فطرتهم مع دين الله تعـالى "الإسلام " ، والآية تشير إلى أن الإسلام هو الفطرة بعينها .

---

(١) سورة الروم الآية ٣٠

وقد وضحت الآية أن الفطرة هى الأصل الإنسانى الثابت ، الخالى من العقد ، الصافى فى التفكير ، الهادئ فى التصور ، الدقيق فى الحكم المتناسق مع الإسلام ، دين الله ، ذى العقيدة السهلة ، والشريعة الميسرة ، والخلق الكريم .

وكأن الإنسان فطرة جزئية ، والإسلام فطرة كلية ، فإذا ما التقيا تجاذبـــا ، وذاب الجزء فى الكل ، وصار الإنسان السوى مسلماً ، ربانياً ، ســـعيداً ، آمنـــاً برضوان الله تعالى .

إن الإسلام فطرة الله ، وقد خلق الله الناس على الفطرة فهما معاً شئ واحد ، وإن اختلفا جوهراً ، وحقيقة [١] .

ولكن ما هى الفطرة التى جعلها الله تعالى أداة استقبال وترحيب للإسلام فى الإنسان ؟

تقول كتب اللغة : الفطرة لها معان كثيرة ، منها : البدء ، ومنـــها الخلـــق ، ومنها الدين ، جاء فى القاموس المحيط : الفطرة هى الخليقة التى خلق عليها المولود فى رحم أمه ، وفطر الله الخلق : خلقهم وبدأهم ، وفطر الأمر : ابتدأه وأنشـــأه ، والفطرة أيضاً هى الدين [٢].

وجاء فى تاج العروس : فطر الله يفطرهم فطراً ، خلقهم وبدأهم ، وفطر الأمر ابتدأه ، وأنشأه ، ومنه قول ابن عباس ﷺ : ما كنت أدرى ما فاطر الســـماوات والأرض حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر ، فقال أحدهما : أنـــا فطرتهـــا ، أى ابتدأت حفرها ، والفطرة بمعنى الخلقة [٣] .

وجاء فى لسان العرب : والفطرة : ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به ، وقد فطره يفطره ، بالضم فطراً أى خلقه .

---

(١) أصول الدعوة صـــ١٤

(٢) القاموس المحيط جـــ٢ صـــ١١٠ مادة "فطر "

(٣) تاج العروس جـــ٣ صـــ٤٧٠

وقول النبى ﷺ : " كل مولود يولد على الفطرة " يعنى الخلقة التى فطر عليها فى الرحم من سعادة أو شقاوة ، فإذا ولده يهوديان هـوداه فى حكـم الـدنيا ، أو نصرانيان نصراه فى الحكم ، أو مجوسيان مجساه فى الحكم ، وكان حكمه حكـم أبويه حتى يعبر عنه لسانه ، فإن مات قبل بلوغه مات على ما سبق له من الفطـرة التى فطر عليها ، فهذه فطرة المولود ، **وفطرة ثانية** وهى الكلمة التى يصير بها العبد مسلماً ، وهى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسوله ، جاء بالحق من عنده ، فتلك الفطرة هى الدين ، والدليل على ذلك حديث البراء بن عازب ﷺ [١] الذى رواه البخارى بسنده أنه قال : قال رسول الله ﷺ : **إذا أتيت مضجعك فتوضـأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ، ثم قل : اللهم أسلمت وجهـى إليك ، وفوضت أمرى إليك ، وألجأت ظهرى إليك ، رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك ، اللهم آمنت بكتابك الذى أنزلت ، وبنبيـك الـذى أرسلت ، فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة ، واجعلهن آخر ما تتكلم به .**

قال : فرددها على النبى ﷺ ، فلما بلغت اللهم آمنت بكتابك الذى أنزلت قلت : ورسولك قال : لا ، ونبيك الذى أرسلت [٢].

والعلماء لا يبعدون على المعانى المستفادة من كلمة الفطرة ... ومجمل أرائهم أن الفطرة هى الجبلة التى خلق الله الإنسان عليها بما فيها من سـلامة القلـب ، وطهارة العقل ، والميل للحق ، وقبول الحسن ، والإسراع للإسلام حين التقائها به .... لدرجة أن كثيراً من العلماء يذهبون إلى أن الفطرة هى الإسلام ، مسـتدلين بقوله تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٣] .

---

(١) لسان العرب جـ٥ صـ٣٤٣٣

(٢) صحيح البخارى جـ١ صـ١٧٨ كتاب الوضوء باب فضل من بات على الوضوء .

(٣) سورة الروم الآية ٣٠

يقول الشوكاني : الفطرة في هذه الآية معناها الملة ، يؤكد ذلك ما رواه **البخارى عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء "** [١] **ثم يقول أبو هريرة** ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [٢] فكل فرد من أفراد الناس مفطور أي مخلوق على ملة الإسلام حيث أخذهم ربهم من ظهر آدم عليه السلام وسألهم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ ﴾[٣] ، ولكن لا اعتبار بالإيمان والإسلام الفطريين ، وإنما يعتبر الإيمان والإسلام الشرعيان ، وهذا قول جماعة من الصحابة ومن بعدهم ، وقول جماعة من المفسرين وهو الحق [٤] ، لأن الإيمان والإسلام الفطريين لا اختيار للإنسان فيهما فلا تكتب لصاحبهما النجاة إلا إذا وجد منه إيمان وإسلام شرعيان ، فيطابق اختياره فطرته [٥].

والإمام الشوكاني بهذا يبين أن الفطرة نوعان :

أولاهما : سماها الفطرة الذاتية ، وهي التي توجد في الإنسان بصورة تلقائية ، بقدر الله تعالى حيث جعلها جزءاً من الإنسان .

والثانية : سماها الفطرة الاختيارية ، وهي الفطرة التي تتفاعل مع العقل ، ويصاحبها التفكير ، والاقتناع .

والصلة بين الفطرتين وثيقة لأن الفطرة الذاتية تعد تمهيداً للاختيارية ، وتتحد ، معها وتشد من أزرها ما لم يوجد عائق أمامها من جحود الشهوة ، وجمود التفكير

---

(١) صحيح البخارى جـ٢ صـ٤١٢ كتاب الجنائز – باب إذا أسلم الصبي فمات ط الأوقاف .

(٢) سورة الروم الآية ٣٠

(٣) سورة الأعراف الآية ١٧٢

(٤) فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني جـ٤ صـ٢٤٤ دار الفكر .

(٥) دراسات في العقيدة صـ٣٥

إن الفطرة الطبيعية فى الإنسان تنظر إلى آيات الكون ، وتهدى إلى خالقها ، من خلال تخيلها لما ترى ، ومن عجيب ما تشاهد .

والآيات من حول الإنسان كثيرة ... والأسئلة تأتيه من كل جانب.

ومن أمثلة هذه الأسئلة :

من الذى وضع السكر السائل فى القصب ؟ وهو يروى بالمـــاء ، ويغـــذى بالتراب ، وعناصر الطين ؟

من الذى وزع الألوان ، والعطور على الورود ، والأزهار ؟.

من الذى رص الحب فى السنابل ، وغلف كل حبة بقشرها ؟

من الذى رفع السماء ؟ وبسط الأرض ؟ ووزع الكواكب والنجوم ؟ ومـــن الذى ؟ ومن .... ومن ....

والفطرة وهى تتسائل على هذا النحو تصل إلى الحق ، وتدرك أن الله خالق كل شئ ، وهو الذى جعل الأرض قراراً ، والسماء بناء ، وهو على كل شئ قدير [١].

وبعض العلماء يذهب إلى أن الفطرة تظهر فى الإنسان وهو فى ســـن مبكـــرة ، حيث نراه ينظر إلى آيات الكون ، ويحاول اكتشاف أسرارها بتوجيه الأسئلة البسيطة لوالديه أو لأحدهما .

إن الطفل يسأل والديه بتلقائية ، وبساطة .... ومن أسئلة الصغار :

- **من الذى عمل السماء ؟**
- **من الذى أوجد السمك فى الماء ؟**
- **من خلق ماء البحر مالحاً ، وجعل ماء النهر عذباً ؟**
- **لماذا السماء زرقاء ؟**
- **أين تذهب الشمس فى الليل ؟**
- **لماذا لا تظهر الشمس لنا فى الليل ؟**

---

(١) أصول الدعوة صـــ١٣

- **أين يذهب النور حين يأتى الظلام ؟**
- **أين يختفى الظلام إذا جاء النهار ؟**
- **من الذى يحرق الشهب فى السماء ؟**
- **لماذا لا تلمع النجوم ؟**
- **أين تنتهى الأرض ؟**
- **لماذا كانت هذه الزهرة ذات رائحة ، والزهرة الأخرى ليس لها رائحة ؟**
- **من أين جئت ؟**
- **أين كنت قبل أن أجئ ؟** ..... إلخ .
- **كيف كان مجيئى ؟**

وبمثل هذه التساؤلات يبدأ التدبر فى آيات الكون وهو أول طريق الإيمان .

إن هذه الأسئلة ، وأمثالها التى يعايشها الآباء مع أبنائهم تدل على توجه فطرة الصغير نحو موضوعها ، وهو أول الطريق إلى الإيمان بالله تعالى .

إن هذا الاستعداد الفطرى فى الإنسان هو ركيزة من ركائز الإيمان .

إن الماديين يحاولون صرف الأذهان عن علل الموجودات ، وأسرار الحياة ، وذلك بإشغال الفطرة بالمحسوس ، وإغراقها فى الشهوات حتى لا تذهب إلى مجالها الإيمانى العظيم .

وعلى الدعاة أن يعملوا على إيقاظ الفطرة ، وتنميتها ، وإنقاذ الإنسان من غبش المادة ، وظلمات الشهوة ... وإبعاده عن كل ما يضر فطرته ، ويضعف قوتها

وطرق إيقاظ الفطرة عديدة منها :-

- توجيه الناس إلى النظر فى أنفسهم ، وما فيها من عجائب الخلق ، وصور الإبداع .
- توضيح ما فى الكون القريب من آيات ، تشهد على قدرة الله تعالى ،

وحكمته ، وفضله على الناس أجمعين .

➢ الوقوف على حالات النفس ، والعقل ، والصور التى يعيشها الإنسان ، من فرح ، وحزن ، وضحك ، وبكاء ، وأمل ، وألم ، لأن هذه الأحوال لا يـــدبرها ، ولا يحدثها إلا خالق الكون كله .

➢ الرزق وتباينه ، كما ، وكيفاً ، ونوعاً ... من غير تحكم فيه لأحد ، يؤكد قدرة الله فى حركة الحياة ، وكشف ذلك للفطرة يربطها بالله الرازق ، ذى القـــوة المتين .

➢ الموت ، وحدوثه لسائر الخلق ، يؤكد قدرة الخالق ، العظيم ، الـــدائم ، وتذكير النفس به ، يؤكد الفطرة ، ويقويها ، ويشجعها على إخلاص العبادة لله ، والديمومة فى رحاب الله العظيم .

وقد اهتم الإسلام بالعاطفة ، ووجهها نحو وظيفتها التى جبلت عليها ، ومن هذا الاهتمام نرى :-

١) إثارة الوجدان لتدبر آيات الله فى الكون ، وإزالة التبلد الذى يقع فى حس الإنسان من المشاهد المكررة ، وذلك يشمل الحديث عن الكون بضخامته الهائلـــة ودقته المعجزة ، وظاهرة الموت ، والحياة ، وإجراء الرزق ، وإجراء الأحـــداث ، وقدرة الله التى لاتحد ، وعلم الله الشامل للغيب ، كل بطريقة فذة تجعل الإنســـان يستقبل هذه الأمور كلها كأنه يراها ، ويلاحظها لأول مرة ، فينفعل بها وجدانه ، ويستيقظ لحقيقة الألوهية .

٢) إثارة النظر ليتفكر فى خلق الله ، حتى يدرك أن لهذا الكون خالقاً ، وأنه لا يمكن أن يكون له شريك فى الخلق ، ولا فى تدبير الأمر ، وهذا يشـــمل كـــل الإشارات السابقة ولكن بطريق آخر غير إثارة الوجدان والانفعال ، هو طريـــق التفكير والتدبر المنطقى ، وإن كان يلاحظ أن الطريقتين كثيراً ما تقترنان معـــاً فى آيات كثيرة من آيات القرآن ، فيخاطب الوجدان ويخاطب العقل فى آن واحد .

٣) مواجهة الإنسان بحقيقة ما يدور فى داخل نفسه وقت الشدة ، من اللجوء إلى الله ونسيان الشركاء ، ومن الغفلة ، والنسيان ، والبغى ، فى الأرض بغير الحـــق ، بمجرد زوال الأزمة ، ونجاته من الخطر ، وهى حقيقة كثيراً ما ينساها الإنسان فيذكره الإسلام بها ليصحح سلوكه تجاه الله ، ويستقيم على العقيدة السليمة .

٤) مناقشة الانحرافات كلها التى يقع فيها الناس تارة بالدليل العقلى، وتارة بالدليل الوجدانى ، ودحضها، وبيان تفاهتها ، وعدم قيامها على أى أساس صحيح ونلاحظ هنا كذلك أنه كثيراً ما يقترن الدليل العقلى بالدليل الوجدانى فى مناقشة الانحرافات .

٥) التذكير الدائم بقدرة الله التى لا تحد ، وعظمته وجلاله حتى يخشع القلب ويستسلم لله .

٦) التذكير الدائم بأن الله مع الإنسان يراه ، ويراقبه ، ثم يحاسبه يوم القيامة عل ما عمل من خير أو شر ، وإشعار الإنسان بعلم الله الشامل الذى لا يغيب عنه مثقال ذرة فى السماوات ، ولا فى الأرض ، ولا يخفى عليه من عمل الإنسان شئ حتى السر وما هو أخفى من السر .

٧) التذكير الدائم بالله سبحانه وتعالى فى حالتى السراء والضراء ، ففى السراء ينبغى على الإنسان أن يذكر الوهاب المنعم فيشكره ، وفى الضراء يصبر الإنســـان لقضاء الله ويتوجه إليه ليكشف عنه الضر .

٨) إيراد القصص التى تثبت الإيمان ، بذكر الأنبياء وصـــبرهم علـــى الأذى ونصر الله لهم فى النهاية ، والكفار وعنادهم وتدمير الله عليهم فى النهاية .

٩) رسم الصور المحببة للمؤمنين ، وصفاتهم ، وما ينالهم من جزاء ،والصور الكريهة المنفرة للكافرين وما ينالهم من جزاء [١]

---

(١) ركائز الإيمان صـــ٢١ ، ٢٢

ـ المبحث الثالث ـ
العقل ركيزة إيمانية فى الإنسان

عقل الإنسان نتاج لقاء روحه بجسده ، وبه يتميز الإنسان على سائر مخلوقات الله عز وجل .... وبواسطته ساد الكون ، وسخر الله له كل شئ .

والعقل ملكة فى الإنسان يناط بها الوازع الأخلاقى ، واكتشاف الحسن ، والقبيح ، وإدراك المعروف ، والمنكر .

والعقل مشتق من عقل أى ربط ، وسمى العقال عقالاً لأنه يربط الدابة ، فيمنعها من المسير .

والعقل الإنسانى يقوم بعديد من الوظائف التى يحتاج إليها الإنسان فهو :-

ملكة الإدارك والتصور ، يفهم خواص الأشياء ، ويدرك علاقة بعضها ببعض وهذه الملكة العقلية تجند الحواس لها ، فالعين ترى حركة الشجر ، والحواس تلمس جريان الهواء ، وحينما تصل الحركتين معاً إلى العقل يدركهما ، ويدرك العلاقة بينهما ، وهذا الإدراك عام لأنه يشمل القضايا الأخلاقية والقضايا التى لا صلة لها بالأخلاق ، وهكذا تعمل الحواس على إيصال صور الأشياء للمخيلة ، والعقل يحول الصورة إلى فهم مدرك وإلى مسألة مركبة .

والعقل ملكة التخييل ، والتحليل ، والاستنتاج ، والحكم ، فهو يدرك حركة الريح ويستنتج منها نزول المطر ، أو شدة الحرارة ، وينظر إلى حركة الليل ، والنهار ، فيستنتج وجود الله ، وقدرته ، ولذا فإن ملكة الحكم تتصل بها الحكمة ، إذا توصلت لمعرفة ما يجب أن يكون ، وما يجب أن يترك .

والعقل يوصل إلى الرشد ، وهو الهداية ، وهو أعلى خصائصه ، وعندها يكون التكوين فى العاقل الرشيد ، وتمام النضج عنده ، وقد يؤتى الإنسان من نقص فى الإدراك أو نقص فى الحكم ، لكن العقل الرشيد ينجو به الرشاد من النقص ، والهوى

والعقل بهذا المفهوم لا يعمل فى المجال الروحى فقط ، ولا يكتفى بالمجال

الجسدى فقط إنه خليط منهما ، ويعمل فى مجاليهما ، فهو أهم جزء فى الإنسان وبه يكون الإنسان إنسانا .

وليس العقل ما به الحياة ، فالمجنون يفقد الإدراك والحكم ، والرشد ، ومع ذلك فهو حى يرزق ، يحيا ، ويعيش .

هذه القوة الخطيرة فى الإنسان لا تعرف التوقف ، ودائماً تدور فى فلكها وتكتشف ما حولها ، وتربط المسبب بسببه ، والعلة بمعلولها ، والأصل بفرعة ، حتى تصل لحكم ونتيجة .

ولعل أفضل ما يصل إليه العقل ، ويتيقنه هو الإيمان بالله تعالى وبذلك كان العقل هو الركيزة الثانية للإيمان فى الإنسان ، ولهذا كان اهتمام الإسلام بالعقل فقدر الإنسان به ، وأرشده ليقوم بدوره ، ومدحه بأوصافه ورتبه .

فعن **العقل المدرك** يقول الله تعالى ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾(١) .

وعن **العقل الحكيم** يقول الله تعالى ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(٢) وغالباً ما يسمى هذا العقل باللب وبالألباب .

وعن **العقل الرشيد** يقول الله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾(٣) .

ودور **العقل الرشيد** هو الفكر والرشد ، والهدى .

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٤٣

(٢) سورة البقرة الآية ٢٦٩

(٣) سورة آل عمران الآية ١٩١

يقول الشيخ محمد عبده : جاء الإسلام يخاطب العقل ، ويستصرخ الفهم ، واللب فى إرشاد الإنسان من أجل العمل نحو سعادة الدنيا والآخرة ، وتهدف الشريعة الإلهية تصحيح الفكر ، وتسديد النظر ، وتأديب الأهواء ، وتحديد مطامح الشهوات ، والدخول إلى كل أمر من بابه ، وطلب كل رغباته من أسبابها ، وحفظ الأمانة ، واستشعار الأخوة ، والتعاون على البر ، والتناصح فى الخير ، والشر على حد سواء .

وبشئ من التركيز يمكن الإشارة إلى العقل على أساس أنه الركيزة الكبرى للإيمان فى الإنسان وهى التى توجه إلى الدين الحق الذى جاء به من عند الله تعالى .

ومن أجل اختصاص الإنسان بنعمة العقل المدرك ، الباحث على الحق ، المشرق بالخير ، والآمن بالإقناع ، من أجل ذلك اتجهت الدعوات الإلهية لهذا الإنسان تخاطب فيه عقله ، وتقدم الدليل تلو الدليل ، من أجل فهم الآيات الدافعة إلى التصديق ، وقد كثر فى القرآن الكريم تعداد الآيات مع الإشارة إلى هدف إيرادها ، مثل قوله تعـــالى ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [١] أو ﴿ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ أو ﴿ لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ أو ﴿ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ وكلها فى العقل ، وإليه ،ومعه .

إن كافة أساليب القرآن الكريم البيانية تتجه إلى العقل تستحثه على النظر والتدبر ، والاستفادة بما تميز به من تخيل وتدبر ، وفهم واستنباط .

لقد كان من الممكن أن تأتى الدعوة الإسلامية توجيهاً للناس بلا توضيح للدليل ، أو بيان للعلل ، أو شرح للهدف والغاية ، وحينئذ يكون خطاب الدعوة الإسلامية للناس كمن يأتى للإنسان ويقول له : أغمض عينيك وسر ورائى لأن الطريق ملئ بالمخاطر ، والمخاوف ، وسآخذ بيدك إلى النهاية ، كان من الممكن ذلك وحينئذ لا توجيه للعقل ، ولا دور له ، وفى هذا مصادمة للواقع ،وتعطيل للعقل الذى

---

(١) سورة النحل الآية ٦٧

يصعب إلغاؤه ، إن عديداً من المذاهب ، والأديان تفعل ذلك ويتبعها بعض المخدوعين ،لكنها لا تصنع من أتباعها إلا مجموعة من السذج المتعصبين الذين لا يقفون أمام البيان ، ولا يصمدون عند يقظة العقل والتفكير .

لم يفعل الإسلام هذا .

وإنما نراه يتجه إلى الإنسان ويقول له : افتح عقلك ، واسمعنى ، لنفهم سوياً البرهان المقنع ، ونستفيد بالعقل الذى أودعه الله فى الإنسان ليكون أداة توصيل للحق ورائداً نحو الخير والهدى .

يقول أبو الحسن البصرى : ينبوع الآداب هو العقل الذى جعله الله تعالى للدين أصلاً وللدنيا عماداً .

ومن نظر ورأى أن الإيمان عقيدة تستقر فى داخل الإنسان أولاً ، وتجعله يؤمن بالغيب عن يقين ، كأنه شاهده تماماً ، ويسلم كل أموره تبعاً لعقيدته ، فلا يعترض على ما يترل به ، ويدع المقادير تمشى وهو راض بها ، كيفما كانت ، من رأى ذلك علم يقيناً أن الدعوة لا يمكن أن تفرض من خارج الذات ، ولكنها تنادى الأفهام ، وتعرض مبادئها على العقل ، فإذا ما اعتنقها مصدقاً بها فقد تحقق للدعوة ما تريد ، وأصبحت تشريعاتها مطبقة فى ملاءمة مع الواقع ولهذا كان اهتمام القرآن بالعقل تنبيهاً لشأنه ، وتوضيحاً لضرورته .

ولأجل العقل كانت الآيات الكونية التى أشار الله تعالى إليها فى كثير من الآيات منها قوله تعالى ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[1] ، وقد أورد القرآن الكريم العديد من آيات الله فى الكون ، لينظر العقل فيها ، لتأخذه إلى الإيمان بالله تعالى .

إن الآيات الكونية الموجودة فى الآية وغيرها كثير دلائل لمن ينظر ويعتبر بالآثار العلوية الفلكية ، والسفلية الأرضية ، والذاتية النفسية .

---

(١) سورة النحل الآية ١٢

ولا يقدر على النظر فى الآيات سوى العقل الذى يدرك ويفهم ، أما غيره فإنه لا يهدى صاحبه إلى خير ، ولا يوصله إلى صواب .

والقرآن الكريم يعيب على من يهمل عقله ، فيقع فى أخطاء عديدة ، كمن يأمر غيره بالبر وينسى نفسه ، نتيجة ضعف عقله ، وهذا يستنكره الله فى قــوله تعــالى ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[١] .

فتراه سبحانه ينكر تعطيل العقل عند من يفعل ذلك .

وفى الآية توضيح عظيم بينه الزمخشرى فى تفسيره وهو يقول : أفلا تفطنون لقبح ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه ، وكأنكم فى ذلك مسلوبو العقول لأنها فى الواقع تأباه وتدفعه إذا وجدت ، وأدت وظيفتها التى جعلها الله لها[٢] .

ونلحظ من القرآن أنه يرجع سبب إهمال العبادة ، والاستهزاء بها ، والانصراف إلى اللهو واللعب ، إلى نقص فى العقل ذاته ، يقول تعالى ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾[٣] .

وذلك لأن لعبهم وهزءهم بالعبادة من أفعال السفهاء والجهلة ، فكأن من يفعل ذلك لا عقل له .

وأشار القرآن كذلك إلى من يفسد خلقه ، ويضيعه ، ويعمل الفرقة ، والعزلة والجفاء ، والخشونة ، ويباشر الكذب ، والضلال ، فبين أن ذلك يرجع إلى عدم اكتمال العقل ، وما كان الأمر هكذا إلا لأن العقل هو الذى يرقى بصاحبه ، ويرفعه إلى مستواه فى الإنسانية ، فيعرف الله وحقه والدين وتعاليمه ، والنفس ومداها ، فلا يقع بعد معرفته فى سوء ، ومن أهمل العقل فقد أسقط كرامته ، ويكفى

---

(١) سورة البقرة الآية ٤٤

(٢) تفسير الكشاف جـ١ صـ٢٧٧

(٣) سورة المائدة الآية ٥٨

أنه وضع نفسه فى مكان سحيق بينه الله فى قوله تعالى ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[١]

فشبه الله من لا يعقل كالدابة لكونه أصم ، وأبكم ، أو سماه دابة من غير تشبيه لنفس السبب[٢] وذلك كله ذم وتقبيح على إهمال العقل والتدبر .

يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[٣] والمعنى ويجعل الرجس أى الخبل والضلال على الذين لا يعقلون حجج الله وأدلته [٤] . وكأن هؤلاء الأقوام قد هيأوا أنفسهم لجهنم ، ووضعوها فى صف البهائم ، أو أنزل منها، بسبب أنهم لا يعقلون بفهمهم ، ولا يتدبرون بحواسهم ، يقـــول تعالى ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾[٥]

وإنما كانوا أنزل من الأنعام لأن الإنسان ، وسائر الحيوان كما يقول الرازى يشتركان فى قوى الطبيعة الغاذية ، والنامية ، والمولدة ، ويتشاركان أيضاً فى منافع الحواس الخمس الباطنة ، والظاهرة ، وفى أحوال التخيل ، والتفكير ، والتذكر ، وإنما حصل الامتياز بين الإنسان ، وسائر الحيوانات فى القوة العقلية ، والفكرية التى تهدية إلى معرفة الحق لذاته ، والخير لأجل العمل به ، فلما أهملوا العقل ، والفكر كانوا كأنعام بل هم أضل لأن الحيوانات لا قدرة لها على تحمل هذه الفضائل ، والإنسان يستطيع ، و لم يفعل [٦] .

---

(١) سورة الأنفال الآية ٢٢

(٢) مفاتيح الغيب جـ٤ صـ٥٣٠

(٣) سورة يونس الآية ١٠٠

(٤) تفسير ابن كثير جـ٥ صـ١٤١ هامش فتح البيان

(٥) سورة الأعراف الآية ١٧٩

(٦) تفسير مفاتيح الغيب جـ٢ صـ٤٧٢

وواقع الآيات يدعو إلى النظر العقلى عن طريق التأمل فى الآيات الكونية ، والمعنوية ذلك لأن ترك النظر يعمى عقل الإنسان عن الآيات البينات .

يبين أبو السعود هذا الواقع بقوله : فى هذا حث للناس لأن يسافروا ليروا ويعتبروا بما حدث لمن ظلم نفسه .

ولتأكيد الاعتماد على العقل نجد القرآن الكريم يحذر الإنسان من فساد الكهان ، والأحبار، أينما كانوا، فأسقط سلطانهم ، ونفى عنهم القدرة على التحليل ، والتحريم ، وبين ذلك حتى لا ينخدع أحد بهم فقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾[١] .

وذلك لأنهم فوق محافظتهم على المال يكنزون الذهب والفضة ، ويأكلون أموال الناس بالباطل ، ويحوزون ثقة الناس ، ويصلون فى نظر متبعيهم إلى القداسة كما حدث من اليهود والنصارى حيث يقول الله تعالى عنهم ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[٢] .

وقد بين الاستعمال ، والعرف أن الأحبار مختصون باليهود ، والرهبان مختصون بالنصارى ، إلا أن ذكرهم معاً يفيد أيضاً التحذير ممن له صفة دينية أيا كان اتجاهه ، كالرهبان ، أو من يتصل بهم تعليماً ، وفقهاً كالأحبار ، ذلك لأن الوضع اللغوى يفيد أن الراهب من ظهرت أثار الرهبنة على وجهه ولباسه ، والحبر هو العالم الذى يحسن البيان ، ويحبر المعانى [٣]

وبعد أن يترك الإنسان اتباع الهياكل الدينية ، والأسلاف ، عليه أن يجهد عقله

---

(١) سورة التوبة الآية ٣٤

(٢) سورة التوبة الآية ٣١

(٣) مفاتيح الغيب جـ٦ صـ٥٢٤

فى البحث عن الدليل ، والوصول إلى النتائج عن إقناع ، ويقين ، حتى تكون عقيدته كما تريدها الدعوة لمعتنقيها أمينة ، صحيحة .

ومن أجل المحافظة على القدرة الكاملة للعقل لم تقم الدعوة الإسلامية أساساً على المعجزة الحسية الخارقة للعادة ، لأن صاحبها لا يثبت بها وحدها أمام المجادلة ، والشكوك ، ولذلك لما طلبها المشركون ، وقالوا للنبى ﷺ ، ما حكاه الله تعالى فى قوله سبحانه﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ۝ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلاً ۝ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولاً ﴾[1]

لما طلب المشركون هذه المعجزات الحسية أنكرها النبى ﷺ عليهم وقال لهم : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولاً ﴾ .

وذلك لأن الإيمان يحتاج إلى اقتناع كامل ، وفهم دقيق ، ولو تم الإيمان عن طريق المعجزة الحسية لكان تسليماً لا يتساوى مع طلعة العقل المدرك الذى يفحص ويفهم ، وإنما أنكر الله مطالبهم بهذه الشدة ، لأنهم طلبوها بعد ما أتاهم القرآن مفصلاً مشتملاً على أدلة التوحيد ، مشيراً إلى قصص السابقين ومبيناً موقفهم من الإيمان والكفر ، فلما طلبوا الآيات الحسية بعد ذلك أكدوا كفرهم وعنادهم ، وقالوا ما قالوا فكان المناسب أن ينكر الله طلبهم بشدة ، وقوة .

وكان من الممكن أن يترك الإنسان ليهتدى بعقله وحده ، لكن ضلال الفكر فى الدين يوم ظهور الدعوة صنع عائقاً أمام العقل ، فكان الوحى لازماً بعد ذلك لينبهه ويذكره ، لأن مهمة الرسول ﷺ هى توجيه العقل نحو الطريق السوى ، ومثله فى

(١) سورة الإسراء الآيات من ٩٠ إلى ٩٣

الناس كمثل المبصر الذى يأخذ بيد الأعمى ، ويوصله إلى رأس الطريق ، ثم يتركه يذهب إلى بغيته .

ومن هنا كان القرآن وهو معجزة الإسلام الكبرى مفهوماً ، ومطابقاً لقوانين الفكر ، ولذلك لم ينكره عقل ، وإن عجزت سائر العقول عن مجاراته .

وقد أورد القرآن الكريم كثيراً من التساؤلات المتعلقة بأصول الدين التى جاءت على ألسنة الرسل عليهم السلام ، لتكون سراجاً منيراً أمام العقل يزيح به كل ما يعترضه فى تحققه واطمئنانه ، وليثبت الإيمان بالنظر والدليل .

ومن هذه التساؤلات سؤال إبراهيم عليه السلام ﴿ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ ﴾[1] وسبب السؤال يبدو من قول إبراهيم ﴿ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ فهو سؤال يتعلق كما ترى بالبعث ، وهو من أهم مسائل الاعتقاد .

ومنها سؤال الحواريين لعيسى عليه السلام ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [2] ، وسبب السؤال قولهم ﴿ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[3] وهو سؤال يتعلق بالقدرة الإلهية ، وهى من أهم مسائل العقيدة ذلكم هو العقل فى الإسلام نجاه من القهر والإجبار ، وخاطبه بالحسنى ، وأنزل له القرآن ، وساق أمامه الدليل ، وجعله سيد صاحبه يقوده إلى الخير ، والإيمان ، ويرفع عنه ظلمات التبعية ، والتقليد ، ويربطه بالحقيقة دائماً .

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٦٠

(٢) سورة المائدة الآية ١١٢

(٣) سورة البقرة الآية ١١٣

ـ الفصل الثالث ـ
مميزات الدعوة الإسلامية (الإسلام)

<u>ويتكون من</u> :





مميزات الدعوة الإسلامية

تمهيد :

كلف الله تعالى رسله ، وبعثهم إلى أقوامهم خاصة ، لتتفق كل رسالة مع من جاءهم

وقد نشأت البشرية على البداوة ، وأخذت فى التطور والتقدم ، الأمر الذى أدى إلى تعدد الرسالات تبعاً لتنوع الفكر ، وتطوره .

لقد بدأت الإنسانية بفكر بسيط فجاءهما دعوات الله بسيطة سهلة ، فلما انتقلت البشرية إلى مرحلة أعلى فى الفهم ، والإدراك أتتها رسالات جديدة مناسبة لها ... فلما تم نضج الإنسانية ، وتكامل عقلها ، ونضج فكرها ، أتاها الإسلام ملائماً لكمال النضج ، وتمام العقل .. فكمل الرسالات السابقة ، وأتمها ، فتم بذلك الدين وأصبح الإسلام دين العالم كله إلى يوم القيامة .

يصور النبى ﷺ هذه الحقائق فى قوله ﷺ : " **مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بنياناً ، فأحسنه ، وأجمله ، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ، فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين** " [١] .

فالدار هى الدين ، وصاحبها هو الله عز وجل ، والبناة هم رسل الله ، ومحمد ﷺ هو آخرهم ، وخاتمهم ، وبه تم الدين ، وكملت النعمة .

وفى هذا الفصل سنتناول الخصائص التى تميز بها الإسلام ، وذلك فى المباحث التالية :

المبحث الأول : الدعوة التامة .

المبحث الثانى : الدعوة الخاتمة .

المبحث الثالث : الدعوة العالمية .

وذلك فيما يلى :

---

(١) صحيح مسلم – كتاب الفضائل – باب ذكر كون النبى ﷺ خاتم النبيين جـ٧ صـ٦٤ ، ٦٥

ـ المبحث الأول ـ
الدعوة التامة

بعث الله محمد ﷺ بالإسلام ، وختم به سائر الأديان ، وضمنه من التعاليم ما يكفى الإنسانية كلها ، ويأخذ بيد الكافة إلى سعادة الدنيا والآخرة فى كمـــال ، وتمام .

ومن دلالات تمام الإسلام ما يلى :

ـ أولاً ـ
ضمان ضروريات الحياة

الإنسان مكون من مادة وروح ، ولابد له من إشباعهما معاً بقدر متـــوازن ، حتى لا يطغى أحدهما على الآخر ، فلا إهمال للنواحى الفكرية ، والعقليـــة ، ولا إجحاف فى حق الجسد ، والبدن .

إن الإسلام يرى أن الجسد وعاء الروح ، ولا بقاء للروح إذا انعدم الجســـد ، كما أنه لا قيمة للجسد إذا خلا من الروح ... ولذلك ذهب الإسلام إلى ضرورة المحافظة على النفس ، والولد ، ضماناً للجسد ، واستمراريته ، والمحافظة على المال ، صيانة لما يغذيهما ، ويمدهما بأسباب الحياة ... كما ذهب إلى المحافظة على العقـــل والدين صيانة للفكرة ، والعقيدة ، ومحافظة على الروح والخلق ... وبذلك يضمن الضرورات التى لابد منها للإنسان ، ليعيش كريماً ، بمادته ، وروحه .

ومن أهم ضرورات الجسد أن يكون له مال مضمون يكتسبه ، وينفقـــه علـــى معاشه ، وحياته ، لأن المال ضرورة لازمة ، فبه يتغذى الجسم ، وينمو ، ويمكنه البقاء

والروحانيون الزاهدون يرون أنه لابد من تغذية الجسم بالمقدار الذى يكفـــل البقاء ، محافظة على الروح ، وبذلك كان المال حبيب الناس ، ومعشوق البشـــر ، وضرورة هامة للجميع .

ومن أهم ضرورات الجسد كذلك المحافظة على ذات صاحبه ، وعدم تعريض

نفسه للهلاك ، ذلك لأن النفس المريضة لا تصنع لصاحبها نفعاً ، ولا تجلب له إلا الأذى والألم ، وإن هلكت النفس انقطعت الحياة ، وانعدم الإنسان نفسه .

ومن أهم ضرورات الجسد أيضاً ، أن يحافظ له على بقاء نوعه في صورة ضمان الحرص على النسل الذى جعله الله زينة ، وأملاً لصاحبه ، وفى الوقت نفسه يضمن بقاء النوع وامتداده .

وأيضاً فإن الروح تحتاج إلى الفهم ، والتصرف ، والتدبر ، عن طريق ضمان صيانة العقل ، والمحافظة على حريته ، فى الفهم ، والتدبر .

وتحتاج كذلك إلى ضمان عقيدتها التى آمنت بها ، وعدم اضطهادها بها ، وأن تكون تلك العقيدة هى دين الفطرة ، والإنسانية .

فتحقق بذلك أن ضرورات الجسد والروح معاً خمس هى : حفظ المال ، والنفس ، والنسل ، والعقل ، والدين .... وهى جميعاً مترابطة يكمل بعضها بعضاً لأن النفس ، لو هلكت لانعدم من يتدين ، ولو انعدم العقل لارتفع التكليف ، ولو انعدم النسل لانعدم الجنس البشرى ، ولو انعدم المال لم تبق حياة .

إن هذه الأمور الخمسة هى الضرورات التى تتعلق بها مصالح الدنيا والآخرة وبالمحافظة عليها تتحقق السعادة ، وينتشر السلام .

يقول الشاطبى : ومجموع الضرورات خمسة وهى : حفظ الدين ، والنفس ، والنسل ، والمال ، والعقل ، وهذه الضرورات إن فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة ، بل على فساد وتهارج وفوت الحياة ، وفى الأخرى فوت النجاة والنعيم ، والرجوع بالخسران المبين [1].

وتسمى هذه الضرورات بالضرورات العقلية لأن العقل هو الذى يؤكد ضرورتها فهى لازمة لكل إنسان .

---

(١) الموافقات جـ٢ صـ٨ ، ١٠

- ثانياً -
شمول التشريع

الناظر فى تشريعات الدعوة الإسلامية ، يرى أنها كانت مع الإنسان جنيناً فى بطن أمه ، وبعد مولده ، وفى شبابه ، ورجولته ، وتسايره هكذا فى أطواره المختلفة حتى تسلمه لأجله ، ويرى أنها تضع القوانين التى تمهد لوجود الإنسان مستقيماً سوياً فى الدنيا ، وفى الآخرة ، وتنظم سائر ما تركه بعد موته .

ولا تفرق الدعوة بين ذكر ، أو أنثى ، ولا تضع فى اعتبارها ميزة للون ، أو لجنس ، أو لعارض من عوارض الدنيا كالمال ، والجاه ، والأسرة ، وبذلك يحقق التشريع الإسلامى ، الإخاء والعدل ، والحرية ، والمساواة ، وتلك الأمور هى غاية ما تتمناه الإنسانية الرشيدة لنفسها .

- ثالثاً -
مراعاة طبيعة الإنسان

تناسب الدعوة الإنسان وتتفق مع فطرته ، ذلك أن الإنسان كائن يحس بما حوله ، ويرغب فى الاتصال به ، والتعاون معه ، وهو فى إحساسه هذا يشعر بقوى غيبية لا يدركها فيتمنى أن يحيط بها ، ومن هنا تأتى الدعوة محققة كافة مطالب الإنسان ، ورغباته ، فتوضح له هذه القوى الغيبية ، وتركزها فى عقيدة تعرف بالله وعبادته ، وتدعو إلى الإيمان بالرسل ، والملائكة ، والكتب ، واليوم الآخر ، وتضع له شريعة تمكنه من الاتصال بالناس ، والتعاون معهم ، وتتمم مكارم الأخلاق التى تبين الحسن فى كل شئ ، وتحتمه ، وهكذا ناسبت الدعوة حقيقة الإنسان فى سائر تعاليمها .

وهى — أيضاً — جعلت المصالح مرتبة على تنفيذ التكاليف ، وتلك حكمة إلهية ، حيث ربط الله الأسباب بالمسببات ، لتعريف العباد عند وجود الأسباب ما يترتب عليها من خير ، وما يترتب عليها من شر ، ولو شاء الله سبحانه لقطع كل

مسبب عن مسببه ، ولخلق المسببات كلها مجردة عن الأسباب فى مطـرد العـادة ليكون طريقاً مسلماً يعرف الناس منه أن الاتباع الدقيق يهدى للتى هى أقوم ، وأن الله لا يضيع أجر من يحسن عمله .

والدعوة — كذلك — تبين علل بعض المسائل الأساسية ، والفرعية توجيهـاً للإنسان ، حتى يعرف أن سائر التكاليف تهدف مصلحته ، وخيره ، ويدرك أن الله لم يشرع أمراً ، أو يوجد خلقاً إلا لحكمة ومصلحة ، وكل شئ عنده بمقدار .

ـ رابعاً ـ

اليسر ورفع الحرج

الدعوة الإسلامية ميسرة لأن جميع عبادات الدين سهلة ، لا عناء على الفرد فى أدائها ، والمحافظة عليها ، فالصلاة مثلاً عبادة فرضها الإسلام على المسلمين ، ووزعها على أوقات متباعدة تشمل الليل ، والنهار ، وجعلها خمساً ، تؤدى فى أوقات خمسة ، لا تستغرق فى جملتها سوى دقائق معدودة ، وحتى لا يغفل الإنسان عن مواقيتها شرع معه الأذان إعلاماً بوقتها ، لكى يؤديها وقتاً وقتاً ، فلا تتراكم ، وتترك ، أو تضـيع أعمالاً أخرى ، بسبب تراكمها ، والصوم فريضة مقدرة بشهر واحـد فى السـنة ، والزكاة لا يؤديها إلا المستطيع ، والحج مفروض على من استطاع إليه سبيلاً .

وهى فرائض خالية من الحرج تماماً ، يقول الشاطبى : واعلم أن الحرج مرفـوع عن المكلف لوجهين :

أحدهما : الخوف من الانقطاع فى الطريق ، وبغـض العبـادة ، وكراهيـة التكليف .

والثانى : خوف التقصير عند مزاحمة الوظائف ، المتعلقة بالعبـد ، المختلفـة الأنواع مثل قيامه على أهله ، وولده إلى تكاليف أخرى تأتى فى الطريق [١] .

وهكذا ينتفى الحرج من التكاليف محافظة على الدين ليبقى ، ومحافظة على

---

(١) الموافقات جـ٢ صـ١٣٦

العبد ليقوم بكافة وظائفه .

ولا يقف تيسير العبادة عند بساطتها ، بل إن الشريعة تلاحظ أعذار النـــاس وتخفف عنهم العبادة على قدر طاقتهم ، فالوضوء لا ينقض بسبب سلس البول أو الرعاف الدائم ، ويستبدل به التيمم ، والمسح على الخفين ، وعلى الجبيرة .

والصلاة تسقط عن الحائض والنفساء ، وتقصر على المسافر ويتسامح فى بعض شروطها للمريض ، والعاجز ، والخائف ، وفى وقت المطر ، والصوم يؤجل ، ويفدى عنه ، والحج فيه تخفيف كثير على أصحاب الأعذار .

يقول العز بن عبد السلام مبينا أنواع تخفيفات الشرع على المكلفين :

" والتخفيفات أنواع منها **تخفيف الإسقاط** كإسقاط الجمعـــات ، والصـــوم ، والحج ، والعمرة بأعذار معروفة ، ومنها **تخفيف التنقيص** كقصر الصلاة ، وتنقـــيص الركوع ، والسجود عن المريض إلى القدر الميسور له ، ومنها **تخفيف الإبدال** كإبدال الوضوء ، والغسل ، والتيمم ، وإبدال القيام فى الصلاة بالقعود ، وإبدال العتق بالصوم وإبدال بعض واجبات الحج ، والعمرة بالكفارات عند قيام الأعذار ومنها : **تخفيـــف التقديم** كتقديم العصر إلى الظهر ، والعشاء إلى المغرب فى السفر ، والمطر ، كتقـــديم الزكاة على حولها ، ومنها **تخفيف التأخير** كتأخير الظهر إلى العصر ورمضان إلى ما بعده ، ومنها **تخفيف الترخيص** كصلاة التيمم رفعاً للحرج وبعداً عن المشقة [(١)] .

وهذه العلامات المذكورة بعض أدلة تمام الدعوة ، والواقع التطبيقى خير شاهد ، فلقد مضى خمسة عشر قرناً على مجئ الدعوة الإسلامية ومع ذلك فما زالت تشريعاتها محكمة ، دقيقة ، تناسب الإنسان فى تقدمه ، وتطوره وهى على ما نزلت عليه بـــلا تغيير ، فى الوقت الذى تتبدل فيه قوانين البشر يوماً بعد يوم .

إن الإنسان فى الشرق ، وفى الغرب ، فى الحضر ، وفى البوادى ، يلمس مصلحته فى الدعوة الإسلامية ، وفى تشريعاتها له كفاية .

---

(١) قواعد الأحكام جـ٢ صـ٨،٩

ـ المبحث الثانى ـ
الدعوة الخاتمة

ارتبطت الدعوات السابقة بأقوام معنيين فى وقت معين ، وهذا جعلها قاصرة عن أن تكون لغيرهم ،كما جعلها غير صالحة لنفس القوم بعد تطورهم .

ومن هنا كثرت الدعوات ، وتنوعت وسائلها ، إلا أنها جميعاً لم تأت عبثاً ، أو بالمصادفة ، وإنما أتت لأسباب ضرورية دعت إليها ، ويمكننا أن نجمل هذه الأسباب فيما يلى :

السبب الأول :

أن تختفى تعاليم الرسالة السابقة بسبب بعد الزمان ، أو لاضطهاد الطغاة ، أو لغير ذلك من الأسباب ، مما يؤذن بانتشار جهالة وسط الناس تبعدهم عن هدى الرسالة وصفائها ، وتعزلهم كلية عن الله تعالى ، وهذا الوضع يجعل للناس عذراً فى ضلالهم لأنهم لم يسمعوا برسالة ، و لم تأتهم أيضاً رسالة بعد الرسالة السابقة .

فى هذه الحالة تأتى رسالة الله تعالى ، تذكر القوم بما نسوا ، وتحيى لهم ما غاب عنهم .

ولهذا رأينا سائر رسل الله تعالى يأتون إلى قوم سيطر العمى عليهم ، وبعدوا كلية عن دين الله ، فعبدوا الأصنام ، والأوثان ، واتخذوا من دون الله آلهة ، وابتعدوا عن أخلاق الدعوات السماوية ، ورأينا الرسل وكأنهم يدعون بيئة واحدة ، لأن أصول هذه الدعوات كانت واحدة ، وما كان ذلك كذلك إلا لتحقق هذا السبب مع كل رسالة .

السبب الثانى :

أن يرتد البشر الذين نزلت الرسالة فيهم عن مستواهم يوم أتتهم هذه الرسالة ، أو يتقدموا عن مستواهم السابق ، لدرجة تجعل الرسالة معهم قاصرة ، وهذا وحده سبب يؤذن بضرورة وجود رسالة أخرى ، حيث أدت الرسالة الأولى دورها ،

وأصبح على الرسالة الجديدة أن تصدق بالرسالة السابقة ، وتكمل بما يحتاجه الارتقاء البشرى .

وقد يكون هذا السبب أحد أسباب كثرة الأنبياء فى بنى إسرائيل الذين تغيرت معجزاقم وتباينت فى بعض الأحيان مواعظهم ، وما كان ذلك كذلك إلا لإرتقاء وتطور كانا يحدثان فى بنى إسرائيل ، والتغاير بين دعوة موسى ﷺ ، وبين دعوة عيسى ﷺ مع أهما لقوم معينين تظهر ذلك بوضوح .

السبب الثالث :

أن يحتاج البشر فى مكان ما إلى رسالة غير الرسالة الموجودة فى مكان آخر ، بسبب تغاير البشر تبعاً لاختلاف البيئات ، وقد حدث هذا مع رسالات الله السابقة يوم أن كان البشر منعزلين عن بعضهم فكراً ، ومكاناً ، مما أدى إلى تعدد الرسالات فى وقت واحد ، فلقد أرسل الله تعالى لوطاً عليه السلام إلى أهل "سدوم" فى دائرة الأردن ، وأرسل إبراهيم إلى قومه فى أرض" بابل " بالعراق ، وتوزع أنبياء بنى إسرائيل بعد موسى فى أماكن عديدة فى أقوامهم ، وكثير منهم جاءوا فى وقت واحد.

وقد حدث فى بعض الحالات أن أرسل الله تعالى أكثر من رسول ، إلى قوم معينين ، فى وقت ، واحد كما حدث مع موسى ﷺ فإن أخاه هارون أرسل معه وكما حدث فى " أنطاكية " إذ أرسل الله إليهم رسولين معاً فكذبوهما ، فعززهما الله برسول ثالث ، فقالوا جميعاً لقومهم ﴿ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴾ [١] .

ويبدو أن سبب ذلك هو عتو القوم ، واستكبارهم ، مما جعل الله يؤيد رسوله بآخر كسند له يشد أزره ، ويشاركه الرأى ، والمشورة ، ولا ضرر فى ذلك فالرسالة واحدة ، والرسل يتعاونون فى تبليغها إلى من أرسلوا إليهم .

وبالتتبع التاريخى لسائر رسالات الله نرى أنها لم تأت إلا لواحد من الأسباب المذكورة ، بل أن النظرة العقلية الشاملة ، لا تجد سبباً سوى هذه الأسباب .

---

(١) سورة يس الآية ١٤ .

ولا يصح مطلقاً أن يتصور إتيان رسالة لغير سبب ، لأن حكمة الله جلا وعلا تتره عن ذلك ، والنقل ، والعقل يؤكدان أن سائر الرسالات جاءت لهدف ، وبعد وجود سبب يدعو إليها .

وجود الأسباب قبل الإسلام :

وقد جدت الأسباب التي من أجلها ، يرسل الله رسله قبل الإسلام ، بكل وضوح حيث انتشر الضلال فى كل مكان ، واختفت التعاليم الصحيحة لرسالات الله ، وكان كل الموجود فى كل أرجاء المعمورة مسميات الأديان فقط ، مع اختفاء تعاليمها ، ونسكها ، ومن هنا اتخذت الأديان صورة الوثنية ، حيث اتجه اليهود إلى المادة ، ونظروا إليها نظرة التعظيم والأجلال ، ونشروا فى الأرض الربا والفساد ، و لم يؤمنوا بدعوة عيسى عليه السلام .

واتجه النصارى إلى تثليث الإله ، حيث جعلوا الألوهية جامعة لله ، وللمسيح ، وللروح القدس ، وقدسوا أم المسيح عليه السلام ، لأنها أم الإله فى نظرهم ، ونسجوا حول عيسى خصائص لم تكن له ، استنباطاً من آية خلقه ، ونشأته .

واتجه العرب إلى اتخاذ الأصنام والأوثان مدعين أنهم على دين إبراهيم عليه السلام .

واتجه الفرس إلى عبادة النار ، وإلى الشيوعية المطلقة فى المال والمرأة .

واتجه الهنود إلى الطبقة البرهمية المقدسة ، وخصوها بالتقديس والطاعة ، وكل ذلك ضلال ساد العالم قبيل الدعوة الإسلامية ، مشيراً إلى تحقق **السبب الأول الذى** من أجله تأتى رسالة الله .

صحيح أن موجه من النقد أخذت تتجه إلى هذه المفاسد تبغى إصلاحها ، وتبحث عن الحقيقة التي يجب أن تسود الناس ، لكن هذه الموجه لم تصل إلى غرضها لاعتمادها على منهج العقل البشرى ، وحده بعد غيبة دعوات الله ، والمهم أن السبب الأول قد وجد قبل الإسلام مما دعا إلى وجود الرسالة .

وقد وجد السبب الثانى : أيضاً حيث وصل النضج العقلى إلى مستوى كامل

من الرقى ، وانتقل البشر من طور المحسوس وحده إلى طور الإدراك العقلى .

و لم يعد للبيئة أثرها السابق فى عزلة الناس وتنوع إدراكاتهم ، لدرجة أن اتجاهاً إلى التوحيد ساد العالم كله ، وأمام هذا النضج أصبحت بقايا الدعوات السابقة غير صالحة للناس ، مما دعا إلى وجود دعوة إلهية تناسب الناس ، وتهديهم إلى الله تعالى .

وبسبب النضج العقلى ، وتعدد الاتصالات بين مناطق العالم المختلفة ، لم يعد لاختلاف الأمكنة أثرها فى اختلاف الأمزجة ، والطباع ، على نحو ما كان فى القديم ، وأصبح من الممكن أن تأتى رسالة شاملة لكل الأماكن ، عامة لسائر البشر مراعية للاختلافات الضرورية بين الناس .

ومن هنا وجدت الدعوة الإسلامية ، واضحة بهديها وتعاليمها أمام الناس ، مناسبة للكمال البشرى وتطوره ، متجه إلى العالم كله .

وأصبح الناس بعد مجئ الدعوة الإسلامية مكلفين بها ، فمن استقام نال الخير والثواب ، ومن عصى حقت عليه لعنة الله .

هل هناك دعوة أخرى بعد الإسلام ؟

وعلى الفور نجيب بأنه لن تكون هناك دعوة إلهية بعد الإسلام ، كما تظهره الحقيقة المجردة .

إن الأسباب التى تدعو إلى وجود رسالة من الله لن توجد بعد الإسلام أبداً ، وذلك كلام موضوعى لا تعصب فيه ، ولا عاطفة .

إن تعاليم الإسلام لن تغيب عن الناس ولسوف تبقى ثابتة ، وكل الشواهد تدل على ذلك .

فهى — أولاً — مجموعة من الحقائق فى العقيدة ، والشريعة ، والأخلاق ، والحقائق لا تتغير مهما تغير المكان ، أو تغير الزمان ، وما هو ثابت فى نفسه يستوى فى ضرورة العلم به أن يكون عند بدء الخلق ، أو عند قيام الساعة .

وهى — ثانياً — مسجلة فى القرآن الكريم ، الذى نقله جبريل عن الله بأمانة

تامة ، ونقله كذلك محمد ﷺ عن جبريل ،ونقله الصحابة عـــن رســـولهم ، ثم تتابعت الجماهير الغفيرة تنقله عبر القرون حتى بلغت به إلينا ، مثلما نزل قبل خمسة عشر قرناً ، وسنورثه بإذن الله تعالى نحن غيرنا ، وهكذا إلى يوم القيامة .

إن ثبوت القرآن الكريم متحقق بمداومة المسلمين على تلقيه وكتابته ، وهـــو كذلك إلى الأبد ، وفى العصر الحديث سجله المسلمون ترتيلاً على الآلات الخاصة بذلك وبثوه بواسطة الأقمار الصناعية إلى العالم كله .

وتعاليم الإسلام — ثالثاً — واقعية بمعنى إنها تعايش الإنسان ، وتقدم له الحلول العلمية والعملية لمعاشه ، ونشاطه ،وتحيط به فى النواحى التى يتجه إليها ، وبـــذلك تحقق لدى الناس تذكراً دائماً لها .

إن تعاليم الإسلام ليست رهبنة ، وليست عزلاً ، وليست ملائكية ، ولكنها للبشر على مستوى إدراكهم ، وذلك سر نجاحها وخلودها .

و رابعاً — فإن رسول الإسلام محمد ﷺ معروف بوضوح ..... وسائر أعماله وأقواله ،وصفاته ، وأخلاقه ، مسجلة بدقة ، وقد تتبعها مؤرخو السيرة بالدرس ، والفحص ، حتى جلوها للمسلمين لتبقى حية فى العالمين .

ومن المعلوم أن القرآن الكريم والسنة النبوية هما جماع الدعوة ، ودستورها .

يقول أبو الأعلى المودودى : إن هداية النبى ﷺ لا تزال حية فى متناول الأيدى ولا حاجة إلى نبى آخر يجددها ، ويعرضها على الناس مرة أخرى[١].

وهكذا فتعاليم الدعوة ما غابت ، ولن تغيب ... هذه واحدة ..

وأيضاً : فإن تعاليم الإسلام لن تقصر عن البشر مهما وصل مســـتواه ، لأن تعاليم الإسلام اتجهت لسائر دعوات الله السابقة وصدقتها ، وكملت بما يناســـب الرقى الإنسانى .

---

(١) مبادئ الإسلام صـــ١٦٠

وقد بين الله تضمن الإسلام للكمال والتمام بقوله تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾[١] حيث كمل الدين ، وتمت النعمة ، ورضى الله أن يكون الإسلام ديناً للعالمين .

وإنما عبر بالكمال ، والتمام ليشير إلى ارتباط الدعوة الإسلامية بالدعوات قبلها ، وأنها معهم مكملة ومتممة .

وعلى ذلك فالإسلام دعوة احتوت كل الدعوات السابقة ، وهيمنت عليها ، وهو بذلك مصدق لما سبق ، مكمل بما أتى ، مهيمن بحقيقته على كل ما مضى .

وقد راعت تعاليم الدعوة الإسلامية فى هيمنتها الارتقاء العقلى الإنسانى ، فدعت إلى وحدانية مطلقة لله ، فى الذات ، والصفات ، والأفعال ، واجتثت الوثنية بأشكالها ، وألفاظها ، وتأثيراتها السيئة ، على الإفراد ، وعلى الجماعات بحيث لا يخضع الإنسان إلا لخالقه ، ولا يعبد إلا الله سبحانه وتعالى .

وأيقظت الدعوة العقل من نومه فعابت على المقلدين والأتباع الذين كان شعارهم ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾[٢] .

وأمرت بالنظر والتدبر ، ووجهت الإنسان إلى الآيات والبراهين الكثيرة ﴿ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [٣] ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٤] ويكفى إن المعجزة الخالدة للدعوة الإسلامية كانت القرآن الكريم الذى خص العقل بالخطاب ، وأعطى لقوة الكلام وصحة الدليل حقه الأصيل ، و لم يكن أخذاً للأبصار ودهشة للمشاعر والحواوس كمعجزات رسل الله السابقين .

و لم تهدم الدعوة الإسلامية الدعوات السابقة ، بل بينت أنها على نمطهم .

---

(١) سورة المائدة الآية ٣

(٢) سورة الزخرف الآية ٢٣

(٣) وردت مادة "عقل" فى ٤٩ موضعاً فى القرآن الكريم

(٤) وردت مادة "فكر" فى القرآن الكريم ١٨ مرة .

وأتى الإسلام فى كل مجال بتوجيه رائع ، وإصلاح سليم ، و لم يترك مشكلة إلا أزالها ، ولا عقدة إلا حلها ، ولا خطأ إلا أصلحه ، يقول الشيخ محمد عبده : لم يدع الإسلام أصلاً من أصول الفضائل إلا أتى عليه ولا أما من أمهات الصالحات إلا أحياها ولا قاعدة من قواعد النظام إلا قررها ، فاستجمع للإنسان عند بلوغ رشده حرية الفكر ، واستقلال العقل ، وما به صلاح السجايا ، واستقامة الطبع ، وما فيه إنهاض العزائم إلى العمل وسوقها فى سبل السعى العديدة [١] .

وعدم مجئ رسالة بعد الإسلام يعنى أنه الرسالة الخاتمة ، وأنه الدائم إلى يوم القيامة .

وبما ذكرنا يصبح ما نعنيه هنا أمراً مقرراً بالدليل المسلم من العقل ، والنظر ، وهو ما أرشدنا إليه الله سبحانه وتعالى فى قوله ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾[٢] .

وعلى هذا فأى مدع لرسالة بعد الإسلام كاذب ، وهو مساو تماماً لبعض المعاندين المنكرين للإسلام الذين ينكرونه أصلاً ، أو ينكرون أنه لغير العرب من الناس [٣] .

ويجب أن يكون واضحاً أن رسل الله جميعاً قبل سيدنا محمد ﷺ بشروا برسول الله من بعدهم ، وبذلك أكدوا أن دعوتهم ليست خاتمة ، وأنها لفترة خاصة من الزمن، ولقوم معينين، فلما جاء سيدنا محمد ﷺ عرف الناس أنه الرسول الخاتم الذى مهد له سائر الرسل، وقد انتهت الرسالات برسالته وختمت النبوات بدعوته ﷺ .

---

(١) رسالة التوحيد صـ ١٦٤

(٢) الأحزاب الآية ٤٠

(٣) يدعى البهائيون والقديانيون أنهم أصحاب رسالة ، وأن لهم رسلاً ، كما أن اليهود والنصارى لا يؤمنون بالإسلام حتى الآن ، وذلك كله عناد ، وهوى .

ـ المبحث الثالث ـ
الدعوة العالمية

الإسلام دعوة تامة ، ودعوة خاتمة ، ومعنى ذلك أن دين الله للناس قد كمل لا يحتاج لإضافات أخرى ، ويعنى أيضاً إنه لا رسالة بعد الإسلام أبداً .

ومن مستلزمات هذا أن تكون الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ليصل التمـــام الديني إلى كل نسمة فى العالم ، وحتى لا يعتذر أحد فى العالم بحجة عدم وصـــول رسالة الله إليه .

وعالمية الإسلام أحد الميزات فيه ، لأن سائر رسالات الله الســـابقة كانـــت خاصة لقوم معينين ، ولزمان معين ، على نحو ما بيننا .

وعالمية الإسلام مقررة ، ومسلمة بما وضع الله فيه من خصائص .

فهو — أولاً — لم يرتبط اسماً باسم شخص أو قبيلة كما ارتبطت اليهوديـــة بـــ"يهوذا" وكما ارتبطت المسيحية بالمسيح ، أو بأنصار المسيح ، ولكن الإسلام ارتبط بأمل يراود الناس جميعاً ، ذلك الأمل هو السلام ، لأن السلام هو الهـــدف الأكبر للدعوة الإسلامية ، وهو فى الوقت ذاته الهدف الأسمى للإنسانية .

ويرتبط الإسلام بأمل آخر تندفع إليه الفطرة الإنسانية ، ذلك هو تسليم الأمر لله فى إخلاص ، وطاعة ، وبذلك يشبع قوة الوجدان عند الإنســـان ، ويكمـــل الإرادة له ويطرد اليأس والقنوط ، ويجعله يتعلق برجاء فى القوة الغيبية التى يحس بها ويستشعرها .

وأمل الإنسان فى السلام والتسليم هو الذى جعل رسالات الله السابقة تتسمى بالإسلام ، جذباً للناس ، وإشارة إلى الغاية التى يجب أن ينتهى إليها سائر البشر ، وهى الإذعان لله وحده ، وتسليم الأمر له سبحانه .

والإسلام — ثانياً — حدد تعاليمه بدقة متناهية ، فجميع عناصـــر العقيـــدة ، وجميع الفرائض العينية من الشريعة ، مفصلة بحكمة ، وإحاطة ، لدرجة أنها غـــير

قابلة لزيادة ، ولا لنقص ، لأن أى تغيير فيها يلغيها ، وأما بقية أمـــور الشـــريعة ، وكافة جوانب الأخلاق ، فقد وضع الإسلام لها القواعد العامة التى ترسم للفقهاء من المسلمين مبادئ اجتهاد فى فروع هذه القواعد العامة .

وهذا التحديد يدل على عالمية الإسلام لأن الأمور المحددة هى الأمور الثابتة التى لا تختلف تبعاً لاختلاف الزمان والمكان ، كالإيمان بالله ، والصوم مثلاً إذ من الإمكان تطبيقها على حقيقتها فى كل مكان ، وفى كل زمان ، أما الأمور المحددة قواعدها فقط فهى المسائل التى تختلف تطبيقاتها زماناً ، ومكاناً كالجهـــاد فـــإن وسائله تختلف ، وكالشورى فإن تطبيقاتها تتغاير ، وكالعلم فإن موضوعاته تتقدم وتخصصاته تختلف ، فإذا أضفنا إلى ذلك أن تعاليم الإسلام ثابتة ، لظهر لنا بيقين أن تعاليم الإسلام دليل على عالميته .

والإسلام — ثالثا — يركز على الجانب الأخلاقى ، بل أنه يطلبـــه فى أعمـــال الباطن والظاهر معاً ، ويرى أنه الهدف الأساسى للإسلام ، وأنه النتيجـــة الحتميـــة للتطبيق الصحيح للإسلام ، يقول النبى ﷺ : "**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخـــلاق** "[1] والتركيز على هذا الجانب يعنى الاتجاه إلى سعادة الناس فى الدنيا وفى الآخرة ، وهذا وحده كفيل بإثبات عالمية الإسلام .

والإسلام — رابعاً — يوضح بجلاء اتفاقه مع الدعوات السابقة فى أصولها وهو من هنا يؤمن بسائر الرسل ، يصدق بدعواتهم ، ويبين تعاليمهم وبعض شـــرائعهم ، وهذا جمع للأسرة الإنسانية فى إطار الدعوة الإسلامية ، ولذلك يجد الجميع تكريمـــاً لرسلهم فى هذا الدين مما يجعلهم يؤمنون بهم ، وهم يؤمنون بهذا الدين .

وعالمية الدين لا تتناقض مع ظهوره بين العرب أولاً ، وعلى يد رسول عربى ولا مع ظهوره فى القرن السابع الميلادى ، لأن ذلك كله كان بعض العوامل المساعدة علـــى انتشاره فى العالم ، وبلوغه إلى الناس أجمعين ، لمزايا علمها الله فيه فوضعه هذا الموضع.

---

(١) موطأ الإمام مالك جـــ٤ صـــ٩٢ باب ما جاء فى حسن الخلق

ومن أجل هذه العالمية كانت نداءات الدعوة الإسلامية إلى الناس أجمعين حيث صدرت آيات الدعوة إلى الله بقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ ، ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ .

و لم تقف العالمية عند النداء بل شملت سائر التكاليف ، ومن هنا رأينا آيات القرآن الكريم تتجه إلى بنى إسرائيل وتجادلهم ، وتتجه للمجوس ، والذين أشركوا ، والذين كفروا ، والقائلين بالدهر ، وعبدة الأصنام ، والأوثان ، وتناقشهم فى معتقداتهم الباطلة ، وتدعوهم إلى طريق الله المستقيم .

إن آيات القرآن الكريم تشير إلى عالمية الإسلام بما ذكرنا ، بل إنها تذكر هذه العالمية صراحة فى قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (١) .

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (٢) .

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (٣)

﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلۡأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ (٤) .

﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ ﴾ (٥) .

فهذه الآيات تفيد صراحة أن الدعوة الإسلامية للعاملين ، وأنها تعم جميع المعاصرين لنزول القرآن ، ومن سيأتى بعدهم إلى يوم القيامة ، بل إنها تشمل الجن

---

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٧

(٢) سورة الفرقان الآية ١

(٣) سورة سبأ الآية ٢٨

(٤) سورة الأعراف الآية ١٥٨

(٥) سورة الأنعام ١٩

مع الإنس باتفاق جمهور العلماء .

إن تأكيد هذه العالمية من الأمور الهامة فى العصر الحديث ، لأن أعداء الدعوة يريدون **إثبات أن الإسلام خاص بالعرب ، وبذلك يثبتون أنه دين جنس معين كاليهودية ، ويذكرون أن الاتجاه به إلى غير العرب خروج على طبيعة الإسلام ذاته ، ويتصورون أنهم بهذه الأباطيل سيقفون ضد المد الإسلامى فى أقاليم العالم المختلفة .**

وأعداء الدعوة الإسلامية لا يقفون عند حد المنازعة الفكرية ، بل إنهم لعجزهم يباشرون النزاع المسلح ، ويحاولون إبادة المسلمين من غير العرب ، كما هو حادث فى آسيا ، وأفريقيا ، وغيرها .

ومع كل محاولات الأعداء فإنهم سوف يبوءون بالفشل ، وسوف ترتد سائر موجات الإلحاد والتبشير على أعقابها خاسرة مدحورة ، وسوف تبقى فى النهاية الحقيقة المجردة الناطقة بعالمية الدعوة الإسلامية .

إن ما ذكرنا من أدلة سمعية وعقلية لم تكن كافية لرد أفكار الخصوم ، بل إنهم حاولوا مع ذلك أن يثبتوا خصوصية الدعوة الإسلامية بالعرب ، واستدلوا بما يلى :-

أولاً : قالوا إن ظهور الإسلام على يد رسول عربى ، وبين قومه العرب ، ونزول تعاليم الإسلام بلسان عربى ، يوحى باختصاص الإسلام بالعرب ، ولا يستطيع أحد إنكار عروبة الرسول والقوم ، واللسان لقوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾[1]

والأميون هم أمة العرب يذكرون فى مقابلة أهل الكتاب من بنى إسرائيل ، ويقول تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[2] .

---

(١) سورة الجمعة الآية ٢

(٢) سورة يوسف الآية ٢

ويرون أن التسليم بهذه الأمور الثلاثة يستتبع اختصاص الإسلام بالعرب ، لأن كل دعوة تأتي بلغة قومها .

ثانياً : نظروا إلى بعض الآيات ، وقالوا : إنها تساعدهم فى دعواهم ، وهذه الآيات هى قوله تعالى ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[1] .

وقوله سبحانه ﴿ لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾[2]

وقوله سبحانه﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[3]

وقد وقفوا أمام هذه الآيات ، وذكروا أن الدعوة الإسلامية متجهة إلى عشيرة النبى ﷺ ، وإلى أم القرى " مكة " ، والبوادى حولها ، وإلى العرب ، الذين لم يأتهم رسول من عهد إسماعيل عليه السلام ورأوا استنباطاً من ذلك أن الدعوة خاصة بالعرب .

ثالثاً : ادعى هؤلاء الخصوم أن فكرة العالمية لم تظهر على لسان رسول الله ﷺ ولا فى عمله ، ولا فى زمنه ، ولكنها ظهرت مع الفتوح الإسلامية فى بلاد فارس والروم فى زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وزعموا تبعاً لذلك أن فكرة العالمية فى الإسلام تعنى السيطرة والاحتلال العسكرى ، ويسمون عمر بن الخطاب بالمستعمر العربى .

رابعاً : يحاولون قصر النصوص الدالة ، عل العموم على عموم العرب وحدهم ، فالجميع هم جميع العرب ، والعالمون هم عالم العرب ، والكافة هم كافة العرب .

وأدلة الخصوم باطلة ، وقبل إثبات بطلانها نذكر أنهم فكرياً يحاولون قصر الدعوة بالعرب ، وأنهم اقتصادياً يحاولون إفقار العرب ، وأنهم سياسياً يحاولون عزل

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢١٤

(٢) سورة الشورى الآية ٧

(٣) سورة القصص الآية ٤٦

العرب ، وذلك كله اتجاه فى الأساس ضد الإسلام ودعوته .

ونذكر أنهم يحاولون إلحاق تهمة الاستعمار بالإسلام ، وإلصاق تهم التخلف، والرجعية بالدعوة الإسلامية ، ويشيعون ذلك فى العالم ليحولوا بين الإسلام وبين أفكار الناس .

ومن دلالة سوء النية عند منكرى عالمية الإسلام أنهم هم الذين عملوا على تخلف العرب ، وتمكنوا من إضعافهم ، والسيطرة على دعائم ضعفهم ، وقوتهم .. ومع ذلك يدعون أن الإسلام هو السبب ، وهو الذى أدى إلى تخلف العرب ، ويبرهنون بما فعلوا على تشويه الصورة الحقيقية للإسلام .

ونذكر أن الأعداء تجمعوا ضد الإسلام وحده ، يصدون عنه لأنه الدعوة النشطة الإيجابية ، التى تشتمل على إصلاح الحياة ، ولو تركوها للجماهير حرة لآمن بها الناس ، ودخلوا أفواجاً فى دين الله تعالى ، وحينئذ تضيع أطماعهم ، وتنهزم أهواؤهم ، وأما غيرها من الدعوات فهى بعيدة عن شئون الحياة ، والعيش معها لا يمثل خطورة على فساد .

ونذكر أن واجب الأمة الإسلامية خطير لأن العداء يتجه إلى الدين أولاً ، وفى الأساس ، وبعد ذلك يتجه إلى كل شئ .

إن على المسلمين التخلص من كل عوامل الضعف ، والتخلف ، ويستفيدوا بتعاليم الإسلام الداعية إلى العمل الجاد ، والخلق الكريم ، والمنادية بكرامة الإنسان والمحافظة على كافة حقوقه ، ومنع أى سيطرة ظالمة وقهر العدوان ، والفساد .

وبعد ذلك نأتى لأدلة الخصوم نناقشها موضوعياً لنأتى بالقول الفصل فيها ، وذلك فى كل نقطة على حدة وعلى الترتيب الذى أوردناه فى عرض أدلتهم :

أولاً : **نحن نسلم أن الرسول ﷺ عربى ، ظهــر فى قومه العــرب أولاً ، ولكننا لا نسلم أن هذا دليل على عدم عالمية الدعوة ، لأن الله جعل دعوته فى العرب أولاً ، لأن هذه الأمة جمعت من المزايا ما جعلها خير أمة تصلح لحمل**

الدعوة وتبليغها إلى العالم كله ، فهى أمة قريبة من التوحيد ، غير منفعلة ، بالأصنام ، والأوثان ، وغير خاضعة لطبقة الكهنة ، والأحبار ، ولم تستذلها طبقة سياسية متحكمة ، ولم يوجد فيها نظام حاكم له قوة منظمة ، إلى غير ذلك من المزايا التى وجدت لأمة العرب ، ولم توجد لأمة سواها .

وما دامت هذه الأمة هى الأولى بحمل الرسالة العالمية ، فلابد أن يتزل الوحى بلغتها ، حتى يفهموا ما يتزل الله ، ويحيطوا بما شرع لهم ، وبعد ذلك ينطلقون به إلى كل الآفاق .

وليس من المعقول أبداً أن يتزل الوحى بلغة غير لغة من نزل عليهم ، لأنهم حيئنذ لا يفهمون شيئاً ، ويصيرون فى حكم من لا يعلمون بوحى الله ، ومن المعلوم أن البشر فى العالم وجدوا مختلفين وطناً ، وجنساً ، ولغة ، فلوا اشترطنا اتحاد لغة الدعوة مع سائر اللغات للزم تعدد الرسالة ، أو معرفة الرسول لكل لغات العالم ، وحينئذ فلن توجد الدعوة الخاتمة ، لأن تعدد الرسالات لا يسمح بوجودها ، ولأن معرفة الرسول لكل اللغات أمر لا يقره عقل ، ولا يستقيم فى مفهوم أولى الألباب ، ولكن الرسالة الخاتمة وجدت ، واقعاً ، وهذا يشير إلى أن اشتراط اللغة الواحدة غير وارد ، وغير سديد .

وما المانع فى تنوع لغات الناس ، وإتيان الدعوة بلغة واحدة ؟!

وما المانع أن تكون هذه اللغة هى اللغة العربية ؟!

وما المانع أن تكون هذه الأمة العربية هى حاملة الدعوة بلغتها ؟!

لا مانع يمنع ذلك على الإطلاق ، وقد رأينا فى العصور القديمة أن مختلفى اللغة كانوا يتفاهمون بواسطة الترجمة، والمترجمين، وفى العصور الحديثة تجتمع الأمم جميعاً بلغاتها المختلفة تحت سقف واحد، ويتفاهمون بواسطة الترجمة بلا تعثر أو غموض والمؤتمرات العالمية ، ومؤسسات الأمم المتحدة تشهد لذلك ، وتؤكده ومن المعلوم أن اللغة العربية غنية بمفرداتها ومرادفاتها، واسعة بمشتقاتها وميسرة التعليم والفهم .

والعرب أصحاب هذه اللغة هم أقدر الناس ، على إتقان لغات العالم كله حفظاً ، ولفظاً ، وفهما ، ولو قارنا عربياً وأجنبياً ، فى لغة الأجنبى لما بدا فرق بينهما ، أما لو قارناهما فى اللغة العربية لبدأ الفرق واضحاً ، بين الإثنين فى اللهجة والنطق ، والحفظ ، والفهم ، وهذا دليل من الواقع يجعل العرب أولى الناس بترجمة تعاليم الإسلام إلى الناس .

ومن أجل التغلب على مسألة تعدد اللغات أمر النبى ﷺ بتعلم لغات الآخرين قال رسول الله ﷺ لزيد بن ثابت : " **أتحسن السريانية إنها تأتينى كتب بها ؟**

قال زيد : لا .

قال ﷺ : فتعلمها .

يقول زيد : فتعلمتها فى سبعة عشر يوماً [١].

وكان أبو جمرة يترجم بين الناس وبين ابن عباس [٢].

وقد نال موضوع ترجمة معانى القرآن الكريم ، والسنة النبوية قسطاً كبيراً من آراء الفقهاء ، فمن اعتبر ترجمة معانى القرآن ، والسنة إخباراً أجاز أن يقوم به واحد كالأحناف ، ومن اعتبره بينه وشهادة لم يجزه إلا لرجلين معاً ، أو لرجل وامرأتين كالشافعية .

يقول الكرمانى : **ولا نزاع لأحد أنه يكفى ترجمان واحد عند الأخبار ، وأنه لابد من اثنين عند الشهادة ، فيرجع الخلاف فى عدد القائمين بالترجمة إلى أنها إخبار ، أو شهادة** [٣] .

وهكذا تكون العروبة – قوماً ولغة – فى خدمة عالمية الدعوة ، وتكون عاملاً هاماً فى انتشار الإسلام ، وتبليغه إلى العالم كله .

---

(١) الفتح الربانى بترتيب مسند أحمد جـ١ صـ١٤٥ كتاب العلم والعلماء

(٢) نيل الأوطار للشوكانى جـ٨ صـ٢١٧

(٣)نيل الأوطار للشوكانى جـ٨ صـ٢١٧

ثانياً : نحن نؤكد صدق الآيات القرآنية ، لأن كل ما أورده القرآن الكريم حقائق لا تتخلف ، لكننا نخالفهم فى فهمهم لدلالة الآيات .

ذلك أن قوله تعالى ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[١] نزلت فى بداية الدعوة ، ولو أنها فهمت كما يريد المعارضون ، لما اشتملت على كل عشيرة النبى ﷺ ولاشتملت حينئذ على الأشد قرباً من العشيرة كما يفيده أفعل التفضيل (الأقربين) فى الآية ، وهم لا يقولون بذلك ، وبذلك يسقط استشهادهم بالآية .

إن الفهم الصحيح للآية يشير إلى إنها تسير وفق المنهج العملى لنشر الدعوة فى عصر النبى ﷺ ، وفى كل عصر ، وهذه الطريقة هى أن يبدأ الداعية بنفسه ، ثم بالأقرب ، فالأقرب .

يقول الرازى : إن الله بدأ بالرسول نفسه فتوعده إن دعا مع الله إلها آخر بقوله تعالى ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾[٢] .

وبعد ذلك مباشرة أمره بدعوة الأقرب فالأقرب ، وذلك لأنه إذا تشدد على نفسه أولاً ، ثم على الأقرب ، فالأقرب ثانياً ، لا يكون لأحد مطعن عليه البتة ، وكان قوله أنفع ، وكلامه أنجح [٣] .

ولذلك نظير من مسلك الدعوة حينما صعد النبى ﷺ على جبل الصفا ونادى ، وقال : " **يا بنى عبد المطلب ، يا بنى هاشم ، يا بنى عبد مناف ، يا عباس عم النبى ، يا صفية عمة رسول الله ، إنى لا أملك لكم من الله شيئاً** "[٤].

فنرى أنه ﷺ نادى الأقرب فالأقرب .

ويذكر أبو حيان أن العشيرة تحتمل بنيها ، ولا تقسوا عليهم ، وهى أكثر سماعاً

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢١٤

(٢) سورة الشعراء الآية ٢١٣

(٣) تفسير أبو السعود جـ٦ صـ٢٦٧

(٤) صحيح البخارى ، كتاب التفسير جـ٨ صـ٨٣٧ ط الأوقاف .

لهم من غيرهم فيقول : " إن العشيرة مظنة الطواعية ويمكنه من الغلظة عليهم ما لا يمكنه مع غيرهم ، وهم له أشد احتمالاً "[١] فالآية إذا تدل على منهج البداية فى الدعوة مع التدرج فى الاتساع ، وليس فيها ما يمنع دعوة غير الأقربين ، وغير العرب

وأما عن قوله تعالى ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[٢] .

فإن أم القرى هى مكة ونحن نسلم معهم أنهم أساس دائرة الإنذار .

ونسأل عن مدى ، ومقدار المكان من حولها الذى يجب أن يشمله الإنذار ؟

إنه يضيق على مساحة قليلة محيطة بمكة ، ويتسع حتى يشمل العالم كله .

ولو سلمنا أن المراد بمن حولها هم البدو والحضر المحيطون بمكة، فإن التخصيص بالذكر لا يدل على نفى الحكم عما سواه ، وإن دلت هذه الآية على كون الرسول بعث إلى هؤلاء فإن قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٣] يدل على كونه رسولاً إلى العالمين ، ولا تناقض بين مفهوم الآية الأولى ومفهوم الآية الثانية على هذه الصورة ، لأن خطاب الناس كافة يمنع أن يكون الخطاب مقصوراً على أم القرى ، ومن حولها ، وخطاب أم القرى ، ومن حولها لا يمنع أن يعم الخطاب الناس أجمعين ولو بخبر آخر .

وأيضاً لما ثبت كونه ﷺ رسولاً إلى أهل مكة وجب كونه صادقاً ، ثم إنه نقل إلينا بالتواتر أن محمداً ﷺ كان يدعى أنه رسول الله إلى كل العالمين فوجب تصديقه فى ادعائه هذا .

وأما عن قوله ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[٤]

فنحن معهم ، ونعلم أن المقصود من الآية هم العرب ، وإذا كان العرب فى

---

(١) البحر المحيط جـ٧ صـ٤٦

(٢) سورة الأنعام الآية ٩٢

(٣) سورة سبأ الآية ٢٨

(٤) سورة القصص الآية ٤٦

الجزيرة لم يأتهم رسول من الله منذ إسماعيل عليه السلام فإن الدين الذى جاء به محمد ﷺ يعم معهم المتدينين الذين سبقت إليهم الرسل ، ويقوم النبى ﷺ العربى بالدعوة إليه ليظهره على الدين كله كما قال تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[١] .

والإظهار يكون بالعلم ، والحجة والسيادة ، والغلبة ، والشرف ، والمنزلة ، ولا يكون كذلك إلا حيث كان خاتماً للأديان ، وعاماً لجميع الناس .

ثالثاً : وأما إدعاء أن عالمية الدعوة لم تظهر إلا فى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهى واهية كسابقيها ، لأن الآيات التى ذكرناها فى عموم الدعوة نزلت قبل الهجرة ، وهذا يوضح أن عالمية الدعوة كانت واضحة من البداية ، وبعد الهجرة ، وفى يوم الخندق ، أمل النبى ﷺ فى نشر الإسلام فى سائر الأرض ، وذلك عندما ضرب معوله الصخرة ثلاث ضربات وفى كل مرة تلمع برقة منها **فسأل سلمان الفارسى رسول الله ﷺ وقال له : بأبى وأمى يا رسول الله ما هذا الذى رأيته لمع تحت الأرض ؟ فقال عليه الصلاة والسلام " أما الأولى فإن الله فتح على بها اليمن ، وأما الثانية فإن الله فتح على بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة فإن الله فتح على بها المشرق**[٢] .

ومن أجل هذه العالمية جاءت التعاليم الإسلامية خطاباً لسائر البيئات ، وبياناً لنعم الله على كافة الناس ، فخاطبت أهل الزرع وليس هم العرب على الخصوص ، وخاطبت أهل البحر ، والسفن، يقول الله تعالى ﴿ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ

---

(١) سورة التوبة الآية ٣٣

(٢) سيرة النبى ﷺ جـ٣ صـ١٧٣

﴿٣٣ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [١] .

فبهذه الآيات خاطب القرآن بها أقواماً سخر الله لهم الأنهار ، والليل ، والنهار والشمس ، والقمر ، وليسوا هم أبناء الجزيرة العربية دون غيرهم لأنها نعم عامة .

على أن هذه العالمية لم تقف على الدليل النظرى فى عهد الرسول ﷺ ، بل إنه ﷺ باشر عملياً تنفيذ عالمية الدعوة يوم أن سنحت له الفرصة بعد الحديبية حيث أرسل إلى الملوك والأمراء فى كل الأرض يدعوهم إلى الإسلام ، ويحملهم إثم أتباعهم إن لم يبلغوهم .

وقد جاء فى الكتاب الذى أرسله إلى هرقل " **بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى : أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن توليت فإن عليك إثم الاريسيين ويا يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** " [٢].

يقول أنس بن مالك ﷺ " **إن رسول الله ﷺ كتب إلى كسرى ، وإلى قيصر وإلى النجاشى ، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى وليس هو النجاشى الذى صلى عليه ﷺ** .

وهذه الكتب ثابتة بالواقع التاريخى ، وإن لا فمن يستطيع أن ينكر رد المقوقس على رسول الله وإرساله "مارية" فى هدية للرسول ﷺ ، وهى التى تزوجها النبى ﷺ وأنجب منها ابنه إبراهيم .

وهكذا ثبت أن عالمية الدعوة قد وضحت فى عهد النبى ﷺ وهو فى مكة قبل

---

(١) سورة إبراهيم الآيات من ٣١ إلى ٣٣

(٢) صحيح مسلم جـ٥ صـ١٦٥ ، ١٦٦ كتاب الجهاد باب كتاب النبى ﷺ يدعوه إلى الإسلام .

الهجرة ، و لم تتأخر حتى عهد عمر بن الخطاب ﷺ كما زعم الخصوم .

رابعاً : تخصيص آيات العموم بعموم العرب ، تخصيص بلا مخصص ، وهذا لم يقل به عاقل ، لأن من القواعد المقررة فى العلم ، والعقل أن العام يبقى على عمومه ما لم يخصصه دليل فى قوته ثبوتاً وصحة .

وهكذا ثبتت عالمية الدعوة بأدلة العقل وأدلة السمع ، وردت أدلة الخصوم وبذلك يتضح تمام الدعوة ، وثبوت كونها خاتمة ، وعالمية ، وهذا يقتضى داومها بالضرورة إلى آخر الزمان .

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن **اليهود ينكرون حتى الآن الدعوة الإسلامية** ويدعون أ الشريعة لا تكون إلا واحدة ، وقد ابتدأت بموسى وانتهت به وما زالوا ينتظرون رسولاً من بعده يدعو الناس بشريعته .

وكذلك النصارى فهم **يرفضون الدعوة الإسلامية ، ولا يتصورونها من الله** وكلا من أتباع اليهودية والنصرانية يتصورون رسالتهم هى الخاتمة ، وهذا موقف يبطله ما ورد على لسان موسى عليه السلام مبشراً شعبه بنى إسرائيل بالرسالة الخاتمة ، ويقول " **يقيم لك الرب إلهك ، نبياً من وسطك ، من إخوتك مثلى، له تسمعون** [1] " **والنصارى يفسرون هذه الآية على أن المبشر به هو المسيح عليه السلام ، وتفسيرهم غير سديد لأن المماثلة لابد أن تكون حقيقية وهى لا تنطبق على عيسى عليه السلام حسب نظرتهم ، والواقع ، لأن عيسى عندهم إله ، وموسى نبى ، وشريعة عيسى ناقصة ، وشريعة موسى تامة ، وموسى تزوج وحارب أعداءه ، بينما لم يتزوج عيسى ولم يحارب أحداً ، وإنما المماثلة فى الحقيقة تنطبق على محمد ﷺ لأنه نبى ، وشريعته تامة وقد تزوج ، وحارب أعداءه .**

وأيضاً جاء فى العهد القديم أن " نبوخذ نصر " رأى حلماً فسر له دانيال بأن ملكاً سيأتى بعد تنازع الأمم واختلافها ، وهذا الملك باسم الرب ، وبإرادته ،

---

(١) سفر التثنية الإصحاح الثامن عشر فقرة ١٥

وسيدوم إلى الأبد حيث قال له " **وفى أيام هؤلاء الملوك – أى المختلفين يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبداً وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفنى كل هذه الممالك وهى تثبت إلى الأبد – الله العظيم عرف الملك ما سيأتى ، الحلم حق وتعبيره يقين** [١] .

ورغم أن هذه النصوص من العهد القديم فما زال اليهود على إنكارهم للدعوة الإسلامية ، وكذلك النصارى ، ويفسرون هذه المملكة بأنها مملكة النصارى ، مع أن المسيح لم يأت إلا بمجموعة من المواعظ ، والنصائح ، والحكم تقصر عن جميع حاجات الإنسان وقد توفاه الله إليه ، وأتباعه قليلون فى عددهم وعدتهم .

إن هذا يرد إنكار اليهود والنصارى ، ويؤكد أن كل البشارات تنصب على سيدنا محمد ، وأمته .

جاء فى أشيعا قوله : **غنوا للرب أغنية جديدة تسبحه من أقصى الأرض ، أيها المنحدرون فى البحر ، وملئه ، والجزائر وسكانها ، لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التى سكنها قيدار ، ليترنم سكان سالع من رءوس الجبال ، ليهتفوا ليعطوا الرب مجداً ، ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر** [٢] ، ويبين هذا القول أن الدعوة الإلهية ستكون فى جبل سالع ، وتنتشر إلى أقصى الأرض ، وتصل إلى المنحدرين فى البحر والمقيمين فى البرية ، وتبيد الأصنام المنحوتة ، وتزيلها فى قوة ظاهرة ، وهذه أوصاف تنطبق على الدعوة الإسلامية تماماً .

لأن جبل " سالع " المذكور هو الجبل الموجود غرب المدينة [٣] ، وقد امتدت التعاليم الإسلامية إلى كافة أنحاء الأرض ، و لم يحدث أن جاء نبى بعد أشـــيعا أباد

---

(١) سفر دانيال الإصحاح الثانى فقرات ٤٤ ، ٤٥

(٢) سفر أشيعا الإصحاح الثانى والأربعين فقرات ١٠ ، ١١ ، ١٢

(٣) قصص الأنبياء صـــ٣٠٢

الأصنام سوى محمد ﷺ .

ولعل اليهود حينما علموا بهذه الحقائق حضروا إلى يثرب ، وفضلوا سكناها عن سائر المدن ، ليكونوا بجوار " سالع " المذكور ، عسى أن يبعث الله النبى المنتظر من جنسهم ، ولذلك كان يبشرون به .

وأيضاً جاء فى سفر التثنية " **أن الرب جاء من طور سيناء، وأشرق من ساعير وتلألأ من جبل فاران** " (١) .

وساعير جبال بيت المقدس التى كانت مظهر عيسى عليه السلام ، وفاران جبال مكة التى كانت مظهر المصطفى ﷺ .

ولما كانت الأسرار الإلهية والأنوار الربانية أشبه فى الوحى ، والتنزيل ، والمناجاة ، والتأويل ، على مراتب ثلاث مبدأ ، ووسط وكمال ، والمجئ أشبه بالمبدأ ، والظهور أشبه بالوسط والإعلان أشبه بالكمال ، عبرت التوراة عن طلوع صبح الشريعة ، والتنزيل بالمجئ من طور سيناء ، وعن طلوع الشمس بالظهور على ساعير ، وعن البلوغ إلى درجة الكمال بالاستواء والإعلان على فاران ، وفى هذه الكلمات إثبات لنبوة المصطفى ﷺ (٢) .

وهكذا وضحت الميزات التى اختصت بها دعوة الإسلام ، وقد حصرتها فى التمام والختام والعموم .

---

(١) سفر التثنية الإصحاح الثانى والثلاثون فقرة ٢

(٢) الملل والنحل جـ١ صـ١٩٤ .

ـ الفصل الرابع ـ

أصول الرسالات الإلهية

ويتكون من :ـ

التمهيد .

المبحث الأول :
الإيمـــــان بالله تعالى

المبحث الثانى :
ضرورة الرسالة وإثباتها

المبحث الثالث :
إثبـــــات البـعـث

المبحث الرابع :
إثبات أصول العبـادات

المبحث الخامس :
الاهتمام بمكارم الأخلاق

أصول الرسالات الإلهية

تمهيد :

تعددت الرسالات إلى البشر ، وأتتهم التعاليم الإلهية من خلالها ، ومع البعد الزمنى بين ظهور الرسالات نراها فى أصولها ، كأنها رسالة واحدة ، وما اختلفت الرسالات إلا فى مناهجها .

وترجع وحدة الأصل إلى أن المصدر لكل الرسالات هو الله الذى أراد أن يوجه البشر إليه ، ويعرفهم طريق سعادتهم الكامنة فى دين الله الموحى به على ألسنة الرسل عليهم السلام .

ويرجع الاختلاف المنهجى إلى تنوع المدعوين، واختلاف طبائعهم، وتغاير رذائلهم ، وتطور فكرهم مما يشير إلى ضرورة اختلاف المنهج ، ليكون الإيمان أسرع ، والاقتناع بالدعوة أعمق .

أما الإتحاد فى الأصول فإنه يرجع إلى أنها ثابتة ، لا تغيير فيها ، لاتصالها بحقائق دائمة ... وأيضاً فإن إدراك هذه الأصول سهل على الإنسان منذ وجد ، لا تحتاج لتطور الفكر ، وتقدم الناس .

لقد عاين آدم عليه السلام حقيقة هذه الأصول قبل أن يخرج إلى الأرض ، حيث عاش فى الجنة، وعاشر الملائكة ، وتعامل مع إبليس، وعلم الخير والشر، وأتاه وحى الله تعالى، وفى هذا الفصل سنتكلم عن الأصول الواحدة فى جميع الرسالات متناولاً المباحث التالية :-

المبحث الأول : الإيمان بالله تعالى .

المبحث الثانى : ضرورة الرسالة وإثباتها .

المبحث الثالث : إثبات البعث .

المبحث الرابع : إثبات أصول العبادات .

المبحث الخامس : الاهتمام بمكارم الأخلاق .

وذلك فى عدة مباحث تأتى متتابعة على النحو التالى :

ـ المبحث الأول ـ
الإيمان بالله تعالى

تعتبر قضية الألوهية هى المحور الهام فى الدعوات الإلهية ، وقد بذل الرسل عليهم السلام جهوداً متواصلة ، من أجل تصحيح اتجاه المكلفين فى هذه المسألة وسنتكلم هنا عن نقطتين هما :

١) عقيدة البشر قبيل الرسالات .

٢) دعوة الرسل إلى توحيد الله وأدلتهم عليها .

وذلك فيما يلى :-

ـ ١ ـ
عقيدة البشر قبيل الرسالات

ظلمت البشرية نفسها ، وسادها ضلال مبين ، وابتعدت فى أغلب فتراتها عن الطريق المستقيم ، فرغم أنها كانت منذ بدايتها أمة واحدة على الهدى ، إلا أنها سرعان ما اختلفت ، واتبعت هواها فجحدت حق الله تعالى فى التوحيد والعبادة ، واتخذت آلهة متعددة .

وكان من رحمة الله بالبشر أن أرسل لهم بين الحين والحين رسولاً يبلغهم الوحى ، ويهديهم للتى هى أقوم ، وينقذهم من الضلال الذى شاع فيهم .

والبحث فى أحوال الناس قبيل كل رسالة ، يوضح ركون جميع الأقوام إلى عبادة آلهة أخرى غير الله تعالى ، كالأصنام المصورة ، والأوثان المنصوبة ، والكواكب السيارة ، والمظاهر الطبيعية ، وهم فى الوقت نفسه يذكرون الله تعالى، ويعلمون حقيقته بأوصافه المعلومة لهم ، فهو الخالق ، القادر ، وما الآلهة الشركاء إلا شفعاء تقربهم إلى الله زلفى ، وهى واسطتهم التى تربطهم بالله تعالى، وبنى الناس ظنهم هذا فى الآلهة على أساس أن آلهتهم صغيرة ، ضعيفة ، فهم صانعوها ، والموجدون لها ، وهى محسوسة لديهم ، يرونها ، ويعيشون معها ،

ولابد لهم مع ذلك من إله كبير موجد ، يسعون إليه عن طريق هذه الأصنام ، والأوثان التي تتوسط لهم عنده .

وهكذا تكونت عقيدة البشر منذ قديم .

أشار الكلبي إلى أن الأصنام حدثت بعد آدم عليه السلام بعشرة قرون ، وكانت أولاً صوراً لأشخاص صالحين ، أقامها أهلوهم ، تقديراً لهم ، فلما جاء الجيل الثاني عظموهم أكثر ، فلما جاء الجيل الثالث قال بنوه : ما عظم أولونا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله فعبدوهم ، وعظموا أمرهم .

أتاهم نوح عليه السلام وهم على ذلك[١] فدعاهم إلى توحيد الله الرب العظيم ، والمعبود الحق ، وطلب منهم أن يتركوا دعاواهم الباطلة ، لكن الكفار استكبروا وأخذ رؤساؤهم يحرضون أتباعهم على عدم ترك الأوثان يقول الله تعالى ﴿ **وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا** ﴾ [٢] .

وتمسكوا بآلهتهم العديدة ، واهتموا بالأصنام الخمسة المذكورة على الخصوص لأنها أعظم أصنامهم ، وأخذوا يواجهون نوحاً عليه السلام بسفه من الكلام وقالوا ما حكاه الله تعالى ﴿ **إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾ [٣] .

وإنما قالوا ذلك لأن نوحاً في نظرهم قد بعد عن الحق ، وادعى ما ليس له وقد صور القرآن معارضتهم بقوله تعالى ﴿ **فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ** ﴾[٤]

---

(١) الأصنام صـ٥١ ، ٥٢

(٢) سورة نوح الآية ٢٣

(٣) سورة الأعراف الآية ٦٠

(٤) سورة المؤمنون الآيتان ٢٤ ، ٢٥

وبقوله تعـــالى ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾[١] .

فهم فى أقوالهم ، ومعارضتهم ، لا يتصورون أن يكون الرسول بشـــراً ، لأن الملائكة أعظم من البشر ، وأسهل على الله أن يرسل ملائكة ، فلـــو أرســـل الله رسولاً لاختاره من الملائكة ، وأيضاً فإن آباءهم لم يقصوا لهم شيئاً عـــن إرســـال البشر، وإمكانه ، وتركوهم يتيهون فى متاهات الفكر، وضلالات التصور الساذج.

ومن هنا كفر قوم نوح عليه السلام بدعوته ، وداوموا على عباد ة الإصنام، وكل ما تصوروه هو أن نوحاً عليه السلام قد أصابه جنون ، أو جن ، وما اتبعـــه إلا الضـــعفاء الأراذل، الذين لا شأن لهم ، وهذا منهم ضلال وهوى ، إذ أبوا النبوة لبشر يدرك، ويفهم ، وسلموا للأصنام أن تكون آلهة، مع أن البون شاسع بين البشر والصنم .
يقول الزمخشرى:ما أعجب شأن الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا للألهة بحجر[٢]

وعاد هى الأخرى نسيت الله تعالى فأشركت معه أصناماً عديدة .

فى أثر رواه ابن عباس أنهم كانوا يعبدون صنماً يقال له "صمود" وآخر يقال لها "الهتار" فلما بعث فيهم هود عليه السلام دعاهم إلى نبذ عبادة الأصنام ، والتمســـك بالتوحيد فى الألوهية ، والربوبية ، لأنه لا فاصل بينهما فى الحقيقة ، لكنهم أنكروا هذه الدعوة منه ، وتعجبوا من قصره الألوهية على إله واحد ، مع أن الأباء عددوا الألهة ، وعبدوها مع الله[٣] ، ولذلك قالوا لهود منكرين ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[٤]

---

(١) سورة هود الآية ٢٧

(٢) تفسير الكشاف جـــ٢ صـــ٨٧

(٣) المغازى جـــ٨ صـــ٤٩٧

(٤) سورة الأعراف الآية ٧٠

وهكذا كبر عليهم أن يخصوا الله بالعبادة، وقالوا استهتاراً لما سمعوا دعوة هود عليه السلام إلى التوحيد قالوا "أجئتنا" للإشارة إلى أن من يدعوهم بهذا النداء لم ينشأ بينهم وإنما جاءهم بعد غياب ، بعد فيه عن أصنامهم فلم يعبدها مثلهم ، ولذلك أتى بغير المعهود والمعقول فاستحق السخرية ، في نظرهم .

يقول الزمخشري في معنى المجئ في قوله تعالى "**أجئتنا**" أوجه ، منها أن يكون لـ"هود" عليه السلام مكان منعزل عن قومه ، كان يتحنث فيه ، فلما أوحى الله إليه جاء قومه يدعوهم .... ومنها أنهم يريدون الاستهزاء ، به لأنهم كانوا يعتقدون أن الله تعالى لا يرسل إلا الملائكة ، فكأنهم قالوا أجئتنا من السماء كما يجئ الملك ولا يريدون حقيقة المجئ [١].

ولقد وصلوا في استهزائهم ، وتمسكهم بأصنامهم ، أن اتهموا هوداً بخفة العقل ، والإخبار بغير الواقع الحقيقي ، وبالغوا في اتهاماتهم له ، وقالوا له في وضوح ما حكاه الله تعالى ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [٢].

فجعلوا السفاهة ظرفاً له ، كأنه متمكن فيها ، غير منفك عنها ، وهو بذلك أحد الكاذبين ، وردوا سبب ما حل به — في نظرهم — إلى قدرة آلهتهم التي ألحقت به الضرر ، والأذى ، حيث قالوا ما حكاه الله تعالى ﴿ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ﴾ [٣] .

وهكذا وصل بهم الجهل المفرط إلى أن اعتقدوا أن حجارة تنتصر وتنتقم ، ولعلهم حين أجازوا لها أن تعاقب هوداً كانوا يجيزون لها القدرة على إثابتهم ،

---

(١) تفسير الكشاف جـ٢ صـ٨٧

(٢) سورة الأعراف الآية ٦٦

(٣) سورة هود الآية ٥٣

وتحقيــق الخير لهم ، وللناس العابدين لها معهم [١]

ويبدو أن هذه العقيدة كانت متأصلة فيهم لتوارثها عمن سبقهم من الأولين ولذلك قالوا لــ"هود" عليه السلام ما حكاه الله تعالى ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ۝ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝ ﴾[٢] فلقد واجهوه ﷺ صراحة ، وبينوا له عدم جدوى دعوته لهم ، مهما بذل فيهم ، لأنهـــم يقلـــدون آبـــاءهم ، ويسيرون على خطاهم ، وترك ما كان عليه الآباء معرة ، وبوار ، ولذلك فهم لن يبالوا بوعظه وإرشاده ، وسيستمرون على عبادة آلهتهم فهى عاداتهم التى توارثوها جيلاً عن جيل .

وثمود قوم صالح عليه السلام كانوا يعبدون آلهة غير الله ، فلما دعاهم صـــالح عليه السلام إلى التوحيد ﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ۝ ﴾ [٣] .

كان صالح موطن أمل ورجاء لقومه قبل النبوة ، لما بدا فيه من رجاحة عقل وصفات كمال ، وخير ، لكنه لما دعاهم إلى ترك عبادة الأصنام التى كان يعبدها آباؤهم شكوا فى دعوته ، وكفروا بها ، وقالوا له : خاب ظننا ، وضاع الأمـــل الذى كنا ننتظره منك .

وسيدنا إبراهيم عليه السلام رأى قومه يعبدون غير الله مع تنوع وكثـــرة ، فهـــم يعبدون الكواكب ، والأشخاص ، والأصنام ، وكان عليه أن يجابه أتباع جميع هذه المعبودات فقام بما وجب عليه ، وكان له مع كل منهم موقف ، وحوار .

ففى بيته الذى نشأ فيه كانت صناعة الأصنام ، وعبادتها ، ولذلك طلـــب سيدنا إبراهيم من أبيه أن يترك عبادة الأصنام لأنها لا تضر ، ولا تنفع ، ولا تغنى

---

(١) دعوة الرسل إلى الله تعالى صــ٢١

(٢) سورة الشعراء الآية ١٣٦ ، ١٣٧

(٣) سورة هود الآية ٦٢

عن شئ ، كما أن عبادتها تفتح الباب لعذاب الرحمن أن يمسه ، وحينئذ فلن يحميه مجرد أنه عرف الله ، لكن هذا الطلب مع وجاهته لم يحرك عند الأب ساكناً بل رد على إبراهيم وقال له ما حكاه الله ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾ (١) .

فاعتزل إبراهيم عليه السلام أباه إلى غيره من المشركين ، وأخذ يدعوهم إلى توحيد الله ، وقصر العبادة له سبحانه حيث كانت الأصنام منتشرة فى كل مكان

ويبدو أن قوم إبراهيم قد اشتهروا بالجدل ، والمراء ، والمكابرة ، مع السفه والمغالطة ، ولذلك وقف منهم إبراهيم موقفاً عملياً بعد أن سألهم أسئلة محددة قال لهم ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ۝ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ ۝ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۝ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ۝ ﴾ (٢) .

فسؤاله عليه السلام يعنى أنه فاهم حقيقة معبوداتهم ، وعالم بمدى عجزها عن الإحساس والتأثير ، لأنها جماد لا يعى ، ومصنوع لا يقدر ، ولذلك سألهم عليه السلام عن حقيقة الأصنام ، وعن قدرتها على السمع ، والنفع ، والضر ، ولكنهم بكبريائهم يردون بأنها صنم ، وسنسمر فى عبادتها ، وهو أحد ما توارثناه من آبائنا فلما علم عليه السلام أنه لا فائدة من جدلهم لجأ إلى الأصنام وحطهما ، يقول الله تعالى ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ (٣) وقصته عليه السلام مفصلة فى القرآن الكريم ، وفى كتب تاريخ الدعوة (٤).

---

(١) سورة مريم الآية ٤٦ وقصة إبراهيم مع أبيه مفصلة فى الآيات من ٤١ إلى ٥٠ من سورة مريم .

(٢) سورة الشعراء الآيات ٧٠ إلى ٧٤

(٣) سورة الأنبياء الآية ٥٨

(٤) وقد فصلتها الآيات الواردة فى سورة الأنبياء من آية ٥١ إلى الآية ٧٠ فليرجع إلى تفسيرها من أراد التفصيل .

ومع عبدة الكواكب والنمرود كان إبراهيم عليه السلام يسلم برأيهم ظاهراً لينقضه بعد ذلك [١] .

والمهم هنا أن نثبت أن سيدنا إبراهيم بعث فى أمة كانت تعبد من دون الله آلهة أخرى عديدة اتباعاً للآباء ، وتأثراً بمعاشريهم من الأمم .

يقول العقاد : إن الناس فى زمن إبراهيم عليه السلام كانوا يؤمنون بإله عظيم خلق الألهة الصغار ، وقدر لها منازلها فى السماء ، وأشهرها القمر "نانار" وبعده يأتى المريخ "مردوخ" و الزهرة "عشتار" ومن قديم كانت الشمس "شماس" معبودة عند الخاصة[٢] وينقل قول "دولى" وهو من أشهر علماء الأحافير فى كتابه عن إبراهيم " إن الآلهة كانوا عند السامريين على ما يظهر ثلاث طبقات : **الآلهة العظيمة** التى تخصص لها هياكل الدولة ، **والآلهة التى دونها** وهى التى تقام لها المعابد ، وتوضع فى مسالك الطرق ، **ودون ذلك آلهة الأسرة** .

والآلهة العظيمة كانت تشخص قوى الطبيعة كالشمس والقمر ، والماء ، والنار ، وغيرها ولقد كانت عبادة الملوك موجودة عندهم [٣] .

والرسل جميعاً عليهم السلام قابلوا هذا الفساد المتتابع ، والبادئ فى ترك أقوامهم التوحيد الحق ، إلى عبادة آلهة أخرى متنوعة ، ودفاعهم الجاد عن عقائدهم هذه مع بطلانها .

فشعيب قال له قومه دفاعاً عن أصنامهم ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ ﴾ [٤] .

بل وهددوه ومن معه من المؤمنين بالإخراج حيث قالوا ﴿ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ

(١) انظر الآيات من ٧٤ إلى ٨١ من سورة الأنعام .

(٢) الله صـ ٢٠٤ ، ٢٠٥

(٣) الله صـ ٢٠٦

(٤) سورة هود الآية ٨٧

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ ﴾ (١) .

ويوسف عليه السلام قال لرفيقه فى السجن مصوراً عبادة قومه ما حكاه الله تعالى وهو يقول ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ ﴾ (٢) .

وموسى عليه السلام جابهه فرعون بقولــه ﴿ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ (٣) .

وقال للناس ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ (٤) .

فأشار بذلك إلى أن تأليه البشر أيام موسى كان موجــوداً بجانــب تأليــه الأصنام والبيوت ، والنجوم ، فلقد رأى موسى عليه السلام عبادة البشر بعد تجــاوزه البحر والقوم معه يقول الله تعــالى ﴿ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝ ﴾ (٥) .

ومن هنا كان نهى التوراة عن عبادة الأصنام فى مثل قولها " **لا يكن لك آلهة أخرى أمامى ، لا تصنع تمثالاً منحوتاً ولا صورة مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من أسفل، وما فى الماء من تحت الأرض، لا تسمعوا لهن ولا تعبدوهن** (٦) وتقول " **أنا الرب إلهكم لا تلتفتوا إلى الأوثان ، وآلهة مســبوكة لا تصــنعوا لأنفسكم** " (٧).

وتقول " **أحب الرب إلهك ، واحفظ حقوقه ، وفرائضه ، وأحكامــــه**

---

(١) سورة الأعراف الآية ٨٨

(٢) سورة يوسف الآية ٣٩

(٣) سورة الشعراء الآية ٢٩

(٤) سورة القصص الآية ٣٨

(٥) سورة الأعراف الآية ١٣٨

(٦) سفر الخروج ، الإصحاح العشرون ، الفقرات ٣، ٤ ، ٥

(٧) سفر اللاويين ، الإصحاح التاسع عشر ، الفقرات ٣ ، ٤

ووصاياه ، احترزوا أن تنغوى قلوبكم فتزيغوا ، وتعبدوا آلهة أخرى تسجدوا لها البركة لكم إذا سمعتم لوصايا الرب إلهكم ، واللعنة إذا لم تسمعوا لوصايا الرب إلهكم وزغتم عن وصاياه [١].

ودواد وسليمان وعيسى عليهم السلام رسل الله إلى بنى إسـرائيل ، جـاءوا لهدايتهم إلى التوحيد ونبذ عبادة الشركاء ففى الأناجيل نقـرأ " يقـول المسـيح لتلاميذه " **فصلوا أنتم هكذا : أبانا الذى فى السموات ، ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك علـى الأرض ... لأن لـك الملك والقوة والمجد إلى الأبد آمين** [٢] .

ونقرأ " **وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقـى وحـدك ويسوع المسيح الذى أرسلته** " [٣] .

يسجل القرآن الكريم حقيقة دعوة المسيح فى قوله تعـالى ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾ [٤] .

ولما جاءت الدعوة الإسلامية ، وجدت واقع الناس على سنن سوابقهم ، من كثرة الأصنام والأوثان ، وتقديس الأشخاص ، وعبادة النار ، إلا أنهـم بسـبب تطورهم مع الزمن وضعوا لرب نسكهم أقاويل بليغة ، وفلسفات عقلية عقيمة .

ومع ذلك فإن صورة الضلال كانت واحدة عند جميع الأمم بعدما بعدوا عن توحيد الإله وأشركوا معه آلهة أخرى ، قصروا العبادة عليها .

ومن هنا كان المحـور الرئيسي فى جميع الدعـوات هو مقاومة الشـرك ، والدعوة إلى التوحيد ، وتفهيم الناس أن العبادة مطلقاً يجب أن تكون لله وحده ، لأنه الإله الحق ، وما عداه زيف ، وباطل .

---

(١) سفر التثنية الإصحاح الحادى عشر ، الفقرات ١ ، ١٦ ، ٢٧ ، ٢٨

(٢) إنجيل متى ، الإصحاح السادس ، الفقرات ٧ ، ٩ ، ١٣

(٣) إنجيل يوحنا ، الإصحاح السابع عشر ، الفقرة ٣

(٤) سورة المائدة الآية ١١٧

- ٢ -
مفهوم التوحيد وأدلة الرسل عليه

ذكرنا أن الناس كانوا دائماً قبيل الرسالات على شرك فى عقيدتهم ، مع تيقنهم بأن هناك فوق آلهتهم العديدة إلها أعظم من الجميع، وهو الأقدر ، والأحكم والأعلم ، ولذلك كانوا يعبدون الأصنام ، والظواهر المحسوسة بجوارحهم ، لتقربهم إلى الله الأكبر، وتكون وسيلة الشفاعة لديه، والاتصال به وتلك كلها عقيدة خاطئة ، جاءت الرسالات لتصحيحها ، وإثبات الحق فيها ولتأكيد أن التوحيد فى حقيقته يتضمن الإقرار بوحدة الرب الخالق ، وإفراده بالعبادة الخالصة بلا أدنى شائبة توجه لغيره ، وتأكيد أن العباده الحقه يجب أن تكون مشتملة على التعظيم الكامل ، مع الخوف التام ، الأمر الذى يؤدى إلى التسليم لله ، والانقياد لحكمه وعدم معارضة تعاليمه بأى تعاليم غيرها مهما كان مصدرها .

يقول الشيخ محمد عبده : **العبادة ضرب من الخضوع ، بالغ حد النهاية ناشئ عن استشعار القلب عظمة للمعبود، لا يعرف منشأها ، ولا يدرك كنهها وماهيتها ، وقصارى ما يعرف منها أنها محيطة به ، ولكنها فوق إدراكه** [1] .

وهكذا لابد للعبادة من أن تتركب من عنصرين هما **غاية الذل لله ، وغاية المحبة له** ، والعنصران ينشآن حتما للعابد الحقيقى الذى يؤمن بأن قدرة الله ، شاملة وعلمه محيط ، ووجوده أزلى أبدى ، وكل ما عداه فهو من آثاره وإيجاده

أما هذا التوحيد الذى كان موجوداً قبيل الرسالات ففيه قصور كبير ، يجعله منكراً لقدرة الله فى الحقيقة ، ذلك لأنهم فى الوقت الذى يوحدون الله ، ويذكرون قدرته وخلقه للموجودات يعبدون الشركاء معه ، ويثبتون لهم بعض القدرة ، ويعطونهم جزءاً كبيراً من التعظيم والتقديس ، فجاء الرسل على مدى الزمن ليبينوا للناس ما يجب أن يكونوا عليه فى عقيدتهم ، فيوحدون الله ،

---

(١) المنار جـ٢ صـ٥٧

ويخصونه وحدة بالعبادة والتعظيم لأنه لا إله سواه .

ومن هنا كان أول صوت نادى به الرسل أقوامهم هو قوله تعالى ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ (١) فتراهم صلوات الله وسلامه عليهم فى ندائهم يقرنــون التوحيد بالأمر بالعبادة ، لأن التوحيد كما يقول الرازى كالعلة للعبادة ، لأنه إذا لم يكن لهم إله غيره ، كان كل ما حصل عندهم من وجوه الإحســان ، والنفــع ، والعطف ، والبر ، حاصلاً من الله ، ونهاية الإنعام توجب نهاية التعظيم ، فوجبــت عبادة الله لأجل العلم بأنه لا إله إلا هو(٢).

ويجب أن يكون واضحاً أن المراد من الإله المدعو إليه فى دعوات الرسل هو الإله المستحق للعبادة حقاً دون سواه ، لأن الأقوام قبل الرسالات كانوا يعتــبرون الأصنام ، والأوثان ، آلهة ، ويعبدونهم على هذا الاعتبار فكان الخطأ فى العبــادة تابعاً للخطأ فى التأليه (٣) ، ولذلك كان على الرسل أن يصححوا نظره للنــاس فى التأليه ، والعبادة ليعبدوا فى إخلاص الإله الواحد ، الذى لا شريك له .

إن العبادة رمز الامتثال الحق ، ودليل توحيد الله بصدق ، وهى فرع أصــلها هو التوحيد .

والتوحيد ، والعبادة أمران متلازمان فى الحقيقة ، وتأكيداً للازميــة العبــادة للتوحيد جاءت آيات كثيرة تأمر بالعبادة والتوحيد من غــير أن تفصــل بينــهما بعاطف ، لأن التوحيد بيان وتفسير لعلة إختصاصه تعالى بأن يعبد (٤) ، وقــدمت بعض الآيات التوحيد على العبادة ، وربطت بينهما بالفاء كقوله تعــالى ﴿ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى ﴾ (٥) .

---

(١) سورة الأعراف الآية ٥٩

(٢) مفاتيح الغيب جـ٤ صـ٢٦١

(٣) تفسير أبى السعود جـ٢ صـ١٧١

(٤) البحر المحيط جـ٤ صـ٤٢٥

(٥) سورة طه الآية ١٤

وكقوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ (١) .

وذلك لأن الفاء تفيد التعقيب فكان الربط بها تأكيداً لهذه اللازمية بين توحيد الله وإفراده بالعبادة ، وإشارة إلى أن العبادة تكون مع التوحيد مباشرة .

وقد سلك الرسل عليهم السلام فى التدليل على وجوب توحيد الله وعبادته طرقاً ثلاثة :

الأول : تذكير القوم بنعم الله عليهم فى أنفسهم .

الثانى : تذكير القوم بالنعم المبثوثة فى الكونيات من حولهم .

الثالث : التخويف من العواقب التى ستلقى من لم يوحد الله ويعبده .

هذا هو سيدنا نوح عليه السلام يخاطب قومه بهذه الطرق ، ويبرهن لهم بها ويطلب منهم أن يعبدوا الله تعالى وحده ، فتراه يبين لهم أحياناً نعم الله عليهم فى أنفسهم ، فهو خالقهم على أطوار سبعة بدأت بالتراب ، وانتهت بإنسان عاقل ، سوى ، يسمع ، ويبصر ، ويعرف فقال لهم ما حكاه الله تعالى ﴿ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ۝ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴾ (٢) .

وأحياناً أخرى يوجه نظر قومه إلى السماوات العلا ، وما خلق فيها من قمر منير ، وشمس مضيئة ، يتتابعان فى الظهور لا يسبق أحدها الآخر ، والكل فى فلك يسبحون ، وجه نظرهم إلى هذا علهم من ملاحظة هذه القدرات الإلهية يعبدون ربهم ، ويوحدونه فقال لهم ﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ۝ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٥

(٢) سورة نوح الآيتان ١٣، ١٤

(٣) سورة نوح الآيتان ١٥ ، ١٦

ووجه نظرهم عليه السلام كذلك إلى الأرض ، التى نشأوا من ترابها ، واستخدموها فى معاشهم ، والتى سيرجعون إليها بعد موتهم ، وسيخرجون منها حين البعث والنشور يوم القيامة ، هذه الأرض التى ذللها الله ، وسخرها للإنسان يستغلها كيف يشاء حسب قواه ، وتبعاً لنشاطه وسعيه ، وجه نوح عليه السلام نظر قومه إلى ذلك فقال لهم ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴿١٩﴾ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴿٢٠﴾ ﴾(١) .

ومع تذكيرهم بنعم الله فى أنفسهم ومن حولهم كان سيدنا نوح عليه السلام يذكر قومه بالموت ، والبعث ، والحساب، ويخوفهم من عذاب يوم القيامة الذى سوف يترل بهم إن لم يوحدوا ربهم ويخصوه بالعبادة دون سواه ، فقال لهم ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾(٢)

وقال لهم ﴿ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴾(٣) .

وقال لهم ﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾(٤)

وهكذا دلل سيدنا نوح عليه السلام على وجوب توحيد الله واختصاصه بالعبادة بهذه الأدلة السهلة ، الدقيقة ، التى تقصد اللب لا الشكل ، وتعرض القضية مباشرة بلا تعقيد ، أو مبالغة ، وتعرف الإنسان بكمال قدرة الله ، وكمال عنايته ورحمته ، وكمال علمه وإحاطته ، ولأنها أدلة تجعل الإنسان ينظر فى كل شىء

---

(١) سورة نوح الآيات من ١٧ إلى ٢٠

(٢) سورة نوح الآيات من ٢ إلى ٤

(٣) سورة هود الآية ٢٦

(٤) سورة الشعراء الآيات من ١٠٦ إلى ١٠٨

حوله من أرض ، وزرع ، وليل ، ونهار ، وشمس ، وقمر ليراجع نفسه فى معبوداته المصنوعة ، ليعلم أنها ليست إلا مخلوقاً من هذه المخلوقات ، لا تملك لنفسها ، ولا لغيرها أية فائدة ، ولا تستطيع عمل أى شئ ، لأنها لا تحس ، ولا تدرك ،ولا تتحرك ، وهى بذلك لا تستحق التأليه ، أو العبادة ... والواجب هو إفراد الله ، المالك لكل شئ ، بالعبادة والتعظيم .

وبمثل ما استدل نوح عليه السلام استدل هود عليه السلام وهو يدعو قومه " عاداً " إلى توحيد الله وعبادته، فبين لهم أن الله جعلهم أقوياء فى أجسادهم، وأعطاهم الملك والحضارة ومكنهم من تأسيس البنايات الشاهقة العظيمة ، وهذا يتضح من قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴾ (١)

يروى أنه كان لعاد ابنان هما شداد ، وشديد ، فملكا ، وقهراً ، ثم مات شديد ، وخلص الأمر لشداد ودانت له الملوك ، وبنى مدينة عظيمة ، عالية لا يضاهيها بنيان آخر (٢) .

وعلى الجملة لم يأت مثل عاد فى قوتهم ، وطول قامتهم ، و لم تظهر مدينة فى جميع بلاد الدنيا مثل مدينة "شداد" ولذلك ذكرهم هود عليه السلام بنعم الله فى أنفسهم فقال لهم ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣) .

وقال لهم أيضاً ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة الفجر الآيات من ٦ إلى ٨

(٢) تفسير النسفى جـ٤ صـ٣٥٤ ، ٣٥٥ بتصرف

(٣) سورة الأعراف الآية ٦٩

(٤) سورة هود الآية ٥٢

وقال لهم ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ (١) .

وقد صور هود فى هذه الآيات نعم الله فى قومه عاد .

يقول أبو السعود : إن المراد من البسطة هى طول القامة ، والقوة الجسدية فإنه لم يكن فى زمانهم مثلهم فى عظم الأجرام ، حتى قالوا عارفين ذلك : من أشد منا قوة ومع هذه البسطة كانوا فى غنى اقتصادى ، ورخاء زراعى عجيب بسبب المطر الذى كان يأتيهم بغزارة ولذلك قال لهم هود عليه السلام ﴿ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ (٢) لأن نزول المطر مرغب هام يضاعف لهم تحققه قوة فوق قوتهم الكبيرة ، ويحافظ على حضارتهم التى كانوا فيها .

وأكبر دليل على قوتهم المادية والبدنية أنهم اتخذوا فى كل مرتفع بناء ، وشيدوا القصور الشاهقة ، وبطشوا جبارين بغيرهم اعتماداً على قوتهم ، فذكرهم هود بهذه النعم فى أنفسهم ، ليندفعوا بها إلى الإيمان بالله ، وتوحيده ، وعبادته ، ويطيعوا هوداً فى دعوته ، وينفذوا أمره (٣) لهم ، وقال لهم ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ ﴾(٤)

وكذلك دلل هود بطريق آخر حيث عرفهم بنعم الله عليهم فى الزراعة التى قامت حضارتهم عليهم فقال لهم ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ ﴾(٥) .

وحثهم على أن يتذكروا هذه النعم الواضحة فى أولادهم ، وديارهم ، وأملاكهم ليعبدوا الله الذى أمدهم بها ، وأعانهم عليها .

---

(١) سورة الشعراء الآيات من ١٢٨ إلى ١٣٠

(٢) سورة هود الآية ٥٢

(٣) تفسير أبى السعود جـ٢ صـ١٧٤

(٤) سورة الشعراء الآية ١٢٦

(٥) سورة الشعراء الآيات من ١٣٢ إلى ١٣٤

وخوفهم هود عليه السلام من العواقب إن هم تركوا توحيد الله وعبادته ، فقال لهم ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ [١] وهكذا كانت أدلة هود لقومه دائرة حول الطرق الثلاثة التى دلل بها نوح عليه السلام .

وعلى نمط أدلة نوح وهود عليهما السلام نادى صالح عليه السلام في قومه فقال لهم ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾[٢] وقال لهم ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ﴾[٣] .

جاء فى كتاب دعوة الرسل إلى الله أن نبى الله صالحاً أخذ يذكر قومه بنعم الله التى أمدهم بها ، حيث جعلهم خلفاء لعاد فى الحضارة والعمران ، وألهمهم من فنون الصناعة ، وهندسة البناء ، ودقة النجارة ، وعلمهم من فن النحت ورزقهم القوة والصبر ، حتى تمكنوا من نحت بيوتهم الفارهة فى الجبل يسكنونها فى الشتاء ، وأقدرهم على تشييد المساكن فى السهول ، يقيمون فيها أثناء الصيف ، وكل هذه النعم أمدها الله لـ"ثمود" فى أنفسهم [٤] ، وحياتهم ، وفى الآفاق من حولهم فأنشأهم من الأرض ، ومكنهم منها ، وسهل لهم استغلالها ، وعرفهم بقيمة السهل والجبل ، ولذلك ذكرهم صالح بها لكى يوحدوا الله ويعبدوه ، كما خوفهم من مخالفتهم لنصائحه وعدم إيمانهم بمخالفتهم وتماديهم فى الشرك واستمرارهم فى عبادة غير الله تعالى فقال لهم

---

(١) سورة الشعراء الآية ١٣٥

(٢) سورة الأعراف الآية ٧٤

(٣) سورة هود الآية ٦١

(٤) دعوة الرسل إلى الله تعالى صـ٢٨

﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾[١] وقال لهم ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾[٢]

بهذا المنهج فى التدليل سار الأنبياء عليهم صلوات االله وسلامه فى دعوة أقوامهم إلى التوحيد ، ونبذ الشر ، وترك عبادة الأصنام ، والأوثان .

وأدلة الرسل على كل حال أدلة بسيطة تعتمد على المحسوس ، ولا تحتاج إلى دليل مركب ، أو منطق متفلسف ، لأن ذلك هو الذى كان يناسب بساطة القوم ويتمشى مع فكرهم يومذاك ، انظر إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو الذى حاور كثيراً وجادل عديداً من الطوائف ، تلقاه لم يتخط الأدلة المجسمة ، المنظورة ، لإفحام مجادله ، فحين جادل عبدة الأصنام ذكروا له أن الأصنام آلهة آبائهم ، ولن يتركوها وهنا لم يناقشهم فى حقيقة الآلهة ، وأحقية الآباء فى عبادتها ، وإنما أشار إلى أن الركون إلى الأصنام ضلال واضح ، ثم استعمل الدليل المفيد ، المعتمد على الحواس فكسر الأصنام ، ليثبت لعبدتها أنها لا تنفع نفسها فكيف تؤله وتعبد ، وكذلك حينما رأى عليه السلام بعض الناس يعبدون الكواكب لم يدخل معهم فى نقاش وجدل ، وإنما وافق رأيهم ، وأشعرهم أنه معهم فى عبادة الكواكب مجاراة لهم ، لأن الموافقة فى العبارة عن طريق الإلزام على الخصم من أبلغ الحجج ، وأوضح المناهج [٣].

ومن هذه الموافقة أنه لما رأى كوكباً قال ﴿ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ ثم رأى ﴿ الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ ثم رأى ﴿ الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [٤].

---

(١) سورة الشعراء الآيات من ١٤٢ إلى ١٤٤

(٢) سورة هود الآية ٦٤

(٣) الملل والنحل جـ٢ صـ٥٦

(٤) سورة الأنعام الآيات من ٧٦ إلى ٨٧

ومن الدقة فى المجاراة أنه اعترض على الأفول دون الطلوع ليتأكـدوا مـن موافقته لمذهبهم لأنه لو اعترض على الطلوع لما بدت هذه الموافقة .

ومما يؤكد أن هذه الموافقة مجاراة فقط قولـه ﴿ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى ﴾ يقـول الشهرستانى : إن رؤية الهداية من الرب تعالى غاية التوحيد ونهاية المعرفة والواصل إلى آية النهاية لا يكون أبداً فى مدارج البداية (١).

ولما جاء عليه السلام للنمرود يدعوه إلى الله الذى يحى ويميت قال النمرود ﴿ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ (٢) ومع وضوح المغالطة فى رد النمرود لم يناقش إبراهيم عليه السلام فى أصل الإحياء ، وطريقة الإماتة ، وإنما ترك هذه المناقشة إلى استدلال منظـور فقال له ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾ (٣) وهنا عجز النمرود ولم يجد جواباً يرد به ، فأمسك عن الحوار ... وكان صمته دليلاً على صدق دعوة إبراهيم عليه السلام ، وبرهاناً على أن الدليل المباشر ، السهل ، المستـمد من الواقع من أقوى البراهين وأشد الأدلة فى التأثير ، ولم يبعد إبراهيم عليه السلام عن المسالك الثلاثة التى اتبعها الرسل مع مدعويهم فقد استمد حديثة من واقع الحياة وحوادث الكون القريب والبعيد .

إن مناقشات إبراهيم عليه السلام مع عبدة الكواكب أو مع عبدة الأصنام أو مع الملك (النمرود) تشير إلى نوع من الترقية عن الأدلة سابقتها مع أنهـا أيضـاً بسيطة ، لأن الإنسان فى عهد سيدنا إبراهيم كان قد ترقى أكثر من ذى قبل ، بحكم طول الزمن ، ومجئ رسالات كثيرة إليه .

وعلى هذا النمط جاءت وسائل الدعوة الإسلامية مناسبة لرقى الإنسـان الذى كان قد وصل إلى مستوى كبير ، وجاوز مرحلة الطفولة العقلية إلى مرحلة

---

(١) الملل والنحل جـ٢ صـ٥٨

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٨

(٣) سورة البقرة الآية ٢٥٨

نضجها وكمالها ، ولذلك كانت أدلة الإسلام تعتمد على توجيه النظر إلى نعم الله فى نفس الإنسان وفى الآفاق مع الترغيب فى الجنة والترهيب من النار .

وذلك بأوجه متعددة بالإضافة إلى مخاطبة العقل المجرد ، والمقارنة الدقيقة والمجادلة الفلسفية والإخبار بالغيب ، وتأصيل الأخلاق ، والأداب ، ومن هنا صلحت الدعوة ، ووسائلها ، للعالم كله ، وعلى طول الزمن .

ـ المبحث الثانى ـ
إثبات الرســـــالة

اصطدمت الدعوات السابقة جميعاً حين ظهورها بالمعارضين المعاندين الذين حاولوا بجدية هدم الدعوات ، ورد كل ما يأتى به الرسل ، وكانت وسيلتهم فى ذلك هو إنكار رسالة الرسول ، حيث أن الرسالة أصل للــدعوة ، ومصــدر ظهورها للناس ، ولولا الرسول ما كان الوحى ، وما كان دين الله تعالى ، ومن هنا رأينا الرسل عليهم السلام يدعون أقوامهم إلى توحيد الله ، وقصر العبادة له بينما المعاندون يوجهون إنكارهم إلى الرسالة ، بدعوى أن الرسول لا يصح أن يكون بشراً من الناس ، وعجبوا ، واستهزأوا لأن من يدعوهم إلى الله بشر مـــن بينهم ، وقد جوبه الرسل أجمعون بمثل هذا الإنكار والاستهزاء ، فكان عليهم أن يردوه بأدلة سهلة ، ومقنعة ، ولذلك اعتمدوا فى ردهم على دليلين :

الأول : **فى بيان مشابهة رسالتهم الرسالات السابقة .**

الثانى : **ذكر أن الرسالة اختيار إلهى محض يختص الله به من يشاء .**

وقد وضحت الدعوات فى القرآن هذا الإنكار والرد عليه .

فعن الإنكار قال قوم نوح حينما أرسل إلـيهم نـوح ﴿ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً ﴾ (١) وقال قوم هود ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾(٢) وعلى نمــط هــذا التكذيب كان سائر الأمم ، وقد أخذ الرسل فى إثبات الرسالة بالدليلين المشار إليهما سابقا ، فهم جميعاً كانوا يذكرون أقوامهم بالرسالات التى ســبقتهم ، ويعرفونهم أن الرسالة نعمة خصهم الله بها .

---

(١) سورة المؤمنون الآية ٢٤

(٢) سورة الأعراف الآية ٦٦

انظر إلى عاد فقلد رد عليهم هود عليه السلام بقوله تعالى ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ [1].

وثمود هى الأخرى قال لهم صالح عليه السلام قوله تعالى ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ ﴾[2].

ومدين قال لهم شعيب عليه السلام قوله تعالى ﴿ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى ﴾ [3].

وقوله تعالى ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾[4].

وهكذا بين الرسل لأقوامهم أن الرسالة سنة الله فى الناس منذ القديم ، وما دام هكذا الأمر فعلى الناس أن يسلموا به ، فقد ثبت فى الواقع ، وتأكد منه السابقون.

وأثبت الرسل رسالتهم بالدليل الثانى كذلك ، فبينوا أن النبوة نعمة الله ورحمة يختار لها من يشاء من البشر ، تبعاً لمميزات وضعها الله فيمن يختاره ، ثم يكمله بالوحى ، وبذلك يستطيع أن يقوم بواجبات الرسالة على الوجه الأكمل.

ومن هذا ما قاله نوح لقومه ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ ﴾[5].

وما قاله صالح لقومه ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً ﴾ [6].

---

(١) سورة الأعراف الآية ٦٩

(٢) سورة الأعراف الآية ٧٤

(٣) سورة الأعراف الآية ٧٩

(٤) سورة هود الآية ٨٩

(٥) سورة هود الآية ٢٨

(٦) سورة هود الآية ٦٣

و ما قاله شعيب لقومه ﴿ قَالَ يَـٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنًاۚ ﴾ (١) .

فإن المراد بالرزق الحسن ، والرحمة المؤتاه ، هى النبوة التى بعثــوا بهــا ، وعارضهم الناس فيها .

وهكذا أثبت الرسل رسالتهم بطريقة واقعية لأنهم أعادوا القوم إلى التاريخ المنظور ، والمعروف ، ليتدبروا فيه ، ويعتبروا به ، ويصدقوا بالرسالة بعد ذلك ، فإن كذبوا بعد ذلك فهو تكذيب بكل الرسالات وإن صدقوا فهو إيمان بجميعها

والإنسانية هى الإنسانية لأن القوم قابلوا الرسول الخاتم بمثل هذا الإنكــار فرد عليهم بمثل ردود الرسل السابقين ، وكان الأولى أن يعتــبروا مــن تلقــاء أنفسهم ، ويصدقوا بما سمعوا ، لكن هكذا كانوا ، وكل شئ عنده بمقدار .

---

(١) سورة هود الآية ٨٨

ـ المبحث الثالث ـ
إثبات البعث

يوم القيامة وما فيه من فوز للمطيعين ، وعقاب للعصاة بعد بعث الخلائق وحسابهم ، أمر أجمعت الدعوات على تأكيد إثباته حتى يشعر الإنسان بالمسئولية الدائمة فى كل شئ ، ويعلم أن كل ما يفعله فى حياته الدنيا سوف يلقاه فى الآخرة إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

ولما كان الإنسان بفطرته يحس أن حياته ليست جسداً فقط ينتهى بالموت بل إن له مع الجسد روحاً لا تفنى ، ولكنها تنتقل إلى مكان آخر ، تسعد فيه أو تشقى ، وتنعم بأعمالها أو تعذب .

إن المصريين القدماء كانوا يحنطون أجساد الموتى لتبقى "فى ظنهم" مع الروح الخالدة ، ولذلك وضعوا أجساد الموتى فى الأهرامات الضخمة ، والمقابر الكبيرة ووضعوا مع الأجساد نماذج الحساب الأخروى كما بينته أوراق البردى ، وعلى نمط المصريين كان البراهمة فى نظرتهم إلى الأرواح وخلودها .

هذا الإحساس الفطرى عند الناس كان إحساساً واقعياً اعتمدته جميع الرسالات السماوية ، ووضحته بنصوصها المقدسة ، وبينت أن البعث الأخروى أمر مؤكد ، وأن الناس فى يوم القيامة سوف يحاسبون بأعمالهم ، ويجزون على الطاعة ، ثواباً خالداً ، ونعيماً مقيماً ، وعلى العصيان العذاب الأليم .

وكان صوت الرسالات دائماً يهتم بالبعث ، فهذا هو سيدنا نوح عليه السلام منذ اللحظات الأولى فى دعوته بين أقوامه إنه يخاف عليهم من يوم القيامة حيث يبعث الناس ويعذب العصاة الكافرين فقال لهم ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ [1] وقال ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴾[2] وبهذا خوفهم من

---

(١) سورة الأعراف الآية ٥٩

(٢) سورة هود الآية ٢٦

عذاب عظيم مؤلم نازل على الطغاة ، والظالمين الـذين لا يوحـدون الله ، ولا يعبدونه ولسوف يرونه فى يوم الطوفان ، أو فى يوم القيامة كما أشار إلى ذلـك المفسرون إلا أن أبا السعود يرجح أن المقصود بهذا العذاب هو عذاب يوم القيامة ذلك أن عذاب الطوفان كان مؤلماً وعظيماً إلا أن عذاب يوم القيامة أشد وأعظم بسبب دوامه وتنوعه ، والصيغة تتناسب مع هذه المبالغة فى الشدة والعظم حيث أسندت الأليم والعظيم إلى اليوم كما فى قولنا نهاره صائم ، وليله قائم ، وأيضاً فإن الغرق ليس نهاية عذابهم _ وأقصاه فقد ذكر الله تعالى أنهم بعد إغراقهم فى يوم الطوفان يحرقون فقال تعالى ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴾ [(١)] مما يجعلنا نتساءل عن هذه النار أهى نار فى الدنيا أم نار فى يوم القيامة ، وقصة إهلاكهم المفصلة فى السور القرآنية خلـت مـن الإشارة إلى هذا الإحراق مما يدفعنا إلى الإيمان بأنها نار الآخرة ، ونتابع فى ذلك إحدى روايات أبى السعود عن هذه النار فقد ذكر أنها نار جهنم ، تنزل بهم لا محالة ، وتحققها ضرورى ، ولعل عطف إدخالهم النار على الإغراق بالفاء لبيان هذه الضرورة المحققة ، وكانها تعقب الإغراق [(٢)].

وكون المراد هو عذاب يوم القيامة لا يمنع حدوث العذاب فى يوم الطوفان الذى أنذرهم به سيدنا نوح ، وخاف عليهم من وقوعه وقد جاء فى الجلالين أن العذاب المراد هو عذاب الدنيا والآخرة معاً [(٣)].

وهكذا نجد سيدنا نوح عليه السلام يخوف الناس من المعاد ، وما فيه ، فآمن بـه الضعفاء ، وصدقوا بملاقاة الله فى يوم القيامة ، وأيقنوا بالبعث والحساب ، فلما جاء المستكبرون إلى نوح يطعنون فى هؤلاء الضعفاء ، ويطالبونه بطردهم مـن

---

(١) سورة نوح الآية ٢٥

(٢) تفسير أبى السعود جـ٥ صـ١٩٩

(٣) تفسير الجلالين جـ١ صـ١٠٦

حولـــه قـــال لهـــم ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ (١) . أى مصدقون بلقاء الله ، موقنون بذلك ، عالمون أنهم ملاقوه لا محالة ، ولذلك فلن يطردهم من الإتباع بعد هدايتهم وإيمانهم (٢) .

ولما أكثر المعرضون من العناد والتكبر عرفهم نوح بأن الله يملك أمـــرهم فى الدنيا والآخرة ، فكما أنه المتصرف فى الدنيا فهو المتصـــرف فى يـــوم القيامـــة ولسوف يرجعون إليه ليحاسبهم فقال لهـــم ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٣) .

فأسلم الأمر إلى الله وعرفهم أنهم سيرجعون إليه يوم القيامة للحساب والمؤاخذة

ولعل الهدف من بيان حقيقة البعث وإثباته أولاً عند الناس هو تخويفهم مـــن الإهمال ، وتحذيرهم من العصيان ، ذلك أن الرسل صـــلوات الله علـــيهم قـــدموا التخويف ، والتحذير فى دعوهم ، وذكروا بهما قبل أى شـــئ آخـــر ، وأعظـــم التخويف يكون هو بالبعث ويوم القيامة ، وإنما قدم الرسل ذلك لأن غالبية القوم مقلدون ، والمقلد لا ينظر فى الدليل ، ولا يعتبر بالآيات إلا إذا أخـــاف ، يقـــول الرازى : إن المقلد إذا خوف خاف ، وما لم يحصل الخوف فى قلبـــه لا يشـــتغل بالاستدلال ، ولهذا السبب قدم الرسل التخويف دائماً كما أشارت لذلك ســـورة الشعراء حين كان الرسل يقدمون ﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ **على** ﴿ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾(٤)

وقد تتابع الرسل بعد نوح عليه السلام وكلهم يثبت الميعاد ويؤكده ويخوف قومه منه فلقد خوف "هود" قومه من عذاب يوم عظيم وقدم لهم قوله ﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ليشعرهم بالخوف من عذاب الله الذى سيترل بهم ، وخاصة فى الآخرة فلما أصروا

---

(١) سورة هود الآية ٢٩

(٢) تفسير الكشاف جـــ٢ صـــ١٦٦

(٣) سورة هود الآية ٣٤

(٤) تفسير مفاتيح الغيب للرازى جـــ٦ صـــ٥٣٣ ط الحلبى

على الكفر والضلال بين لهم إنهم استحقوا التأنيب فى الدنيا والآخرة فقال لهم ﴿ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾ (١) .

ولقد كان من أوضح أسباب اللعنة أنهم كفروا بالبعث الذى ذكره الله لهم وعرضوا رأيه فى هذا المجال فى دهشة واستغراب وقال السفهاء منهم لنظرائهم ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴾ (٢) .

و لم يكتفوا بهذا الاستفهام الإنكارى بل أنكروا البعث صراحة واستبعدوا كل ما وعدهم به من أمور الآخرة فقالوا ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ۝ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝ ﴾(٣) فلا عجب إذا بعد هذا الإنكار والاستهزاء أن تتابعهم اللعنات فى الدنيا وفى الآخرة .

وسيدنا شعيب عليه السلام خوف قومه من يوم القيامة ، ودعاهم إلى العمل الصالح من أجل الفوز فيه فقال لهم ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (٤) .

وإنما قال هذا رجاء أن يستجيبوا لدعوته ويؤملوا فى ثواب يوم الآخرة.

وأيضاً فقلد بين سيدنا إبراهيم عليه السلام أن الإيمان بالله جزء من العقيدة لا تتم إلا به ، ولا يترل الخير والأمن فى الدنيا إلا على أساس الإيمان كله ، بين ذلك وهو يدعو ربه قائلاً ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ

---

(١) سورة هود الآية ٦٠

(٢) سورة المؤمنون الآية ٣٥

(٣) سورة المؤمنون الآيتان ٣٦ ، ٣٧

(٤) سورة العنكبوت الآية ٣٦

أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (١) .

فتراه ﷺ يقصر دعوته بالخير والأمن على من يستحقها من الناس والمستحق هو من آمن بالله واليوم الآخر ، أما الكافر بهما فهو إن تمتع فإنما يتمتع قليلاً فى الدنيا لكنه فى الآخرة سوف يعذب بعذاب النار وبئس المصير .

وفى هذه الآية يوضح سيدنا إبراهيم حقيقة الإيمان والكفر ومآل كل واحد منهما عند الله تعالى .

إن سيدنا إبراهيم دعا إلى البعث فى لين ، ولم يصطدم بعتو القوم ، وجبروتهم وحينما كان يلجأ إلى التمثيل كان يمثل بنفسه ، يقول لهم مشيراً إلى القدرة الإلهية ﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ (٢) ليكون إيمانهم بالله مشتملاً على التسليم بقدرته الشاملة ، للإحياء والإماتة ، والمراد بالموت هو الإماتة فى الدنيا ، والمراد بالأحياء المجازاة على الأعمال (٣) ، وقد نظمت الآية الإماتة مع الأحياء فى سمت واحد كما ذكر أبو السعود لأنها قد نيطت بجميع أمور الآخرة بما يأتى بعدها من البعث(٤) ، ومن تمثيله بنفسه قوله ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾(٥) حيث قال أطمع بينما هو ﷺ قاطع بالمغفرة ، وأسند إلى نفسه الخطيئة مع أن الأنبياء متزهون عن الخطايا ، وما فعل ذلك إلا تعليماً للأمة ليعرفوا أن أثر المغفرة على الخطيئة إنما يظهر حتماً يوم القيامة — ولم يخطئ إبراهيم ﷺ قط (٦) .

---

(١) سورة البقرة الآية ١٢٦

(٢) سورة الشعراء الآية ٨١

(٣) مفاتيح الغيب جـ٦ صـ٥٢٦

(٤) تفسير أبى السعود جـ٤ صـ١١٠

(٥) سورة الشعراء الآية ٨٢

(٦) انظر مفاتيح الغيب جـ٦ صـ٥٢٧ ، البحر المحيط جـ٧ صـ٢٥ ، تفسير أبى السعود جـ٤ صـ١١٠

إن المؤمنين يسلمون باليوم الآخر ، ويصدقون بالبعث ، ويعملون الصالحات من أجل النجاة فى الآخرة ، وهم لا يؤثرون أى عمل على طاعة الله ، انظر إلى سحرة فرعون لما آمنوا قالوا لفرعون ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾(١)

وقالوا أيضاً ﴿ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ (٢) فإنهم بذلك أعلنوا إيمانهم الذى لا يَعبأ بالدنيا وعذابها وإنما ينتظرون الآخرة وما فيها من حساب ، وجزاء وفق ما أرشدهم سيدنا موسى عليه السلام فلقد نقل إليهم قول الله تعالى له ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾(٣) ونقل كذلك قوله تعالى ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾(٤) فالإخراج من الأرض بالبعث ، وعودة الروح إلى الجسد من أجل الحساب والجزاء على الأعمال ، وقد ذكر لهم موسى ذلك ليثبت لهم البعث الذى هو من أصول دعوته ، وأحد الأركان التى يقوم عليها الإيمان .

إن المؤمنين من أتباع موسى عليه السلام كانوا لشدة يقينهم بالقيامة كانوا يخوفون أهاليهم من أهوالها ، كالرجل الذى آمن منهم ونادى فيهم قائلاً ﴿ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴾ (٥) ويوم التناد هو يوم القيامة حيث ينادى بعضهم بعضاً للإستعانة ، أو يتصايحون بالويل والثبور ، أو يتنادى أصحاب النار وأصحاب الجنة أو يند بعضهم من بعض على قراءة التشديد ، وعن الضحاك إذا

---

(١) سورة طه الآية ٧٢

(٢) سورة الزخرف الآية ١٤

(٣) سورة طه الآية ١٥

(٤) سورة طه الآية ٥٥

(٥) سورة غافر الآية ٣٢

سمع الكفار زفير النار ندوا وهربوا فلا يأتون قطراً من الأقطار إلا وجدوا ملائكة صفوفاً فبينما هم يموج بعضهم فى بعض إذ سمعوا منادياً أقبلوا إلى الحساب[١].

والبعث هو أول ما نطق به عيسى عليه السلام وهو فى المهد إذ قال ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾[٢] وكان يقول لليهود الصدوقيين الذى ينكرون البعث " وأما جهة قيامة الأموات أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل: **أنا إله إبراهيم ، وإله إسحاق ، وإله يعقوب ، ليس الله إله أموات، بل إله أحياء فلما سمعوه بهتوا من تعليمه** [٣] .

ولقد حفلت الدعوة الإسلامية بإثبات المبعث وبينت أنه أحد أركان العقيدة الإسلامية والإيمان به شرط حتمى للإيمان .

---

(١) تفسير أبى السعود جـ٥ صـ٩

(٢) سورة مريم الآية ٣٣

(٣) انجيل متى الإصحاح الثانى والعشرون فقرات ٣١ - ٣٣

ـ المبحث الرابع ـ
إثبات أصول العبادات

كان لاتفاق الرسالات فى إثبات وحدانية الله أن اتفقت بالضرورة فى حتمية التوجه إلى الله الواحد ، بالعبادة الخالصة ، التى تشعر الإنسان المخلوق باحتياجه إلى الله الخالق ، وضرورة العيش فى حقيقة العبودية ، وصدقها .

جاء فى محاسن التأويل " العبودية عند جميع العرب أصلها الذلة ، والطريق المذلل للسير يسمى طريقاً معبداً ، وما سمى العبد بالعبد إلا لذلته لمولاه ، وفى العبودية تحرير النفس لله ، وتخليصها لعبادته وحده لا يشركه شئ مالا فى حبه ، ولا فى خوفه ، ولا فى رجائه ، أو التوكل عليه والتقرب منه "[(١)].

ويقول الشيخ محمد عبده : العبادة ضرب من الخضوع ، بالغ حد النهاية ناشئ عن استشعار القلب عظمة المعبود ، لا يعرف منشأها ، واعتقاد بسلطة له لا يدرك كنهها ، وماهيتها ، وقصارى ما يعرفه منها أنها محيطة به ، ولكنها فوق إدراكه[(٢)] .

إن العبادة تعتمد أساساً على غريزة التدين فى نفس الإنسان ، والتى تبدو فى الإحساس الخفى ، بوجود سلطان غيبى ، فوق قوى الكون ، وفوق الأسباب ، وصاحب هذا السلطان هو خالق السموات والأرض ، وما فيهما ، وهو مصدر النفع ، والضر ، والمستحق لأن يعظم ويقدر .

إن الرسالات جاءت لتؤكد هذه الفطرة ، وترسم لها طريق استقامتها ، حتى لا تنحرف كما انحرفت من قبل ، حين اتجهت إلى عبادة صنم ، أو وثن ، تحسب أن له دخلا فى هذا السلطان الكبير ... وبذلك أخذت الرسالات الناس إلى طاعة الله ، وتسليم الأمر له ، وخلوص العبادة له وحده سبحانه وتعالى .

ولعل اهتمام الرسالات بالعبادات على أساس هذا المفهوم هو الذى سهل

---

(١) محاسن التأويل جـ٢ صـ٩ ، ١٠

(٢) تفسير الفاتحة للشيخ محمد عبده صـ٣١ ، ٣٣

للعابدين من اتباع سائر الدعوات أن يتسموا بالمسلمين .

فنوح عليه السلام يقول ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[(١)] .

وإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يقولان ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴾ [(٢)]

وإبراهيم ويعقوب يوصيان أولادهما ويقولان ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

ويوسف عليه السلام يقول لربه ﴿ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾[(٣)]

وسليمان يرسل إلى بلقيس قائلاً ﴿ أَلَّا تَعْلُواْ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾[(٤)]

فلما أسلمت قالت ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[(٥)]

وإبــــراهيم عليه السلام ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[(٦)] .

وحواريو عيسى عليه السلام قالوا ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [(٧)] .

ولا غرابة فى هذه التسمية لأنها تتفق مع مفهوم العبادة فى كثير من الجوانب إذ الأصل اللغوى لمادة الإسلام تحتمل معان ثلاثة :-

أحدها : الانقياد والمتابعة : وفى الحديث " **أن الله أعاننى عليه حتى أسلم**[(٨)]" أى انقاد لى وكف عن وسوستى .

وقال تعـــالى ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾[(٩)] أى لا

---

(١) سورة يونس الآية ٧٢

(٢) سورة البقرة الآية ١٢٨

(٣) سورة يوسف الآية ١٠١

(٤) سورة النمل الآية ٣١

(٥) سورة النمل الآية ٤٤

(٦) سورة آل عمران الآية ٦٧

(٧) سورة آل عمران الآية ٥٢

(٨) صحيح مسلم بشرح النووى جــ١٧ ، صــ١٥٧

(٩) سورة النساء الآية ٩٤

تقولوا ذلك لأنه صار منقاداً لكم ومتابعاً .

الثانى : **السلامة والأمانة** : قال الأزهرى المسلم من دخل فى باب السلامة

الثالث : قال ابن الأنبارى المسلم معناه المخلص لله فى عبادته ، فالإســـلام هو الإخلاص لله فى عبادته [١].

هذه المعانى المحتملة من لفظة الإسلام هى نفسها المعانى المستفادة من العبادة لأن العبادة فيها انقياد كامل لله ، وإخلاص للمعبود ، عن رغبة مستلزمة للأمن والسلامة ، يقول ابن تيمية " إن العبادة تتضمن معنى الذل ومعنى الحب معـــاً ، وأول مراتب الحب العلاقة ، ثم الصبابة ، ثم الغرام ، ثم العشق وآخره التتـــيم ، يقال تيم الله أى عبده ، فالمتيم المعبد لمحبـــوبه [٢] ، ويقول الـــرازى عند قولـــه تعالى ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾[٣] فإذا أسلمت وجهى لله فـــلا أعبد غيره ، ولا أتوقع الخير إلا منه ، ولا أخاف إلا من قهره وســـطوته ، ولا أشرك معه غيره فى العبادة [٤] .

وبذلك يتضمن إسلام الوجه الإخلاص ، وكمال العبودية ، وقصرها على الله وحده ، فدعوة الرسل إلى العبادة دعوة إلى الإسلام فى الحقيقة .

والعبادات التى دعا إليها الرسل نوعان :

الأول : محدد ، مقدر ، مكيف بنص مقدس ، لا يقبل التغيير والتبديل .

الثانى : ليس كذلك ويدخل فى دائرة الأخلاقيات المشتملة على كل مـــا هو حسن وصالح .

أما عن النوع الأول فيقول الغزالى عنه : إنه محدد مقدر من جهـــة الأنبياء لا

---

(١) مفاتيح الغيب جـــ٢ صـــ٦٣٨

(٢) رسالة العبودية لابن تيميه صـــ٥

(٣) سورة آل عمران الآية ٢٠

(٤) مفاتيح الغيب جـــ٥ صـــ٦٣٠

يدرك وجه تأثيرها ببضاعة عقل العقلاء بل يجب فيها تقليد الأنبياء الذين أدركوا تلك الخواص بنور النبوة [١].

ويقول العقاد عنها : أنها شعائر توقيفية تؤخذ بأوضاعها وأشكالها[٢].

والعبادات المحددة التى هى عادة ما يلتمس أثرها ، ويطلب سرها ، كالصوم والصلاة ، والزكاة ، والحج قد اتفقت الدعوات السابقة فى وضع أصولها للناس حتى يتحقق الانقياد العملى ، ويظهر الإخلاص لله تعالى بها .

هذا هو سيدنا إبراهيم عليه السلام دعا ربه أن يمكنه وذريته من إقامة الصلاة فيقول ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾[٣]

ومن الأوصاف التى استحق بها سيدنا إسماعيل عليه السلام المدح إقامته للصلاة يقول الله تعالى ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾[٤]

وحينما كلف الله موسى عليه السلام بالرسالة كان أول ما أمر به هو الصلاة ، حيث قال الله تعالى له ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾[٥]

وأمر هو وأخوه هارون بها ، قال الله تعالى ﴿ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٦] .

ومن وصايا لقمان لابنه ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [٧] .

---

(١) المنقذ من الضلال صـ١٨٥

(٢) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه صـ١٠٨

(٣) سورة إبراهيم الآية ٤٠

(٤) سورة مريم الآية ٥٥

(٥) سورة طه الآية ١٤

(٦) سورة يونس الآية ٨٧

(٧) سورة لقمان الآية ١٧

والصلاة أول ما نطق بــه عيســى فى المهــد إذ قــال ﴿ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾[١] .

فترى الرسل قد كلفوا بإقامة الصلاة وبلغوا هذا التكليف .

إن الصلوات الواردة على ألسنة الرسل أعمال مكررة ، فى مواعيد ثابتــة ، وتحتاج إلى تدبر ، وتذكر ، وخضوع كما يدل على ذلك لفظ إقامة الذى أسندت إليه الصلاة وكيفية هذه الصلاة من ناحية الإحاطة بها تحتمل رأيين :

الأول : أن يطلع الله كل رسول على كيفية صلاة الأمــم الســابقة ، وتفاصيلها وهيأتها لتكون معلومة لديه ، ويعرفها لأمته ليعبدوا الله بها .

الثانى : أن لا يطلع الله الرسل على التفاصيل ، وإنما يعرفهم بها فى إجمال .

وهذان الرأيان ذكرهما الرازى عند تفســيره لقولــه تعــالى ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ وقد ذكر الرازى فى تفسير سورة لقمان أن هذه الكيفية للصــلاة اختلفت هيأتها من رسالة إلى رسالة ، وإن اتحدت فى حقيقتها وغرضها [٢].

وسواء كانت الصلاة معلومة للرسل ، أو غير معلومة ، فإنه لا يمنــع أن يكون هناك اشتراك فى بعض أجزاء هذه الكيفية كالتوجــه إلى قبلــة ، وإن اختلفت فقلد ثبت أن اليهود كانت تتوجه إلى بيت المقــدس ، فى الصــلاة وثبتت مشاركة النبى ﷺ لهم فى هذا الاتجاه بعد الهجرة سبعة عشر شهراً حتى أمر بالتحول إلى الكعبة فى مكة[٣] ، وكالركوع ، والسجود فإن إبراهيم عليه السلام قال ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [٤] .

---

(١) سورة مريم الآية ٣١

(٢) مفاتيح الغيب جـ٦ ، صـ١٨ ، جـ٦ صـ٨٦٣

(٣) لباب النقول فى أسباب النزول جـ١ صـ٢٣ ، ٢٤

(٤) سورة الحج الآية ٢٦

ومريم نوديت ﴿ يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[١]

وداود عليه السلام ﴿ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾[٢] .

وكتأدية الصلاة فى مكان طاهر ، كالمسجد ، والبيـــع ، والكنـــائس ، والزكاة أيضاً بمعناها البسيط الذى هو إعطاء المحتاج جزء من المال معونة لــــه جاءت أصولها فى الرسالات السابقة .

فعن إبراهيم وابنه إسحاق يقول تعـــالى ﴿ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُواْ لَنَا عَـٰبِدِينَ ﴾ [٣] .

ومن صفات إسماعيل عليه السلام وصـــلاحه ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾ [٤] .

ومن أقوال المسيح فى مهده ﴿ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾[٥]

وجاء فى العهد القديم " **أنصفوا المسكين ، والبائس ، نجـــوا المســـكين ، والبائس** "[٦].

وجاء أيضاً " **من يرحم الفقير يقرض الرب** "[٧] .

وجاء فى العهد الجديد " **بع أملاكك وأعط الفقراء فسيكون لك كتر فى السماء** [٨] " **وجاء فيه أيضاً " تعالوا يا مباركى أبى ، ورثوا الملكوت المعد لكم**

---

(١) سورة آل عمران الآية ٤٣

(٢) سورة ص الآية ٢٤

(٣) سورة الأنبياء الآية ٧٣

(٤) سورة مريم الآية ٥٤

(٥) سورة مريم الآية ٣١

(٦) مزامير دواد الإصحاح ٧٣ فقرة ٤

(٧) الأمثال إصحاح ١٩

(٨) إنجيل متى الإصحاح ١٩ فقرة ٢١

منذ تأسيس العالم لأنى جعت فأطعمتمونى عطشت فسقيتمونى كنت غريباً فآويتمونى عرياناً فكسوتمونى ، مريضاً فزرتمونى ، محبوساً فآتيتم إلى ، فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين : يا رب متى رآيناك جائعاً فأطعمناك أو عطشاناً فسقيناك ومتى رآيناك غريباً فآويناك ، أو عرياناً فكسوناك ، ومتى رآيناك مريضاً ، أو محبوساً فآتينا إليك ، فيجب الملك ويقول : الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد أخوتى هؤلاء الأصاغر فى فعلتم [١] .

والصيام معروف فى الرسالات السابقة يقول الله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٢] .

والحج منذ سيدنا إبراهيم عليه السلام معروف للناس بعد أمر الله له ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[٣]

وعلى هذا فأصول العبادات موجودة فى جميع الرسالات السابقة ، وذكر وجود هذه الأصول منذ القديم يفيد تقبلها ، لأن العبادة تكليف ومشقة والشئ الشاق إذا عم سهل تحمله ، يقول أبو السعود : فى ذكر العبادات تأكيد للحكم وترغيب فيه وتطييب لأنفس المخاطبين [٤].

وكما سبق من اختلاف كيفية الصلاة فكيفية العبادات على نمطها ، والصوم فإن جميع الرسالات جعلته إمتناعاً عن المفطرات فى وقت معلوم والتشبيه الوارد فى قوله ، ﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ يفيد المماثلة فى أصل الوجوب أو فى الوقت ، أو فى المقدار ، وقد رجح الفخر الرازى أن المماثلة فى

---

(١) إنجيل متى ، الإصحاح ٢٦ فقرة ٣٤ - ٤٠

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٣

(٣) سورة الحج الآية ٢٧

(٤) تفسير أبى السعود جـ٦ صـ١٠٤

أصل الوجوب فقط لأن الكيفية تختلف على حساب استعدادات المكلفين وقدراتهم [١] .

ويكفى أن تعلم أن الكيفيات التى وضعت فيها العبادات سابقاً كانت تتضمن الإنقياد لله ، والامتثال المطلق لأمره فى النفس ، والمال ، وكافة ما يستطيعه البشر .

والعبادات الإسلامية تتحد مع أصول العبادة عموماً ، وتقصد أهدافها تماماً وقد جاءتنا مفصلة الهيئات ، معروفة بدقة من ناحية الوقت ، والكيفية ، والمقدار

---

(١) مفاتيح الغيب جـ٢ صـ٦٧١

ـ المبحث الخامس ـ
الاهتمام بمكارم الأخلاق

تعتبر الأخلاق جانباً حيوياً وهاماً فى كل رسالة سماوية و لم تكتف واحدة منها بتصحيح العقائد والشرائع بل وصل اهتمامها بالأخلاق إلى أن المناداة بها ظهر مقترنا بظهور الدعوة ، وكانت المناداة بالأخلاق متزامنا مع الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله .

ومن المعروف أن صدق التوحيد ، وإخلاص العبادة ، يستتبعان بالضرورة أخلاقاً نقية عالية .

والرسل صلوات الله عليهم خير للناس ، اصطفاهم الله تعالى لنشر المكارم الأخلاقية ، وركز فى طباعهم السمو النفسى ، والأخلاقى الذى جعلهم مستعدين للقيام برسالتهم ، ويحدد الرسول الخاتم ﷺ منزلة الخلق فى الرسالات فيقول ﷺ " **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** " [1] .

فهو متتم لمن سبقه من الرسل ، وكان الهدف من كل رسالة هو نشر جانب أخلاقى ما ، إلا أن الرسالة الخاتمة جاءت متممه لهدف هذه الرسالات بتكميل مكارم الأخلاق كلها .

ولقد كان منهج الرسالات المقدس فى تعليم الأخلاق واضحاً فى اتجاهات معينه نجملها فى اتجاهات أربعة هى :

الأولى : الدعوة إلى الأخلاق مع بدء الدعوة إلى التوحيد ..

الثانى : الدعوة إلى الأخلاق بأعمال الرسل وأقوالهم .

الثالث : محاربة الرذائل الأخلاقية والتركيز على المتفشى منها .

الرابع : بيان العاقبة الحسنة لأصحاب الأخلاق الفاضلة .

وهذه الأمور نفصلها فيما يلى :

---

(١) موطأ مالك بشرح الزرقانى باب ما جاء فى حسن الخلق جـ٤ صـ١٢

ـ الاتجاه الأول ـ
الدعوة إلى الأخلاق مع بدء الدعوة إلى التوحيد

بدأ الرسل فى دعوتهم إلى الأخلاق مع بدء الدعوة إلى التوحيد ، حتى يصنعوا بالأخلاق حاجزاً بين النفس وشهوتها ، والقلب وهواه ، ويرسموا للإنسانية طريقاً مليئاً بالفضائل ، والصلاح .

وإنما بدأوا هكذا لأن الإيمان بالله قرين الأخلاق ، كلاهما يستلزم خضوعاً وخشوعاً ، وطاعة مطلقة لله تعالى ، وتجنب المظالم ، وإنصاف النفس من كل ما يشينها ويرديها ، وكلا يستوجب على صاحبه أن يتحلى بالآخر ، ولا يكمل الآخر إلا مع الأول ، ولذلك لم يبعث رسول إلا إلى قوم فسدت أخلاقهم وضلت عقائدهم ، وعاثوا فى الأرض فساداً واستكباراً ، فى هذا الوقت تعمل الرسالة على إصلاح هذا الحال مع الدعوة إلى الإيمان .

هذا هو سيدنا نوح عليه السلام بعث فى قوم ضلت عقائدهم وفسدت أخلاقهم ، وأخذوا فى تلقين ناشئتهم هذه المبادئ الضالة فى العقيدة والأخلاق ، يبينها سيدنا نوح عليه السلام فى قوله لربه ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴾[1] .

ويقول تعالى ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ۝ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ۝ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَـٰلًا ﴾[2]

فمن هذه الآيات نعلم أن قوم نوح كانوا أئمة فى الضلال ، ورؤساء فى الكفر ولذلك نادى نوح ربه أن لا يدع أحداً منهم ، لأنه إن تركهم أضلوا

---

(١) سورة نوح الآية ٧

(٢) سورة الحج الآية ٢١ إلى ٢٤

عبادة وإن ولدوا نشأوا أولادهم على الشرك والمعصية ،ولا غرو فقد استمرأوا المعصية وألفوها يقول أبو السعود إنهم أصروا على المعاصى والكفر ، واستكبروا استكباراً شديداً عن الإتباع والطاعة [(١)] ، ولوضعهم هذا طلب الرسول منهم أن يعبدوا الله ويتركوا المعاصى وقال لهم ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[(٢)]

وهود ﷺ دعا قومه إلى توحيد الله وعبادته فقال لهم ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾[(٣)].

وفى نفس الوقت ، أمرهم بأن يتوبوا عن المعاصى ويستغفروا الله عن الذنوب ، ولا يصروا على الإجرام ، والظلم ، فقال لهم ما حكاه الله تعالى فة قوله سبحانه ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴾[(٤)] .

ولقد دعا هود قومه إلى التوبة ، والاستغفار مع دعوتهم إلى التوحيد ، لأنهم عتوا عتواً كبيراً ، واستكبروا فى الأرض بغير الحق ، وقالوا غروراً وتعالياً من أشد منا قوة ؟

وصالح ﷺ بعثه الله لقومه فطلب منهم أن يعبدوا الله الواحد وينبذوا فاسد الأخلاق ويتوبوا عنها ، فقال لقومه ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾[(٥)] .

فطلب إليهم أن يوحدوا الله ويعبدوه ويرجعوا عما كانوا يباشرونه من

---

(١) تفسير أبي السعود جـ٥ صـ١١٧

(٢) سورة نوح الآيتان ٣ ، ٤

(٣) سورة هود الآية ٥٠

(٤) سورة هود الآية ٥٢

(٥) سورة هود الآية ٦١

القبائح الأخلاقية ، وقد جاء النظم فى الآية مهتماً بالتوبة حيث ذكر العلة الباعثة عليها وهى أنشأكم من الأرض ، واستعمركم فيها ، وجعل عقبها مباشرة الغاية المرجوه وهى أن ربى قريب مجيب[١] .

ووضح صالح عليه السلام أن هذه الغاية وتلك العلة داعيتان إلى توحيد الله ، وعبادته ، والعفو عن الضلال والسفه بصورة تلقائية ، فقد وضعتهما الآية حول الأمر بالتوبة للإشارة إلى أهمية هذا الأمر ، وضرورته للتوحيد ، ولبيان مدى ما يترتب عليها من فائدة .

وقد أخذت التوبة هذه الأهمية لأن قوم صالح عتوا عتواً كثيراً ، وأفسدوا فى الأرض ، وعبدوا الأوثان ، فى الوقت الذى تمتعوا فيه بنعم من الله وفيرة إذ خلفوا عاداً وطالت أعمارهم ، وكثر رخاؤهم ، ونحتوا من الجبال بيوتاً وحصوناً ، واتخذوا من السهل قصوراً ومساكن ، فكان لابد أن يذكرهم بهذه النعم عند دعوتهم كما قال لهم ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[٢]

وهكذا دعا صالح عليه السلام قومه إلى التوحيد وفى نفس الوقت دعاهم إلى ترك الفساد والاستكبار .

وشعيب عليه السلام دعا قومه إلى التوحيد واستقامة الأخلاق حيث قال لقومه ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٣] .

---

(١) تفسير أبى السعود جـ٣ صـ٣١

(٢) سورة الأعراف الآية ٧٤

(٣) سورة الأعراف الآية ٨٥

فنراه عليه السلام قد بدأ بإصلاح العقيدة وقفى عليها بالأمر بإيفاء الكيل ، والميزان إذا باعوا ،والنهى عن بخس الناس أشياءهم إذا اشتروا ، وأن يتعدوا عن كل إفسادهم بعد ذلك ، جاء فى دعوة الرسل إلى الله تعالى أن المراد بالبخس النفس ، والأشياء أعم من المكيل ، لموزون كالمواشى والمعدودات ، ويشمل البخس فى المساومة ، والغش ، والحيل ، والإفساد فى الأرض يتضمن أكل أموال الناس بالباطل ولبغى ، والعداون على الأنفس والأرضى وإفساد الأخلاق والآداب بالإثم والفواحش الظاهرة، والباطنة، وقد نهاهم شعيب عن كل هذا وختم قوله لهم بقوله ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ وكأن مقتضى الإيمان يستلزم التمسك بالطيب الحلال ، والبعد عن الخبيث المحرم [١].

وهكذا جمع شعيب فى أول دعوته بين المناداة بالتوحيد والمناداة بالأخلاق كسائر الرسل عليهم السلام .

و"لوط" عليه السلام يبدأ دعوته بأن يستنكر على قومه مفاسدهم فطالبهم بتنقية أخلاقهم قبل أن يطالبهم بالتوحيد ، ذلك لأنهم كما ذكر صاحب قصص الأنبياء كانوا قد ابتدعوا من المنكرات ما لم يسبقهم إليه أحد من خلق الله ، حيث كانوا يأتون الذكران من العالمين شهوة من دون النساء ولا يرون فى ذلك سوءاً أو قبحاً فيعلنونه ولا يستترون[٢] فهم فى هذا الباب فريدون لا سابق لهم ، وقد بين الله لهم هذه الحقيقة بقوله تعالى ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٣] .

فهم يعلنون الفاحشة الظاهر قبحها من دون سائر الناس ، ولا يرتدعون أبداً ولقد وصفهم لوط بسبب هذا بصفات عدة ، إنكاراً منه لعملهم ، وتوجيهاً لهم

---

(١) دعوة الرسل إلى الله صـــ١٥٥إلى ١٥٧ بتصرف

(٢) قصص الأنبياء صـــ١١٣

(٣) سورة العنكبوت الآية ٢٨

إلى الخير فقال لهم ، مشيراً إلى إسرافهم فى الفاحشة وتجاوزهم الحد المعقول ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾[١] .

وأشار إلى تعديهم حدود القدرة والعقل فقال لهم ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾[٢]

وعرفهم ببعدهم عن الحقيقة وجهلهم فقال لهم ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[٣]

فهم فى الواقع سفهاء ، ومسرفون ، وجهلاء ، وقد حاول لوط عليه السلام أن يوقظ فيهم حمية الشرف والكرامة بأوجه متعددة .

فسألهم **أولاً** على وجه الإنكار وقال لهم ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾[٤]

وذلك ليثير فى أنفسهم محاولات فهم موضوع السؤال ، ذلك أن الاستفهام فى أصل وضعه يتطلب جواباً يحتاج إلى تفكير يقع به هذا الجواب فى موضعه ، مما يؤدى به إلى استكراه ما يفعلون ، وكان عليه السلام يسألهم ويعرفهم أنه لا نظير لهم ، فيقول ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾[٥] ، ويشير عليه السلام فى سؤالهم إلى ضرورة أن يعملوا فكرهم وبصرهم فيسأل ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾[٦]

ووجههم **ثانياً** إلى وجوب التسامى بغريزتهم وبذلها فى حلال ، لأن الشهوة إن بذلت فى موضعها المشروع فهى صفة حسن ، وإن بذلت فى غير المشروع فهى فحشاء وصفة قبيحة ، وقد أراد عليه السلام أن يعودهم التسامى بالشهوة وينتقلوا بها من الفحشاء إلى الحسن فقال لهم عند حضور أضيافة وقد أرادوا الاعتداء عليهم

---

(١) سورة الأعراف الآية ٨١

(٢) سورة الشعراء الآية ١٦٦

(٣) سورة النمل الآية ٥٥

(٤) سورة الشعراء الآية ١٦٥

(٥) سورة الأعراف الآية ٨٠

(٦) سورة الأعراف الآية ٨٥

قال لهم ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾[(١)] يقصد ﷺ أن يتزوجوهن بالطريق المشروع ، ومما يؤكد هذا المقصد " لفظ أطهر " لأن لقاء البنات والنسوة لا يكون طاهراً إلا بالمشروع ، ومن سفه القول أن يتصور أحد أنه يريد استبدال اللواطة بالزنا ، حتى لو أريد بناتى بنات الكفار مع قومه ، لأن الرسول لا يستبدل خطأ بخطأ ، وإنما يجتث الخطأ من جذوره .

وأيضاً كون المقصد هو الزواج المشروع أولى من أن يكون المقصد هو البنات بلا زواج ، عن طريق عرض سريع بلا إلحاح ، ليبين لهم فساد ما هم عليه ويستدرجهم إلى الفضيلة فى نهاية عرضه ، لأن عرض البنات هكذا مؤد إلى الخجل فينصرفوا ، ويتركوا أضيافة .

وإنما قلنا إن القصد الأولى بالاعتبار هو الزواج المشروع لأنهم قوم فقدوا الحياء كلية ، وامتلأوا سفها وجهلاً وعدوانا ، يأتون المنكر فى ناديهم ، ويهددون رسولهم بالطرد ، وهؤلاء لا حياء عندهم ولا خجل كما أن استدراجهم إلى الفضيلة لا يفيد ، وقد عرف الله لوطاً بحقيقة القوم فكيف ينتظر منهم ﷺ حياء ولا خجلاً ؟

وبذلك تعين أن يكون قصد لوط ﷺ هو الزواج المشروع كما نص عليه أبو السعود فى تفسيره ، واستبعد أو ضعف ما عداه [(٢)].

وهكذا اتجه لوط إلى تعليم قومه الأخلاق مع دعوتهم إلى التوحيد ولا عجب فإن الرسل جميعاً اهتموا بالأخلاق .

ومن بعد سيدنا لوط رأينا موسى ﷺ يدعو إلى الأخلاق ويقول لفرعون ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾[(٣)] فقد بين له أن

---

(١) سورة هود الآية ٧٨

(٢) تفسير أبي السعود جـ٣ صـ٣٦

(٣) سورة النازعات الآيتان ١٨ ، ١٩

الهدف هو أن يتطهر من دنس الكفر والطغيان عن طريق خشية الله ، وقد خاطبة بأسلوب الاستفهام ليستدعيه بالتلطف فى القول ، ويستنزله بالمداراة من عتوه تنفيذاً لقوله تعالى ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[١] .

وعيسى عليه السلام لما سأله أحد الفريسيين قائلاً : " **يا معلم أية وصية هى العظمى فى الناموس ؟ فقال له يسوع : تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك .**

هذه هى الوصية الأولى العظمى ، والثانية مثلها تحب قريبك كنفسك ، فبهاتين الوصيتين يتعلق الناموس ، كله والأنبياء [٢].

وهكذا دعاهم إلى الله ومكارم الأخلاق وقد وضح ذلك فى القرآن الكريم وهو يحكى إجابة عيسى لله تعالى فيقول ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[٣] .

وقد ضمنت آيات كثيرة التوحيد والخلق معاً وجاءت أمراً إلى الأمة الإسلامية ومن هذه الآيات قوله تعالى ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[٤] .

ومثل هذه الآية كثير فى القرآن الكريم ، وكله يوضح الاهتمام بالخلق مع التوحيد .

---

(١) سورة طه الآية ٤٤

(٢) انجيل متى الإصحاح الثانى والعشرون الفقرات ٣٧ - ٤١

(٣) سورة المائدة الآية ١١٧

(٤) سورة الأنعام الآية ١٥١

- الإتجاه الثانى -
المنهج العملى التطبيقى

كان الرسل صلوات الله عليهم فى دعوتهم إلى الأخلاق يبدون صورة عملية لما يدعون إليه ، ولذلك امتازوا بالأخلاق الفاضلة التى قصها لنا القرآن الكريم .

فالأمانة وهى من أمهات الأخلاق اتصف بها جميع الرسل قبل بعثتهم وبعدها، وظهرت معهم كلازمة من لوازم حياتهم ، واشتهروا بها بين أقوامهم ولذلك رأينا الرسل حينما يقابلهم الناس بالتكذيب ، والإيذاء يذكرون لهم ما عرفوا به لديهم ، من أمانة واضحة قبل الرسالة ، وهى معهم بعد الرسالة بالضرورة، وقد قال كل رسول لقومه ﴿ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾[١] يقول أبو حيان هذه الآية علة معلولها ما تقدمها من عرض الرسول تقوى الله عليهم، وعلة هذا معلولها تقتضى أن تكون معروفة ، ومعهودة ، لدرجة تدفع إلى الإيمان بالمعلوم فالرسول مشهور بين قومه بالأمانة[٢] وكأنه يقول لهم بهذه الآية: كنت أميناً من قبل فكيف تتهمونى اليوم ؟[٣] لأن الكفار لا يستطيعون إنكار ما اشتهر به رسولهم ، ولذلك حاولوا إزالة الصفات المعروفة عن الرسل بدعوى حدوث أمور عارضة منعت استمرار هذه الصفات المسلم بها من قبل ، كدعوى الإصابة بالجنون ، أو بالمس بالشياطين [٤].

من أمثال قول قوم نوح عنه ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾[٥] فذكروا أنه أصيب بجنون .

---

(١) سورة الشعراء الآية ١٠٧

(٢) البحر المحيط جـ٨ صـ٣١

(٣) تفسير أبى السعود جـ٤ صـ١٢٣

(٤) مفاتيح الغيب جـ٦ صـ٥٣٣

(٥) سورة المؤمنون الآية ٢٥

وأيضاً قال قوم هود ﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾(١) واكتفى قوم صالح بتذكيره بأنه كان قبل البعثة محل رجائهم وأملهم وقالوا ﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾(٢)

وهكذا كانت الأمانة أولى الصفات التى ظهرت فى أعمال الرسل وحياتهم لشمولها وأهميتها ، ولذلك حاول المعارضون ردها ، وعقدوا من أجل إبطالها المؤتمرات والاجتماعات ، كما فعل القرشيون مع محمد ﷺ الذى اشتهر بالأمانة فإنهم اجتمعوا من أجل وضع وصف له يشيعونه بين الناس ، والأعراب ، ليصدوهم عن استماعه ، اجتمعوا و لم يجدوا إلا الاتهام بالسحر وقالوا عن القرآن ﴿ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾(٣) .

ورغم كل هذه الدعاوى المفتراه والسفاهة الواضحة من المعارضين لسائر الرسل لم نجد إلا لينا وتسامياً من الرسل عليهم السلام فلم يردوا على معارضيهم بقول غليظ ، أو عمل شديد وكل ما ردوا به هو نفى التهمة المستحدثة ، وبيان أنهم رسل الله ، وذلك كرد نوح عليه السلام حيث قال ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٤) وكرد هود حيث قال ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٥) وأما صالح عليه السلام فإنه تولى عنهم ﴿ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾(٦) وكذلك

---

(١) سورة هود الآية ٥٤

(٢) سورة هود الآية ٦٢

(٣) سورة امدثر الآية ٢٤

(٤) سورة الأعراف الآية ٦١

(٥) سورة الأعراف الآية ٦٧

(٦) سورة الأعراف الآية ٧٩

كان لين شعيب حيث استمع إلى معارضة قومه وتهديداتهم ثم كانت النهاية عنهم ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾[١] .

وسيدنا إبراهيم عليه السلام يقول لأبيه ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾[٢] وعلى نمط هذا اللين والتسامح كان سيدنا محمد ﷺ .

وكما اشتهر الرسل بالأمانة اشتهروا كذلك بالعفة فلم يمدوا أيديهم على شئ عند الناس ، و لم يحسدوا أحداً على ما آتاه الله من فضله ، و لم يأخذوا أجراً على دعوتهم ، و لم يكونوا عالة على أحد قط ، فلقد رعى جميعهم الغنم يتكسبون لمعاشهم ويستغنون بها عن عطاء الناس ، يبين النبى ﷺ ذلك حين سأله **جابر رضي الله عنه : وهل كنت ترعى الغنم ؟**

قال له ﷺ : وهل من نبى إلا وقد رعاها[٣] .

يقول السهيلى وإنما جعل الله هذا — رعى الغنم — فى الأنبياء ليكونوا رعاة الخلق بعد ذلك ، وليكون الخلق الكريم دينهم[٤] ، هذا وقد أكد الرسل جميعاً لأقوامهم أنهم لا يأخذون أجراً على دعوتهم ، ولا يطلبونه البتة ، وذكروا ذلك فى وضوح حيث قالوا جميعاً لأقوامهم ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٥] .

وكما **جبلوا على الأمانة والعفة اشتهروا بالصدق** ومن أجل تأكيد صدقهم أتتهم المعجزات الخارقة للعادة لتكون دليل صدق على البلاغ .

---

(١) سورة الأعراف الآية ٩٣

(٢) سورة مريم الآية ٤٧

(٣) صحيح البخارى كتاب بدء الخلق باب يعكفون على أصنام لهم جـ٤ صـ١٩١ ط الشعب .

(٤) الروض الأنف جـ١ صـ١٧٨

(٥) سورة الشعراء الآية ١٠٩

يقول صاحب المواقف: أجمع أهل الملل والشرائع على عصمة الأنبياء من تعمد الكذب ، فيما دل على صدقهم فيه ، كدعوى الرسالة ، فيما يبلغونه عن الله [١] ، ولابد من صدقهم فى هذا لئلا تبطل فائدة الرسالة إذ لو جاز كذب النبى فى الأحكام التبليغية لبطلت دلالة المعجزة على صدقه فيما أتى به من الله مع أن دلالة المعجزة على صدقه دلالة عادية قطعية [٢] .

ولقد مدح القرآن سائر الرسل وأظهر صدقهم فقال تعالى ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾[٣] ، وقال تعالى ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾[٤] وقال تعالى ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾[٥] .

وهكذا وصفهم القرآن بالصدق بصيغة المبالغة ، مع تقديم هذه الصفة فى الذكر على النبوة ، لأن النبوة متوقفة عليها ، ولن تكون بدونها ، ولم يحدث عملياً أن كذب نبى قط ، وما جاء من أن إبراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات مثل ما روى مسلم والبخارى عن أبى هريرة من عدة طرق أن رسول الله ﷺ قال – واللفظ للبخارى – " **لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات اثنين منهن فى ذات الله عز وجل قوله إنى سقيم ، وقوله بل فعله كبيرهم هذا ، وقال بينما هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له : إن ها هنا رجل معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه فسأله عنها فقال من هذه ؟ قال : أختى .**

---

(١) شرح المواقف جـ٢ صـ٢٠٤

(٢) شرح العلامة عبد الحكيم جـ صـ٤٦٧

(٣) سورة مريم الآية ٤١

(٤) سورة مريم الآية ٥٤

(٥) سورة مريم الآية ٥٦

فأتى سارة قال : يا سارة ليس على وجه الارض مؤمن غيرى ، وغيرك ، وإن هذا سألنى فأخبرته أنك أختى فلا تكذبينى[١] .

هذا الذى جاء منافياً للصدق الدائم لرسل الله يجعلنا نحمله على معاريض القول .

والمعاريض نوع من البديع ، معناه أن يدل اللفظ على معنيين أحدهما صدق ينويه المتكلم فى نفسه ، والثانى كذب يسكت المتكلم عن نفيه إسكاتاً للمجادل ، وحمل الحديث على المعاريض يجعلنا لا نكذب الحديث ولا نكذب إبراهيم ﷺ وتأويل الكلمات على مفهوم المعاريض ممكن لأن معنى "إنى سقيم" مريض القلب بسبب إطباق ذلك الجمع على الكفر ، ومعنى قوله " **بل فعله كبيرهم هذا** " إسناد الفعل إلى نفسه لا إلى الصنم .

يقول الزمخشرى قصد إن قصد إبراهيم ﷺ لم يكن أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم ، وإنما قصد تقريره لنفسه ، وإثباته على أسلوب تعريضى يبلغ فيه غرضه[٢] ، وقوله "**هى أختى**" أى أختى فى الإسلام ، وقد ورد فى لفظ رواية مسلم " **تلك أختى فى الإسلام فإنى لا أعلم فى الأرض مسلماً غيرى وغيرك** " [٣] .

هذا وقد قال الرازى فى تفسيره ، إن الخبر لو صح فهو محمول على المعاريض[٤] ومن المعلوم أن ما فى المعاريض من صور الكذب ليس كذباً فى الحقيقة وقد جمع البخارى صوراً منها وترجم لها بعنوان " باب المعاريض مندوحة من الكذب [٥] " .

---

(١) صحيح البخارى كتاب بدء الخلق ، باب "واتخذ الله إبراهيم خليلا " جـ٤ صـ١٤١ ، صحيح مسلم كتاب الفضائل ، باب إبراهيم ﷺ جـ١٥ صـ١٢٣

(٢) تفسير الكشاف جـ٢ صـ٥٧٧ (هامش صـ٦٨ من أصول الدعوة)

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الفضائل باب إبراهيم ﷺ جـ١٥ صـ١٢٤

(٤) تفسير الرازى جـ٦ صـ٩٨

(٥) انظر صحيح البخارى كتاب الأدب جـ٨ صـ٥٩ باب المعاريض مندوحة عن الكذب .

وهكذا كان الأنبياء صادقين ، وأمناء ، وأصحاب عفة ، وقد جمعوا سائر الأخلاق الفاضلة فلما جاء خاتمهم محمد ﷺ أتم الأخلاق بكل جديد أتى مع التطور وقال : " **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** "[١].

ـ الاتجاه الثالث ـ

التركيز على الرذائل المتفشية

قامت الدعوات السماوية لإصلاح الفساد فى جميع الجوانب ، وبكافة الصور إلا أنها كانت تركز على الفساد المتفشى فى البيئة التى بعث فيها الرسول .

ولعل أخطر فساد تفشى فى البيئات كلها ، وأخذ صبغة مشابهة هو تعلق الناس بإله لا ينفع ولا يضر .

ورغم أن نظرة الأقوام إلى الأصنام كانت مرتبطة بعقائدهم ، إلا أن اتصالها بالأخلاق هام وخطير ، وإنما ساعدت على نشر المفاسد ، والضرر لأنها لم تقدم قيماً ، و لم تأمر بتصحيح خطأ فبرزت سيئاتها فى أخلاقهم بوضوح ، ولذلك جاهد الرسل عليهم لنبذ هذه النظرة العقائدية أولاً ، والمتجهة إلى إفساد الأخلاق ثانياً .

ومن الأخطاء التى ركز عليها الرسل ، وأبرزها القرآن الكريم على سبيل المثال ما كان من قوم شعيب حيث كانوا يطففون الكيل ، والميزان فإذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإن أعطوا يخسرون ، فأتاهم شعيب عليه السلام لإصلاح هذا الخطأ وقال لهم : ﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾[٢] ومثل هذا النداء تكرر فى قصص القرآن الكريم على لسان شعيب عليه السلام .

ومنها الرذائل السيئة التى فعلها قوم لوط عليه السلام حيث كانوا يأتون الذكران من العالمين ، ويتركون النساء ، وقد تفشى فيهم هذا الداء لدرجة أنهم كانوا

---

(١) موطأ مالك باب ما جاء فى حسن الخلق جـ٤ صـ٩٢

(٢) سورة هود الآية ٨٥

يؤتونه على أعين الناس من غير استحياء ، مع أنهم لم يسبقوا بمثله ، فقال لهم لوط ما حكاه الله فى قوله تعالى ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾[1]وقد تكررت تفاصيل فاحشة قوم لوط فى كل المواضع التى ذكر القرآن الكريم قصتهم فيها.

ومن هذه المفاسد ما كان من فرعون من ظلم ، وطغيان ، حيث ادعى أنه رب الناس الأعلى ، واستولى على جميع البلاد ، والعباد ، وقال للناس ما حاكاه الله تعالى ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[2] ووصل به طغيانه إلى أن استبد ببنى إسرائيل فى مصر ، وأصدر أمره بقتل جميع ذكورهم ، وترك نسائهم ، ولذلك جاءه موسى عليه السلام ومعه هارون لتصحيح هذه المفاسد ، ووضع نهاية لمظالمه ، وكانت ما كان إلى أن هاجر بنو إسرائيل إلى الشام ومعهم موسى وهارون ، وغرق فرعون ، وجنوده ، وماتوا جميعاً فى اليم .

ومع التركيز على المفاسد الرئيسية الموجودة لم يهمل الرسل توجيه أى جانب فى بيئتهم ، ومع الناس الذين أتوا إليهم ، فكانوا يشجعون الصالح ، ويحاولون منع سائر المفاسد الضارة بالمجتمع ، والناس إلى أن جاء سيدنا محمد ﷺ ، وقد اكتملت الإنسانية عقلياً فوضع المناهج الأخلاقية الشاملة لكل نواحى الحياة ، لا فى البيئة العربية ، وإنما لسائر البيئات .

---

(١) سورة الأعراف الآيتان ٨٠ ، ٨١

(٢) سورة الزخرف الآية ٥١

ـ الإتجاه الرابع ـ
بيان عاقبة الأخلاق

دعا الرسل الناس بدعوة الحق فآمن قوم وكفر آخرون ، وكان من أهم ما نادوا به هو الأخلاق ، وقد حكى القرآن مصائر المؤمنين ، وعاقبة الكافرين ، ليتضح الطريق لمن لا يزال فيه ، وينجو من يرجو لنفسه النجاة ، وكان من حكمة الله تعالى أن حقق الجزاء بالأمم السابقة فى الدنيا ، ولم يمهلهم للآخرة ، فقوم نوح كذبوا فكانت عاقبتهم ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾[١] .

وأما قوم هود فكذبوه فأهلكناهم ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٢] .

وأما قوم صالح فقد هلكوا بتكذيبهم ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴾[٣]

وقوم لوط فقد حل بهم ما يستحقون ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾[٤] .

وأما فرعون وجنوده فإنهم لما طغوا ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾[٥] .

وهكذا أهلك الله الأمم الفاسدة فى الدنيا ، وأراهم جزاء ضلالهم ، وذكر مصيرهم هذا فى القرآن الكريم ليستفيد به من نزل القرآن لهم ، ولكى تكمل الفائدة أمهل الله الأمة الخاتمة ، وأرجأ عقوبتها الكلية إلى الآخرة .

هذا وإن وقعت بعض العقوبة فى الدنيا على أفراد من الأمـــة الخـــاتمة ، فهى

---

(١) سورة الأعراف الآية ٦٤

(٢) سورة الشعراء الآية ١٢١

(٣) سورة الحاقة الآية ٥

(٤) سورة العنكبوت الآية ٣٤

(٥) سورة طه الآية ٧٨

عقوبة فردية فقط ، وفى الآخرة توفى كل نفس ما عملت وترى ما قدمت يقول الله تعالى ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾[1] وسوف يعلم الجميع أن ﴿ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾[2] ، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[3] .

وهكذا يؤدى بيان عاقبة الأخلاق إلى العظة والإزدجار ، وقد كان كل نبى يذكر لقومه العواقب التى نزلت بالأمم التى سبقت عليه ليزدجروا ، ويعتبروا .

وهكذا دعا الرسل إلى الأخلاق بالقول والعمل ، ومحاربة الرذائل وبالتذكير بالسابقين وهى نفسها أمور عاشها المسلمون ورأوها من الرسول ﷺ .

---

(١) سورة الزلزلة الآيتان ٧ ، ٨

(٢) سورة الطور الآية ٢١

(٣) سورة المدثر الآية ٣٨

- الفصل الخامس -

أصول الدعوة الإسلامية

ويتكون من :-

التمهيد .

المبحث الأول :
توحيد الله تعالى

المبحث الثانى :
الإيمان بالملائكة

المبحث الثالث :
الإيمان بالكتب المنزلة

المبحث الرابع :
الإيمان بالرسل

المبحث الخامس :
الإيمان باليوم الآخر

المبحث السادس :
الإيمان بالقضاء والقدر



أصول الدعوة الإسلامية

تمهيد :

فى الفصل السابق كان الحديث عن أصول الدعوات الإلهية ،.وقد وضعته قبل هذا الفصل الذى جعلته للدراسة التفصيلية فى أصول الدعوة الإسلامية ، لما بينهما من صلة ، أرى ضرورة إبرازها ، وبيان ما فى الربط بينهما من فائدة .

إن أصول الدين لسائر دعوات الله بما فيها الدعوة الإسلامية واحدة ، والإيمان بذلك يؤدى بالضرورة إلى عدة نتائج مهمة .

أولاً : الإيمان بأحد دعوات الله تعالى يؤدى بالضرورة إلى الإيمان بسائر الدعوات السابقة ، واللاحقة للدعوة التى آمن بها صاحبها .... ذلك أن الإيمان بفكرة نظرية ، وتصديق ما جاء فيها ، يتحول إلى إيمان مجرد بالفكرة ، بلا ارتباط بمن ظهرت على يديه ، كالمسألة الرياضية فإنها تتحول إلى نظرية مسلمة ، وإن لم يعرف واضعها ... فالمؤمن بوحدانية الله مؤمن بالله تعالى ، وبذلك فهو مصدق بسائر دعاة التوحيد ... ولا يصح منه ، ولا يجوز أن يؤمن برسول ، ويكفر بغيره .

ثانياً : يصير الإيمان بالدعوة الإسلامية أمراً ملزماً لسائر المؤمنين السابقين ، لو كانوا صادقين ... و لاحجة لهم أن يكفروا بدعوة توحيدية ... وهم يدعون التوحيد ، لأن هذا تناقض فى الفكرة الواحدة ... أما إذا كان تصورهم للتوحيد باطلاً ، فإن هذا يؤدى بهم إلى الكفر بالتوحيد الصحيح ، لأنهم فى الحقيقة لا يعرفونه وبالتالى فهم يعارضونه .

ثالثاً : تؤكد الدعوات الإلهية كما صورها القرآن الكريم أنها تمهيد لدعوة الإسلام وهذا يساعد الناس على الإيمان بالدعوة الإسلامية ، وبالتالى يساعد الناس على الإيمان بالله تعالى .

رابعاً : يجلى هذا الواقع الحقيقة أمام الداعية المسلم ، لأن رسل الله ، وهم رواد الدعاة ، وقادتهم جوبهوا بمعارضات ساقطة ، لكنها عنيفة طاغية ، بسبب

تسلط الطغاة على الناس ، وصدهم عن سبيل الله تعالى .... وعلى نمطهم يجب أن يتحمل الدعاة ، ويصبروا ، ويعملوا .

خامساً : تقدم الدعوات السابقة رصيداً هائلاً للدعوة الإسلامية .... فلقـــد كشفت عادات المعارضين ، ونفسياتهم ، وطبائعهم ، وعرفت بأساليب ، وطـــرق دعوتهم ، ورسمت صورة الداعية فى أسمى ، أوضاعها ، وأبهى حللها ... وذلـــك شأن يفيد الإسلام ، والدعاة .

إن الدعوات الإلهية ، واحدة فى أصولها ، وموضوع هذا الفصل هو أصـــول الدعوة الإسلامية ... وسأورده بإذن الله تعالى بشكل مفصل ، مصاحب للدليل ، والبرهان ، لأنه محل الإيمان ، وأصل الدين .... وليبق واضحاً أمام الدعاة ، تيسيراً لعملهم ، وإنجاحاً لمقاصدهم .

وسأجعل لكل ركن من أركان العقيدة الستة مبحثاً ، ولذلك ســـيأتى هـــذا الفصل مكوناً من ستة مباحث هى :

المبحث الأول : فى الإيمان بالله تعالى .

المبحث الثانى : فى الإيمان بالملائكة .

المبحث الثالث : فى الإيمان بالكتب المنزلة .

المبحث الرابع : فى الإيمان بالرسل .

المبحث الخامس : فى الإيمان باليوم الآخر .

المبحث السادس : فى الإيمان بالقضاء والقدر .

(وذلك فيما يلى)

- المبحث الأول -

الإيمان بالله تعالى

الإيمان بالله تعالى هو أصل الأصول ، وأساس الدعوة الإسلامية ... وهـو متعدد الجوانب ، لأنه يقوم على توحيد الله تعالى فى ألوهيته ، وربوبيته ، وأسمائه ، وصفاته ، وما يستتبع ذلك التوحيد من يقين قلبى ، وشهادة قولية ، وعمـل بالجوارح ، والتزام أخلاقى فى السلوك ، والتفكير .

والإيمان بالله تعالى كما يقوم على التصديق بكل كمال يليق بالله تعـالى ، يقوم كذلك على نفى أى نقص لا يليق بذات الله تعالى ، ولذلك كان تركيـز الدراسة فى هذا المبحث على توحيد الله سبحانه وتعالى .

توحيد الله تعالى

التوحيد ضد التعدد ، وهو فى الإصطلاح الإيمان اليقينى بوحدانية الله فى ذاته وصفاته ، وأسمائه ، وصفاته ، مع إثبات كل كمال يليق بذات الله تعالى ، ونفى أى نقص منه .

والإيمان بالله تعالى يقوم على جانبين متلازمين ، يحتاج كل منهما إلى الثانى ولا يتم أحدهما إلا إذا وقع مصاحباً للآخر .

والجانب الأول : معرفى محض أساسه التصور ، والتصديق ، والعلم اليقينى

والجانب الثانى : عملى تطبيقى ، يشهد للمعرفة ، ويؤكد ثباتها فى العقل ، والضمير ، يقول ابن القيم : **التوحيد إما أن يكون بالمعرفة ، والتثبت ، واليقين وإما أن يكون بالقصد ، والطلب ، والعمل .**

فتوحيد المعرفة يكون بمعرفة ذات الرب سبحانه وتعالى ، وإثبات وحدانيته ووجوده ، والتصديق بصفاته ، وأفعاله ، وأسمائه ، وتيقن تكلمه بكتبه ،

وتكليمه لمن شاء من عباده ، والإيمان بعموم قضائه وقدره ، والتيقن من حكمته على أفعاله سبحانه وتعالى جميعاً .

وهذا التوحيد فى جملته قائم على التصديق ، واليقين ، وما يلازمه من عمل اللسان ، والجوارح .

وتوحيد الطلب يراد به إخلاص العبادة لله ، وقصر التوجه إليه ، فى تعظيم ، وخضوع ، وإجلال ، والانقياد لكل ما أمر به ، والطاعة المطلقة لسائر أوامره، ونواهيه .

وتوحيد المعرفة يؤدى إلى التصديق ، والاعتقاد ، والإقرار ، والعمل .

وتوحيد القصد يعتمد على العمل بالجوارح ، شهادة ، وتطبيقاً ، ودليلاً على صدق المعرفة بالله ، واستقرارها فى القلب .

وتحقق توحيد الله بكماله عند المؤمن يقوم على سبعة شروط هى :

الأول : العلم بشهادة التوحيد نفياً ، وإثباتاً قال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[1] وقال سبحانه وتعالى ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[2] .

وقال : ﷺ **" من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة "**[3].

الثانى : اليقين ، أى استيقان القلب بها ، قال الله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾[4] .

وقال ﷺ : **" أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله لا يلقى الله بهما عبد**

(١) سورة محمد الآية ١٩

(٢) سورة الزخرف الآية ٨٦

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب من مات على التوحيد جـ١ صـ٢١٨

(٤) سورة الحجرات الآية ١٥

غير شاك فيهما إلا دخل الجنة "[١] وقال ﷺ لأبى هريرة ﷺ : " **من لقيــت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة** "[٢] .

الثالث : الإخلاص قال الله تعالى ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[٣]

وقال تعالى ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾[٤] وعن أبى هريرة ﷺ قال **قلت يا رسول الله : من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟**

فقال رسول الله ﷺ : " **لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يســألنى عــن هــذا الحديث أحد أول منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث ، أســعد النــاس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه** "[٥]

وعن أبى هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه** "[٦] .

الرابع : الصدق قال الله تعــالى ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾[٧] وعن ابن عباس قال من جاء بلا إله إلا الله ، وقال ﴿ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَـٰذِبِينَ ﴾[٨] .

وقال ﷺ : " **ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار** "[٩] ، وتقدم قوله ﷺ " **يشهد أن لا إلــه إلا الله**

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب من لقى الله بالشهادتين جـ١ صـ٢٢٤

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان ، باب من شهد شهادة التوحيد جـ١ صـ٢٣٩

(٣) سورة البينة الآية ٥

(٤) سورة الزمر الآية ٣

(٥) صحيح البخارى كتاب الإيمان ، باب الحرص على الحديث جـ١ صـ٨٨ ط الأوقاف

(٦) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الزهد ، باب تحريم الرياء جـ١٨ صـ١١٥

(٧) سورة الزمر الآية ٣٣

(٨) سورة العنكبوت الآية ٣

(٩) صحيح البخارى ، كتاب العلم .

مستيقناً بها من قلبه " .

الخامس : المحبة قال الله تعالى ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ (١) .

وقال ﷺ : **" ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار "** (٢)

وقال ﷺ : **"لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين "**(٣) .

السادس : الانقياد لها ظاهراً ، وباطناً قال الله تعالى ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾(٤)

وقال تعـــالى ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ (٥) .

السابع : القبول لها فلا يرد شيئاً من لوازمها ، ومقتضايتها .

ووصل اهتمام الإسلام بتربية الناس على اليقين بالتوحيد أن رسول الله ﷺ مكث فى مكة ثلاثة عشر عاماً قبل الهجرة ، يدعو الناس ، ويعرفهم بتوحيد الله تعالى ، حتى تزكوا نفوسهم ، وتصفو عقيدتهم.

و لم تقتصر الدعوة فى الفترة المكية على التلقين ، وحفظ النصوص ، وإنما نزل الوحى بها خطاباً للعقـــل ، وإيقاظاً للوجدان ، وإبرازاً لكافة الأدلة فى الكون والحياة ، المثبتة للحقيقة الخالقة ، التى تؤكد دائماً أنه لا إله إلا الله ، وأنه سبحانه هو

---

(١) سورة المائدة الآية ٥٤

(٢) صحيح البخارى ، كتاب الإيمان ، باب حلاوة الإيمان جـــ١ صـــ٢٢.

(٣) صحيح البخارى كتاب الإيمان ، باب حب الرسول من الإيمان جـــ١ صـــ٢٢ .

(٤) سورة لقمان الآية ٢٢

(٥) سورة الزمر الآية ٥٤

﴿ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1] .

وأدلة إقناع العقل لا تعتمد على مجرد النصوص ، وإنما تقوم أساساً على المقدمات العقلية المجردة ، لتنتج النتائج النظرية المسلمة ، فى هذا الأصل الرئيسى الذى هو أساس لما عداه من أصول الدين .

وقد أشار العلماء إلى الأدلة العديدة المثبتة لهذا الأصل ، ويمكن حصرها فى طريقتين رئيسيتين .

- الطريقة الأولى -

الأدلة العقلية

الأدلة العقلية تؤدى إلى اقتناع العقل ، ورضى الفطرة ، وهذه الأدلة توصل إلى إيمان يقينى واضح ، لأن الحكم العقلى الصحيح حكم ثابت لا ينفك أبداً ، بخلاف حكم الحواس ، وحكم العادة ، فإن حكمهما يبتعد عن الصواب أحياناً ، كظن السراب ماء ، وكالرضا ببدعة متكررة جاءت العادة بها .

وقد أرشد الإسلام العقل إلى هذا السبيل ، وفتح أمامه جهات عديدة ليجول فيها ، وجعل الكون صفحة مكشوفة ، ناطقة بوجود الله تعالى ، ودالة على استحقاقه أن يعبد وحده .

ومن دلائل العقل ما يلى :-

١) دليل السببية :

وهو قائم على النظر فى عجائب المخلوقات ودلالتها على وجود مسبب لها قادر على ذلك وهو الله تعالى .

---

(١) سورة الحشر الآية ٢٤

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه — رحمة الله — **الاستدلال على الخالق بخلق الإنسان فى غاية الحسن ، والاستقامة ، وهى طريقة عقلية صحيحة ، وهى شرعية دل القرآن عليها ، وهدى الناس إليها ، وبينها ، وأرشد إليها ، وهى عقلية : لأن كون الإنسان مخلوقاً بعد أن لم يكن ، ومولوداً من نطفة ، ثم من علقة ، لم يعلم بمجرد خبر الرسول ﷺ بل هذا يعلمه الناس كلهم بعقولهم ، سواء أخبر به الرسول أم لم يخبر ، لكن الرسول أمر أن يستدل به ، ودلل به ، وبينه ، واحتج به ، فهو دليل شرعى ، لأن الشارع استدل به ، وأمر أن يستدل به ، وهو عقلى ، لأنه بالعقل تعلم صحته**[1] .

ولعل أكثر ما يلفت النظر فى ذكر دلالة خلق الإنسان فى القرآن كثرة الاستدلال بأطوار خلقه ، مجملاً فى عدة آيات ، مفصلاً فى أكثر منها .

فمن مواضع إجمالها قوله تعالى ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾[2] فتأمل كيف جعل التخليق فى بطون الأمهات ، وما سبقه من الدلائل فى الآية دليلاً على ربوبية الله تعالى ، وانفراده بالملك ، واستحقاق الإلهية ، وكيف جاء التعجب من الإنصراف عن مقتضى هذا البرهان القاطع ، وما ذلك إلا لشدة وضوحه وجلائه .

أما تفصيل ذلك ، فقد جاء فى عدة سور من القرآن الكريم مقتضياً ، ومبسوطاً فقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم

(١) النبوات صـ ٧١ ، ٧٢

(٢) سورة الزمر الآية ٦

مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾[١]

ومع أن هذه الآية مسوقة أصلاً لإثبات البعث ، فإنها لم تخل من إشارة إلى دلالة الخلق على الله جلا وعلا ، وإن كان المراد الدلالة على تفرده باستحقاق الإلهية ، كما هو شائع فى القرآن الكريم ، وكما يدل على ذلك قوله تعالى فى آخر سورة الحج ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَـٰطِلُ ﴾[٢] إلا أن الدلالة على وجود الله تعالى وربوبيته فى الآية هى من باب دلالة المسبب على السبب ، والمخلوق على الخالق .

وقد قال البيضاوى : " ذلك " إشارة إلى ما ذكر من خلق الإنسان ... "**بأن الله هو الحق** " أى بسبب أنه الثابت فى نفسه ، الذى به تتحقق الأشياء [٣].

وقال ابن عاشور : ووجه كون هذه الأمور الخمسة المعدودة فى هذه الآية ملابسة لأحوال خلق الإنسان ، وأحوال إحياء الأرض : أن تلك الأحوال دالة على هذه الأمور الخمسة : إما بدلالة المسبب على السبب ، بالنسبة إلى وجود الله ، وإلى ثبوت قدرته على كل شئ .. إلخ [٤] .

ولقد ذكر الله تعالى تفصيل هذا الدليل فى مواضع أخر ، فى غير سياق إثبات البعث فقال تعالى فى سورة المؤمنون ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ

---

(١) سورة الحج الآيتان ٥ ، ٦

(٢) سورة الحج الآية ٦٢

(٣) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى جـ٦ صـ٢٨٤

(٤) التحرير والتنوير جـ١٧ صـ٢٠٤ ، ٢٠٥

أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾[1] .

لقد ثبت فى العقل أن أى تغير يلحق بجسم ، أو بحال ، أو بصفة لابد له من سبب يؤثر فيه ويغيره ، وهذا ما يعرف بـــ"قانون السببية " والإنسان بعقله يسلم بذلك القانون تلقائياً ، ويرفض ما عداه ، إذ لو قيل للإنسان إن مصنعاً لا صاحب له ، ولا مهندس فيه ، ولا عامل يديره فهو يعمل بنفسه ، ويتحرك بذاته ، وينتج عجائب الصناعة ، إن قال ذلك قائل لا يصدقه أحد ، ولا يقابل إلا بالهزء ، والسخرية .

إن المصباح لا ينير إلا بسبب الكهرباء بعد إدارة الأدوات الموصلة ، والمدن لا تنسق إلا بمعرفة المهندسين المهرة ، والعمال المجيدين .

وهذا وغيره أدلة ناطقة على قانون السببية .

وتبعاً لهذا القانون يؤمن العقل بتوحيد الله تعالى ، لأن النظر فى الكون يؤكد العلم ، والإرادة ، والخلق ، وذلك لا يكون إلا من ذات قادرة ، مريدة ، عليمة حكيمة ، هى السبب فى وجود هذا الكون المبدع الدقيق .

وعلى الإنسان أن يسأل نفسه ، كيف تكون فى رحم أمه ؟.

لا ضلع فى هذا لخبره الأب ، ولا لحكمه الأم ، كيس صغير تلتقى فيه دودتان دقيقتان ، يتغذيان من دم الأم ، ويتحولان إلى مضغة ، ثم تتكون من هذه المضـــغة العينان ، والأذنان ، والمخ ، والقلب ، والعظام ، واللحم ، كل فى موضعه المختار له

وحين تكتمل بنية الإنسان يدفع إلى خارج الرحم ، فى وقـــت لا يعلمـــه إلا الخالق لكل شئ ، وهو السبب فى خلق الإنسان على هذه الوتيرة .

وقد جاء التنبيه على دلالة الخلق على الخالق سبحانه وتعـــالى ، فى القـــرآن الكريم فى عدة مواضع ، كقوله تعالى ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ

(١) سورة المؤمنون الآيات من ١٢ إلى ١٤

﴿ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾[1] .

وقوله تعالى ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾[2] .

وقوله تعالى ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾[3] .

فدلت هذه الآيات على حاجة المخلوق الضرورية إلى خالق يوجده .

وكذلك سائر الآيات التى تذكر الخلق فكلها تشير إلى هذه الدلالة ، مثل قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ۝ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ۝ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[4]

٢) دليل النظام :

المتأمل فى الكون ، وسائر المخلوقات فيه يرى بوضوح ما فيه من نظام دقيق وتناسق تام ، وجمال عجيب ، وهذا يؤدى بالضرورة إلى الإيمان بخالق هذا الكون ، المدير له ، المحيط بنظمه ، وهو الله تعالى .

يقول الله تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝

---

(١) سورة الطور الآيتان ٣٥ إلى ٣٦ .

(٢) سورة مريم الآية ٦٧

(٣) سورة مريم الآية ٩

(٤) سورة النور الآيات من ٤٣ إلى ٤٥

تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴾[1] .

يقول الشيخ أبو بكر الجزائرى : إن نظرة عابرة فقط إلى النور والحلك ، وهذا الهواء المشترك ، إلى ائتلاف الهواء من عناصر الماء ، إلى النوعية والزوجية فى كل شئ تكفى فى إقناع ذى العقل بوجود إله ذى قصد وإرادة ، وحكمه وتدبير ، وقدرة لا يحيط بها أحد ، وهو العزيز الحكيم ، الله الذى أوجبت له العقول السليمة وجوده ، ودلت كل ذرة فى الكون على علمه ، وقدرته ، وتدبيره ، وحكمته [2] .

ويعرف هذا الدليل بالقصد ، والغاية وقد أشار القرآن العزيز إلى هذه الدلالة فى مواضع كثيرة ، كقوله تعالى ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ ﴾[3] .

وقوله تعالى ﴿ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴾[4]

وقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ ﴾[5]

وقوله تعالى ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ﴾[6] وغير ذلك من الآيات المنبهة إلى ما وجد عليه العالم من نظام دقيق ، وإحكام مقصود ، لا يمكن بحال أن يكون من غير مكون ، ولا أن يستمر ، ويدوم دون خلل من غير مدبر مقدر .

وقد تأتى الإشارة القرآنية إلى وجود ذلك فى جملة المخلوقات ، كقوله تعالى ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾[7] وقوله تعالى ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ﴾[8]

---

(١) سورة ق الآيات من ٦ إلى ٨

(٢) عقيدة المؤمن صـ٥٣ "أبو بكر الجزائرى"

(٣) سورة الملك الآية ٣

(٤) سورة النمل الآية ٨٨

(٥) سورة السجدة الآية ٧

(٦) سورة الذاريات الآية ٧

(٧) سورة القمر الآية ٤٩٣

(٨) سورة الفرقان الآية ٢

وقوله تعالى ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾[١] وقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾[٢] وقوله تعالى ﴿ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾[٣] .

كما قد يأتى التنبيه على ذلك أحياناً فى بعض المخلــوقات ، كقــوله تعالى ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾[٤] وقوله تعـــالى ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ﴾[٥] وقوله تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّـٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[٦]

فهذه الآيات ، وأمثالها تلفت نظر المستدل إلى دلالة المخلوقات على باريها من خلال ما يشاهد فيها من الانضباط ، والإلتزام التام بنظام فى غاية الدقة ، ما كان له أن يوجد على هذه الحال دون قيم ومدبر .

ولا تزال الآيات القرآنية تنبه إلى هذه الدلالة ، وتشير إليها ، كما فى قوله تعالى ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ۝ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[٧] وقوله تعالى ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾[٨] وقوله تعالى ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝ فَجَعَلْنَـٰهُ فِى قَرَارٍ

---

(١) سورة الرعد الآية ٨

(٢) سورة الأعلى الآيتان ٢ ، ٣

(٣) سورة الطلاق الآية ٣

(٤) سورة الحجر الآية ١٩

(٥) سورة الشورى الآية ٢٧

(٦) سورة المؤمنون الآية ١٨

(٧) سورة يس الآيات ٣٧ إلى ٤٠

(٨) سورة الأنعام الآية ٩٦

مَّكِينٍ ۞ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۞ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَـٰدِرُونَ ﴾[١] .

والآيات المنبهة إلى هذه الدلالة كثيرة جداً .

٣) دليل العناية :

يعتمد هذا الدليل على حقيقتين :

أولاهما : أن كل ما فى الكون وجد لدور يؤديه ، ولا مدخل للعبث أو الصدفة

وثانيهما : إن الكون كله ، وبجميع أجزائه خلق لخدمة نوع واحد من سائر أنواعه ، وهذه حقيقة مدهشة أن يكون هذا الكون الكبير لخدمة نوع واحد فيه ، وهو الإنسان ، فإذا ما كان الله هو الخالق ، وهو الذى قضى بهذا ، لزم الإنسان أن يؤمن بربه الذى اعتنى به هذه العناية كلها .

يضرب الشيخ أبو بكر الجزائرى مثلاً يوضح هذه العناية فيقول " يأمر أحد الملوك ببناء قصر فخم كبير ، فيبنى على أحسن طراز ، ويجعل على أجمل صورة ، ويزود بأسباب الراحة والارتفاق ، بحيث يصبح آية فى باب القصور متعة ، وجمالاً ثم يترل به ضيف كريم عليه ، ويقول له : لقد بنينا لك هذا القصر لتعيش فيه طوال حياتك متمتعاً بكل ما فيه من خيرات ، ونعيم ، فالملك هو الله ، والقصر هو الكون والضيف هو الإنسان [٢] .

ألا يلزم هذا الكرم الإلهى الإنسان بالاستقامة .

يقول الله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[٣] .

ويقول تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۞ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۞

---

(١) سورة المرسلات الآيات من ٢٠ إلى ٢٣

(٢) عقيدة المؤمن صـ٥٥

(٣) سورة ص الآية ٢٧

تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴾[١] .

٣) دليل التسخير :

الناظر فى الكون يجده مذللاً ، خاضعاً لسلطة قاهرة ، هى قدرة الله تعـالى التى جعلت الكون كله يسير وفق ناموس واحد ، يكمل بعضه بعضاً ، ويدل كل جزء فيه إلى آثار القهر ، والاستعلاء لمسيره ، وتتجلى فيه شواهد القدرة لمخضعه ومذلله بما لا يدع مجالاً للشك فى وجود مدبر قدير يمسك بمقاليده ، كما قال تعالى ﴿ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾[٢] .

وقد جاء ضمن الأسئلة التقريرية التى أمر الله نبيه ﷺ أن يحتج بها على الكفـار ﴿ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ ﴾[٣] حيث إن الحس ، والفطرة يشهدان بضرورة مدبر لهذا العالم ، فكان إقرار الكفار بذلك .

وإذا تأملنا الآيات القرآنية المنبهة إلى هذه الدلالة وجدنا بعضها يشير إلى التسخير المطلق للكائنات كما فى قوله تعالى ﴿ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓ ﴾[٤] .

وقوله تعالى ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ ﴾[٥] ، وقوله تعالى ﴿ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[٦] وقوله تعالى ﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا

---

(١) سورة ق الآيات من ٦ إلى ٨

(٢) سورة الشورى الآية ١٢

(٣) سورة يونس الآية ٣١

(٤) سورة الأعراف الآية ٥٤

(٥) سورة فاطر الآية ١٣

(٦) سورة البقرة الآية ١٦٤

يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[1] .

وبعضها الآخر ينبه إلى تسخير المخلوقات للإنسان كما فى قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾[2] وقوله تعالى ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[3]

وقوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[4] وقوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ﴾[5] وقوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[6] وقال فى تسخير الأنعام ﴿ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[7] وقال تعالى ﴿ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾[8] وقال فى الأرض ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[9] وقال تعالى ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ

---

(١) سورة النحل الآية ٧٩

(٢) سورة إبراهيم الآيتان ٣٢ ، ٣٣

(٣) سورة النحل الآية ١٢

(٤) سورة النحل الآية ١٤

(٥) سورة الحج الآية ٦٥

(٦) سورة لقمان الآية ٢٠

(٧) سورة الحج الآية ٣٦

(٨) سورة يس الآية ٧٢ ، ٧٣

(٩) سورة الملك الآية ١٥

مِهَٰدًا ﴾[١] .

وقال ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ﴾[٢] .

ومن الإشارات اللطيفة إلى دلالة التدبير فى المخلوقات على الخالق جل وعلا قوله تعالى ﴿ أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[٣].

فإن هذا استدلال بما هو مشاهد محسوس من اختلاف الناس فى سعة الرزق وضيقه ، ولابد لذلك من سبب ، ولا يمكن أن يكون ذلك راجعاً لمحض عقل الرجل وجهله ، وإلا لما رأينا العاقل القادر فى أشد الضيق ، والجاهل المريض الضعيف فى أعظم السعة ، كما لا يمكن أن يكون لأجل الطبائع والأنجم ، والأفلاك لأننا نرى الساعة الواحدة يولد فيها الملك الكبير القاهر ، وغيره من ضعفه الناس ، والحيوانات ، بل والنبات ، فلا يمكن بحال أن يكون الطالع هو المؤثر فى ذلك ، وإذا بطلت هذه الأقسام ، فلابد لذلك من مؤثر قادر عالم حكيم وهو الله تبارك وتعالى .

وبهذه الآيات تأكدت الحقيقتان المذكورتان ، وثبتت عناية الله بالإنسان وواجب على الإنسان أن يؤمن بربه الذى اعتنى به على هذه الصورة الحسنة .

والأدلة النقلية المذكورة تعد أدلة عقلية وجه الشارع إليها ، وهى تثبت وجود الله وتوحيده بالضرورة ، لأن فرض تعدد الآلهة يوجد الفساد فى الكون ، ويجعله يعيش مخلخلا مضطرباً وما دام ذلك لم يحدث فإن الله وحده لا شريك له هو الموجود بحق وله الأمر كله .

---

(١) سورة النبأ الآية ٦

(٢) سورة الذاريات الآية ٤٨

(٣) سورة الزمر الآية ٥٢

والمتكلمون يركزون على دليلى الحدوث لوجوب وهما :-

١) قانون الحدوث :

وهذا الدليل قائم على أن حدوث العالم طريق لإثبات وجود الله .... الكون كله حادث بشهادة العقل ، وبشهادة العلم ، لأن كل ما له نهاية له بداية ، وما قبل تغييراً كان حادثاً ، كما أثبتت الكشوف العلمية حدوث طبقات الأرض ، ومختلف ظواهر الكون وإن عادت فى حدوثها إلى زمن بعيد .

والعقل يحيل أن يوجد الحادث نفسه ، لأنه سيكون فاعلاً ومنفعلاً فى وقت واحد ، وهذا لا يجوز مطلقاً ، ومن هنا احتاج الحادث فى إيجاده إلى قديم واجب الوجود وهو الله يقول سبحانه وتعالى ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1] .

٢) قانون الوجوب :

الموجودات جميعاً إما أن يكون وجودها واجباً ، أو جائزاً ، أو مستحيلاً [2] ولا يخلو أمر واحد من الموجودات عن حال من هذه الأحوال الثلاثة .

وسائر الكائنات مخلوقة ، معلولة ، حادثة ، ولذلك فهى ممكنة ، لا توجد بذاتها ، وتحتاج لغيرها ، كما أن الواجب ليس هو الممكن .

ومن هنا كان ضرورياً أن يحتاج هذا الكون الفسيح إلى واجب يوجده ويرجح إمكان الوجود ، وهذا الواجب فى وجوده هو الله سبحانه وتعالى .

---

(١) سورة الحديد الآية ٣

(٢) الواجب والممكن ، والمستحيل أمور بديهية التصور لأن كل إنسان عاقل يدرك بالبداهة أن الإنسان يجب كونه حيواناً ناطقاً ، ويمتنع كونه حجراً ، ويمكن أن يكون نجاراً .

ويعرف الواجب أنه ما يمتنع عدمه ، والمستحيل ما يجب عدمه ، والممكن مالا يمتنع وجوده ، ولا عدمه ، ومن خواص الواجب أن ذاته تقتضى الوجود بنفسها ، وتستغنى عن غيرها ، وأن الذات هى عين الواجب ، والممكن ليس كالواجب فى خواصه ، والمستحيل لا خواص له لأنه عدم محض .

يقول شيخ الإسلام بن تيمية : كل واحد من الحدوث ، والإمكان دليل على الافتقار إلى الصانع ، وإن كانا متلازمين ... وكون الممكن ، والمحدث مفتقراً ، بل الفقر لازم لذاته ، فكل ما سوى الله فقير إليه دائماً ، لا يستغنى عنه طرفه عــين ، وهذا من معانى اسم الصمد ، فالصمد : الذى يحتاج إليه كل شئ ، وهو مسـتغن عن كل شئ ، وكما أن غنى الرب ثبت له لنفسه لا لعلة جعلته غنياً ، فكذلك فقر المخلوقات ، وحاجتها إليه ثبت لذواتها ، لا لعلة جعلتها مفتقرة إليه [1].

- الطريقة الثانية -

الأدلة الدينية

المعرفة العقلية تعتمد على العقل فى التحليل ، والتصور ، والاستنتاج ، سـواء حركها الحس ، أو التدبير ، أو وجه الوحى إليها على نحو ما سبق ذكره ، بينمـا المعرفة الدينية تعتمد على الأدلة التى نزل الوحى بها ، خطابا للبشر علـى مختلـف مستوياتهم ومداركهم ، ولئن كانت المعرفة العقلية أساساً فى الإيمان ، وأصلاً من أصول الدعوة لا يكون إسلام المرء إلا بها ، فإن المعرفة الدينية لها أهميتها لسببين :

السبب الأول :

العقل لا يصل دائماً إلى الصواب بذاته بسبب خضوعه لمـؤثرات المـادة والشهوة والأنانية البشرية ولأنه محدد فى تصوراته وتأملاته بالزمان والمكـان ، والإلف ، والعادة ، وذلك باد من اختلاف البشر فى اتجاهاتهم العقلية ، لدرجـة أنهم قالوا : توجد فلسفات فى العالم بعدد الفلاسفة ، حيث يتجه كل عقل اتجاهاً مغايراً لغيره . وتلك حقيقة لا يجادل فيها واحد من الناس .

السبب الثانى :

لا يعرف الله إلا نفسه حقيقة ، ولا يصل المخلوق فى معرفة الله إلى المسـتوى

---

(١) الرد على المنطقيين صـ٣٤٦

الذى عرف الله به نفسه .

إن هذه الأسباب المؤدية إلى أهمية المعرفة الدينية هى نفسها الفرق بين كنهيهما

فالمعرفة العقلية بشرية ، محددة ، لها مداها .. وإطارها الضيق .

والمعرفة الدينية ربانية ، مقدسة ، ثابتة ، دقيقة ، صادقة .

إن المعرفة الدينية لا تعرف حدود الزمان ، أو المكان ، أو الجنس ، أو العادة ولذلك فهى تتوجه إلى الناس ، كل الناس بالخطاب ، والبرهان .

ومن رحمة الله بالإنسان أنه أنزل الوحى ملائماً للإنسان المخلوق ، بصورة تناسب فهمه ، وطاقته ، ومداه فى التصور .

ومن سعة قدرة الله تعالى أن أودع فى النصوص التى أوحى بها ألوانا من الخطاب وصوراً من الموضوعات ، تناسب كافة أجناس الناس ، وألوانهم ، ومستوياتهم ، ضمنها فى نفس الوقت أدلة العقل ، وبراهين الوجدان ، ورضا العواطف .

والمعرفة الدينية تستقل فى البرهنة على السمعيات ، والحديث عن الماضى ، والأنباء بالمستقبل ، وتذكر بالمعجزات ، ولذلك كانت شاملة ، واتسع مداها فى تكريم الإنسان .

ولكن كيف تدلل المعرفة الدينية على توحيد الله تعالى ؟

تدلل على ذلك بعدة طرق :

أولاً : بالخطاب المتضمن للتوحيد ، يتجه به الوحى للعامة ، والخاصة من الناس يقول الله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1]

فقد عرفت الآيات المخاطبين بالله ربا ، وخالقاً ، ورازقاً ، ومعيناً ، وصانعاً

---

(١) سورة البقرة الآيتان ٢١ ، ٢٢

بيده قوام الحياة كلها ، كما اشتملت الآيات على أدلة النظام ، والعناية ، والحدوث والوجود ، وهكذا ، ودعت الناس إلى عبادة الله وحده حيث لا يستحقها إلا هو .

ومن خطاب الخاصة جاء قوله تعالى لموسى ﴿ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾(١).

ومنها قول الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾(٢) .

ومن خطاب الله نداؤه المؤمنين ، وأمره إياهم بالعبادة ، والتقوى كما أمر به سائر الناس ، يقول الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(٣) .

وهكذا يخاطب الله سبحانه وتعالى سائر الناس ، يخاطب الرسل ، ويخاطب المؤمنين ، ويخاطب العامة من أجل توجيههم إلى الحق ، وتعليمهم الحلال والحرام ،بلا أدنى تفرقة ، وهذا أمر يعرف الناس بدورهم ، بعد خلقهم فى هذه الدنيا ، كما هو موجود فى الخطاب نفسه .

---

(١) سورة طه الآيات من ١٢ إلى ١٥

(٢) سورة الأحزاب الآيات من ١ إلى ٣

(٣) سورة آل عمران الآيتان ١٠٢ ، ١٠٣

وأيضاً فإن خطاب الله متجه إلى العقل ، شامل للبرهنة والدليل على ما ينادى به سبحانه وتعالى ، وبذلك اشتملت الأدلة الدينية على الأدلة العقلية .

ثانيا : تدلل المعرفة الدينية على التوحيد **بإرسال الرسل للناس لتبليغ الدعوة الإلهية إليهم ، إذ العقل وحدة غير كاف فى المعرفة ولابد من الرسول للتبليغ ، والإرشاد**

والله يختار رسله وفق ما يصلح الناس إذ يأتى الرسول من خير الناس خلقاً ، وعقلاً ، وديناً ، ويعرف بذلك بين معاصريه ، وأقرانه ، ليكون حديثه عن الوحى مصدقاً مسلماً عندهم .

وحتى يقوم الرسول بوظيفته المكلف بها ، يؤيده الله بالمعجزات التى هى أمور خارقة للعادة ، يظهرها الله على يد رسله تأكيداً على صدقهم ، وكأن الله تعالى يقول من خلال المعجزة صدق عبدى فيما يبلغ عنى .

إن المعجزة تأتى من جنس ما تفوق فيه الناس ، ليكون اعترافهم بأنها ليست فى مقدور البشر ، تسليماً على أنها من الله تعالى ، وحينئذ يكون التسليم بكل ما جاء به الرسول ، والانقياد لما جاء الوحى به .

وأيضاً فإن نزول الوحى بالكتب المقدسة على الرسل يوضح مراد الله من الناس ، وأول مراده سبحانه أن يوحدوه ولا يشركوا معه سواه .

ثالثاً : تثبت المعرفة الدينية بإيجـــاب الدعوة إلى الإسلام وذلك فى قوله تعالى ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[١] ، وفى قوله تعالى ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[٢] والمسئولون عن القيام بهذا الواجب هم الأمة التى

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٤

(٢) سورة النحل الآية ١٢٥

آمنت بالإسلام ، وحملت أمانة الدعوة إليه .

تلك هى المعرفة الدينية وهى فى جملتها تدعو الناس إلى ضرورة الإيمان بالله الواحد الأحد ، الذى لم يلد ، و لم يولد ، و لم يكن له كفواً أحد .

أنواع التوحيد

التوحيد ضد التعدد ، وهو فى عرف الشرع نفى الكفء ، والمثل ، عن ذات الله تعالى ، وصفاته ، وأفعاله ، ونفى الشريك فى ربوبيته ، وعبادته ، عز وجل .

ومن هذا نلحظ أن التوحيد ثلاثة أنواع :

الأول : توحيد الذات والصفات :

ويقصد به الإيمان بأن الله واحد فى ذاته وصفاته فليس الله عدداً ، ولا مركباً ، وليس له شريك فى الفعل ، والصفة .

وهذا النوع من التوحيد هو ما سماه ابن القيم بتوحيد المعرفة والإثبات ، وقد تكلمت عنه آنفاً .

الثانى : توحيد الربوبية :

الرب هو السيد ، والمالك ، والمربى ، والمصلح وكل ذلك من صفات الله تعالى ولذلك كان إطلاق الرب اسماً لله تعالى إطلاقاً حقيقياً .

ومن الرب اشتق اسم الربوبية ، وهو يعنى الخلق والرزق ، والملك والسيادة ، والتربية ، والإصلاح ، والتدبير وليكون الله تعالى هو الرب الحق ، للعالمين ، اختص بالربوبية دون سواه ، ووجب توحيده فيها ، وتنزيهه عن الشريك فى الربوبية إذ لا تصح ولا تصلح لغير الله تعالى .

ولا يتناقض مع توحيد الربوبية أن يقال : فلان رب الأسرة ، أو فلان سيد قومه أو فلان يملك كذا ، إذ كل هذه الاستعمالات مجازية : إذ الواقع المشاهد يؤكد دائماً أن الإنسان لا يملك أمر نفسه ، ولا يؤثر تاثيراً حقيقياً فى أى جانب ، إذ الأمور تجرى بالمقادير ، وصدق رسول الله ﷺ وهو يقول لا بن عباس : **يا غلام إنى أعلمك**

كلمات ، إحفظ الله يحفظك ، إحفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف [1] .

والإيمان بتوحيد الربوبية لا ينكره عاقل ، لأن من ينظر ويتدبر فى خلق النفس والكائنات على اختلافها ، يعلم عجز الإنسان ، ويندفع إلى الإيمان بأن الرب واحد وهو الله سبحانه وتعالى .

وحينما يتحدث القرآن عن إيمان العرب قبل الإسلام بالله يؤكد إيمان الإنسان بتوحيد الربوبية .

يقول الله تعالى ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[2] .

ويقول سبحانه ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[3] .

ويقول تعالى ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[4]

ويقول تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[5] .

---

(١) سنن الترمذى باب وصية النبى ﷺ لابن عباس جـ٤ صـ٦٧٧ ، والحديث حسن صحيح

(٢) سورة يونس الآية ٣١

(٣) سورة الزخرف الآية ٩

(٤) سورة المؤمنون الآية ٨٦ ، ٨٧

(٥) سورة الزخرف الآية ٨٧

فهذه آيات فى القرآن الكريم توضح أن العرب كانوا يسلمون بتوحيد الربوبية كضرورة من مسلمات العقل لا يمكنه أن يمارى فيها مطلقاً .

وكان المظنون أن يستمر العقل على احترام هذه الحقيقة لأن أمر الخلق ، والرزق ، والإحياء ، والإماتة ، والتدبير ، وتسيير كافة الظواهر الكونية ، وغير ذلك لا يدعيها إنسان لنفسه ، ولا يمكن أن تكون بنفسها ، أو بالصدفة ، ولابد أن تكون من صنع الله تعالى .

كان المظنون ذلك لكى نفراً من الناس غرهم عقولهم ، وآمنوا بالمادة ، وبنوا عقيدتهم على أساسها ، وهذا أوصلهم إلى إنكار الربوبية ، وعدم الإيمان بأى شئ وراء الحس ، وهذا تضليل لا يقدر صاحبه على إثباته والتدليل عليه .

ويجب على المؤمن بتوحيد الربوبية أن يعرف أن كل فعل ، وكل أمر من الله تعالى ، ولا تأثير لغيره سبحانه وتعالى .

الثالث : توحيد الألوهية :

يعتبر توحيد الألوهية ثمرة تلقائية لتوحيد الربوبية ، وتوحيد الذات والصفات .

إن توحيد الذات ينفى الشريك فى الاسم ، والصفة ، ويثبت الوحدانية والتفرد فى هذا ، كما أن توحيد الربوبية يدور على إثبات الفعل ، والتأثير لله وحده ، وتوحيد الألوهية يعنى إفراد الله بالعبادة بمختلف صورها كما يعنى تعلق القلب بالله خوفاً ورجاء ، ورغباً ورهبة ، وهو فى حقيقته تسليم تام لله سبحانه وتعالى .

إن الرسل وهم يدعون إلى عبادة الله تعالى كانوا يركزون على هذا النوع من التوحيد ، لأن الانحراف قد كثر فيه ، وكان الناس يعبدون أصناماً ، وأوثاناً ، ويقولون ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[1] والبشر دائماً يقصرون فى توحيد الألوهية ، ويفرطون فى حق الله سبحانه وتعالى .

---

(١) سورة الزمر الآية ٣

والإيمان بتوحيد الألوهية يتجلى فى التزام المعتقد بالعبادة سواء كانت من أعمال القلب أو من أعمال الجوارح ، أو من أعمال اللسان .

فأعمال القلب كالتصديق ، واليقين التام ، ومحبة الله تعالى ، والإخلاص له ، والإنابة إليه ، والتعلق به فى البأساء والضراء ، وأعمال الجوارح تشمل على الدعاء والعبادات المفروضة وسائر أعمال الإنسان ، وكل هذه الأعمال تحتاج إلى الصدق والإخلاص ، والتوجه بها إلى الله وحده .

وفى مجال التوحيد لابد من الإقتناع العقلى ، لأنه قضية تتبعها بقية أصول الدعوة ذلك لأن بقية الأصول ثبتت بالنص عليها فى وحى الله تعالى لرسوله محمد ﷺ .

- المبحث الثانى -

الإيمان بالملائكة

الأصل الثانى من أصول الدعوة الإسلامية الإيمان بالملائكة ، والملائكة عالم نورانى من عوالم الغيب التى لا يراها الناس ، وأصلها النور .

ذلك أن الكون منه الشاهد الملموس بالحواس ، ومنه الغيب الذى لا يلمس بالحواس ، وإنما يدرك بالعقل ، وبالآثار .

والملائكة بالنسبة للإنسان غيب ، يعرفون بالأخبار القطعية الثابتة التى عرفت بهم ، وجعلت الإيمان بهم ، ركنا من أركان الإيمان .

من هذه الأخبار قول الله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[١] .

ومنها قول الله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[٢] .

ففى هاتين الآيتين ، إخبار عن وجود الملائكة ، ومخاطبة الله لهم ، وإجابتهم لله تعالى ، وفيهما أمر للملائكة بالسجود لآدم ، وأنهم امتثلوا للأمر إلا إبليس فقد استكبر ، وكفر ، ولم يطع الله تعالى .

وكما أخبر الله فى القرآن الكريم عن وجود الملائكة ، أخبر الرسول محمد ﷺ عنهم ، ومن أقواله ﷺ :

" إن لله فى الأرض ملائكة سياحين يبلغوننى عن أمتى السلام [٣] " .

---

(١) سورة البقرة الآية ٣٠

(٢) سورة البقرة الآية ٣٤

(٣)سنن النسائى باب فضل الصلاة على النبى جـ٣ صـ٣٧

ويقول ﷺ : **"إذا أمن الإمام فأمنوا فإن الملائكة تؤمن ، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه (١) "** .

وكان النبي ﷺ يدعو ويقول " **اللهم رب جبرائيل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، فاطر السماوات ، والأرض ، عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم (٢)** "

ففي هذه الأحاديث الصحيحة إخبار بوجود الملائكة ، وتعريف ببعض وظائفهم ومسمياتهم .

وبذلك فالإيمان بوجود الملائكة ركن من أركان الدعوة ، وأصل من أصولها كما أن الله تعالى عده من أركان العقيدة يقول الله تعالى ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾(٣) .

ويقول تعالى ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾(٤) .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب فضل التأمين جـ٢ صـ١٠٥

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب صلاة النبي ﷺ ودعائه بالليل جـ٦ صـ٥٦ ، ٥٧

(٣) سورة البقرة الآية ١٧٧

(٤) سورة البقرة الآية ٢٨٥

فقد أخبر الله سبحانه وتعالى فى هاتين الآيتين إن الإيمان بالملائكة من البر وجزء فى العقيدة وركن من أركان الدعوة الإسلامية ، وقد أخبر الله تعالى بأن من يكفر بالملائكة فهو ضال بعيد عن دين الله تعالى .

يقول الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾(١) .

وذلك الضلال لا يكون إلا مع من ينكر أصلاً من الأصول الإسلامية ، ويلاحظ اندراج الإيمان بالملائكة مع الإيمان بالله تعالى ، وهذا يجعل الحكم الاعتقادى بهما واحداً .

وقد عد النبى ﷺ الإيمان بالملائكة من الإيمان حين سأله جبريل عن الإيمان ، قال ﷺ : **أن تؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره ، وشره ، حلوه ، ومره** .

أصل الملائكة :

خلق الله الملائكة من نور فتغايرت طبيعتها عن الإنسان الذى خلقه الله من طين ، وعن الجان التى خلقها الله من نار ، يقول النبى ﷺ : " **خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم** (٢) " .

وقد جلبت الملائكة على الطاعة المطلقة لله تعالى ، وحب الخير الدائم ، الذى أراده الله لهم ، فلا يأمرهم بشر ، وهم لا يفعلونه أبداً يقول الله تعالى ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾(٣) .

---

(١) سورة النساء الآية ١٣٦

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الزهد ، باب أحاديث متفرقة جـ١٨ صـ١٢٣

(٣) سورة التحريم الآية ٦

الإيمان بتنوع الملائكة :

يجب على المسلم أن يؤمن إجمالاً بأن لله تعالى ملائكة عديدين ، لا يحصى عددهم إلا الله ، ويؤمن تفصيلاً بمن جاء تفصيل عنهم بالإسم ، أو بالوصف فى القرآن الكريم أو فى السنة النبوية ، أو بالعدد ، أو بالعمل .

وممن ذكرهم الله فى القرآن الكريم بالإسم :

١) **جبريل عليه السلام** : وهو الروح الأمين ، وروح القدس ، ورد الحديث عنه كثيراً فى القرآن الكريم ، وكان النبى يقول عنه : **هذا أخى جبريل** ، ووظيفة جبريل عليه السلام القيام بالسفارة بين الله وبين رسله ، فكان يترل بالوحى من عند الله تعالى على جميع رسل الله وأنبيائه ، كما ثبت أنه كان رفيق رسول الله ﷺ فى رحلة الإسراء ، والمعراج ، فهو رفيقه من مكة إلى المسجد الأقصى ، ومن المسجد الأقصى إلى سدرة المنتهى بالملكوت الأعلى .

٢) **ملك الموت** : وهو الملك المكلف بقبض الأرواح يأتى للناس خفية حتى لا ينخلعوا من رؤيته ، وله أعوان من الملائكة يساعدونه بأمر الله تعالى ، يقول الله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾[١] .

٣) **ميكائيل** : وهو الملك الموكل بترول المطر ، والنبات ، والزرع .

٤) **إسرافيل** : وهو الملك الموكل بالصور للنفخ فيه للقيامة ، والبعث ، عند بدء اليوم الآخر .

٥) **منكر ونكير** : وهما الملكان الموكل بهما سؤال الناس فى قبورهم بعد دفنهم ، وهو السؤال المعروف بسؤال القبر ، وهما يسألان الميت عن ربه ، ونبيه ودينه فقد ورد حديث صحيح رواه الترمذى جاء فيه **أن الميت إذا قبـــر فى قبره ،**

---

(١) سورة الأنعام الآية ٦١

أتاه ملكان أسودان ، أزرقان ، يقال لأحدهما المنكر ، وللآخر النكير .

فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟

فيقول ما كان يقول فى الدنيا : هو عبد الله ورسوله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله .

فيقولان : قد كنا نعلم إنك تقول هذا ؟

ثم يفسح له فى القبر سبعون ذراعاً فى سبعين ذراعاً ، ثم ينور له فيه .

ثم يقال له : نم .

فيقول : أرجع إلى أهلى فأخبرهم ؟

فيقولان له : نم كنومة العروس الذى لايوقظه إلا أحب أهله إليه ، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك .

وإن كان منافقاً فى الدنيا يرد عليهما ، ويقول : سمعت الناس يقولون قولاً فقلت مثله ، لا أدرى .

فيقولان : قد علمنا أنك تقول ذلك ، وحينئذ يقال للأرض : التئمى عليه فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه ، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك [١]

٦) رضوان : وهو الملك الموكل إليه خزانة الجنة ، ورئيس خدمها .

٧) مالك : وهو خازن النار ورئيس خدمها ، يقول الله تعالى ﴿ وَنَادَوْا يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴾[٢] .

ومن الملائكة المعروفين بالوصف ، والوظيفة :

١) حملة العرش : وهم أربعة يزيدون يوم القيامة أربعة آخرين ، يقول

---

(١) سنن الترمذى ، كتاب الجنائز باب ما جاء فى عذاب القبر جـ٣ صـ٣٧٤ والحديث انفرد به الترمذى ، وقال : حديث حسن غريب

(٢) سورة الزخرف الآية ٧٧

الله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾(١).

ويقول تعالى ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾(٢) وهؤلاء كما وصفتهم الآيات يحملون عرش الرحمن ، مسبحين بحمد الله ، مؤمنين به سائلين الله أن يغفر للمؤمنين الصادقين الذين عاشوا فى الدنيا على منهج الله تعالى .

٢) **خدم الجنة** : وهم كثيرون يقول تعالى ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾(٣) .

٣) **الزبانية** : وهم خزنة جهنم ، وعددهم تسعة عشر ملكاً ، وكلهم الله بالنار يقول الله تعالى ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾(٤) .

٤) **الكرام الكاتبون** : وعملهم كتابة أعمال البشر ، وإحصاء أقوالهم ، وأعمالهم ، حيث يوجد على يمين كل مكلف ملك يكتب الحسنات ، وعلى يساره

---

(١) سورة غافر الآية ٧

(٢) سورة الحاقة الآية ١٧

(٣) سورة الرعد الآيتان ٢٣ ، ٢٤

(٤) سورة المدثر الآيات ٢٦ إلى ٣١

آخر يكتب السيئات يقول الله تعالى ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ ﴾[١] ويقول سبحانه وتعالى ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[٢] وهؤلاء الكاتبون لا يغفلون ، ولا ينسون ، ولا تمر بهم لحظة غياب، وهم بقدر الله تعالى يسجلون كل أمر

٥) **الحفظة** : وعملهم حفظ الإنسان من الجان ، والشياطين ، والآفات ، يقول تعالى ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ ﴾[٣] قال ابن عباس أى ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ، فإذا جاء قدر الله خلو عنه: وقال مجاهد: يحفظونه فى نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام "[٤] ويستمر الحفظة فى عملهم ما لم يرد القدر شيئاً ، فإذا أراد الله بلاء ترك الحفظة دورهم بأمر الله لينفذ قدر الله ، كما هو واضح فى قول مجاهد .

والملائكة تعيش مع الإنسان دائماً ، ويتناوبون المحافظة عليه بأمر الله تعالى ، يقول النبى ﷺ : **الملائكة يتعاقبون ، ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار ، ويجتمعون فى صلاة الفجر ، وصلاة العصر ، ثم يعرج إليه الذين بأتوا فيكم ، فيسألهم ، وهو أعلم فيقول : كيف تركتم عبادى ؟**

فيقولون : تركناهم يصلون ، وأتيناهم يصلون[٥].

٦) **ملك الأرحام** : وهو ملك موكل بالأرحام ، **يروى البخارى أن الله عز وجل قد وكل بالرحم ملكاً يقول : يا رب نطفة ، يا رب علقة ، يا رب مضغة فإذا أراد الله أن يقضى خلقاً قال الملك : أذكر ، أأنثى ، أشقى ، أسعيـــد ؟ فما الرزق؟ والأجل ؟ فيكتب كل ذلك فى بطن أمه**[٦] .

---

(١) سورة الإنفطار الآيتان ١٠ ، ١١

(٢) سورة ق الآية ١٨

(٣) سورة الرعد الآية ١١

(٤) تفسير ابن كثير جـــ٧ صـــ٥٠٣

(٥) صحيح البخارى كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة جـــ٥ صـــ٢٧٨

(٦) صحيح البخارى كتاب الحيض باب مخلقة وغير مخلقة جـــ١ صـــ٢١٩ ، ٢٢٠

٧) **ملائكة الدعاء** : وقد وكل الله إليهم سماع الدعاء ، وهؤلاء يسمعون دعوة المؤمن لأخيه بظاهر الغيب ، فإذا سمعوا دعاء قالوا : آمـــين ولك مثل ذلك ، يقول النبي ﷺ : **دعوة المرء المسلم لأخيه بظاهر الغيب مستجابة ، عند رأســه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك به آمين ، ولك بمثل ما دعوت** "[١] .

وهناك ملائكة الجبال ، وملائكة السياحة ، والطواف ، وملائكة العروج وملائكة البيت المعمور ، والسياحون الذين يتتبعون مجالس الذكر .

والملائكة بأمر الله يتعاقبون على الناس ليلاً ، ونهاراً... وعلى الجملة :

فالواجب هو الإيمان التفصيلي بما جاء عنهم تفصيل ، وعلى وجه ما جاء عنهم والإيمان الإجمالي بأن لله ملائكة ، لا يحصيهم إلا خالقهم سبحانه وتعالى .

من صفات الملائكة :

جاءت آثار مثبته لبعض صفات الملائكة نوردها هنا بإجمال :

أ) **عظمة خلقهم وأشكالهم** : فلبعضهم أجنحة يقول تعالى ﴿ أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ ﴾[٢] ويقول النبي ﷺ "**أذن الله لى أن أتحدث عن ملك من حملة العرش ، رجلاه فى الأرض السفلى وعلى قرنه العرش** "[٣] .

ورأى ﷺ جبريل عليه السلام فى غار حراء فإذا هو باسط أجنحته سد بها الأفق .

ب) **خوفهم من الله تعالى** : يقول الله تعالى ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾[٤] .

جـــ) **طاعتهم لله تعالى** : يقول الله تعالى ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب جـــ١٧صـــ٤٩

(٢) سورة فاطر الآية ١

(٣) سنن أبي داود

(٤) سورة الأنبياء الآية ٢٨

بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴾[1] .

وقال الله تعالى ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾[2]

د) حياؤهم من العبد الصالح : يقول النبى ﷺ " **ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة** "[3] يعنى بذلك عثمان بن عفان ﷺ .

و) حبهم لأنصار الله تعالى : فقد ثبت **أن الله إذا أحب عبداً نادى جبريل : إن الله يحب فلاناً فأحبه ، فيحبه جبريل ، ثم ينادى جبريل فى السماء ، إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ، ويوضع له القبول فى الأرض** [4] ، وهم لحبهم يدعون للمؤمنين يقول الله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾[5] .

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٦ ، ٢٧

(٢) سورة التحريم الآية ٦

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الفضائل ، باب فضائل عثمان بن عفان جـ١٥ صـ١٦٩

(٤) صحيح البخارى كتاب الأدب ، باب المحبة من الله تعالى جـ٩ صـ٢٣١

(٥) سورة غافر الآية ٧

ـ الجـن ـ

من الأشياء الغيبية التي يجب الإيمان بها عالم " الجن " أحد مخلوقات الله تعالى ، والجن معناه الستر والخفاء يقال : جنه الليل وأجنه ، وجن عليه بمعنى ستره وغطاه .

وأدلة وجود الجن عديدة :

منها قول الله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(١)

وقوله تعالى ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾(٢) ، وقوله ﴿ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾(٣) .

ومنها : ما جاء في السنة أن **رسول الله ﷺ خرج من عند عائشة ليلاً فلما لم تجده غارت عليه فلما رجع ﷺ قال لها : مالك يا عائشة ؟ أغرت ؟**

فقالت : ومالي لا يغار مثلي على مثلك .

فقال ﷺ : أقد جاءك شيطانك ؟

قالت : يا رسول الله أو معي شيطان ؟

قال ﷺ : نعم ومع كل إنسان .

قالت : ومعك يا رسول الله ؟!

قال ﷺ : نعم ولكن ربي عز وجل أعانني عليه حتى أسلم (٤) .

ويقول ﷺ : إن الشيطان حساس لحاس فاحذروه على أنفسكم ، من بات وفي يده ريح غَمَرٍ فأصابه شئ فلا يلومن إلا نفسه (٥)" .

---

(١) سورة الذاريات الآية ٥٦

(٢) سورة الرحمن الآيتان ١٤ ، ١٥

(٣) سورة سبأ الآيتان ١٢ ، ١٣

(٤) صحيح مسلم كتاب القيامة والجنة والنار — باب تحريش الشيطان بالإنسان جـ١٧ صـ١٥٨

(٥) سنن الترمذي ، كتاب الأطعمة ، باب كراهية البتوتة وفي يده ريح غمر (طعام) جـ٤ صـ٢٨٩

ويقول ﷺ " وإذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً ، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنه رأى شيطاناً [١] " .

ومن الأدلة العقلية : على وجود الجن ما يستنتج من رؤية صرعى الأرواح الخبيثة ، الذين لا يجدون فى مجال الطب البشرى علاجاً لهم ، وما يستنتج من أصوات الجن التى تظهر لبعض الناس ، وما يرى من قيام بعض المشتغلين بعلاج مرض صرع الجن ومناقشتهم ، وتسخيرهم ، والتحكم فيهم .

حقائق عن الجن :

الجن مخلوق غيبى عن الآدميين ، لا يدرك بالحواس ، وطريق معرفته الآثار التى تحدثت عنه وقد خلقه الله من النار يقول الله تعالى ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾[٢] ، وسبق حديث أن الجن خلقت من النار .

وفى القرآن الكريم سورة تحدثت عنه تعرف بسورة " الجن " .

والجن مخلوق مكلف ، والإيمان بوجوده جزء من الإيمان بالوحى المنزل على رسول الله ﷺ فلقد تحدث عنه القرآن الكريم ، وتحدثت السنة النبوية عنه .

وقد آثرت الحديث هنا عن الجن لما بينه وبين الملائكة من شبة بالنسبة للإنسان فكلاهما مستور عن الحواس ، ولكليهما تعلق بالإنسان ، وإنى هنا أذكر بعض الحقائق المتعلقة بالجن وذلك فيما يلى :

١) أسماء الجن : الجن هو الاسم العام لهذا المخلوق المستتر المخلوق من النار ، ومنه المستقيم المطيع لخالقه ، الصالح فى عمله ، ومنه العاصى المفسد يقول الله تعالى ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴾ [٣] .

وعصاة الجن يسمون بالشياطين .

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده جـ٤ صـ٥٥١

(٢) سورة الرحمن الآية ١٥

(٣) سورة الجن الآية ١١

فإن زاد عصيانهم وتضاعف سموا بالمردة .

فإن زاد أكثر فهو العفريت .

وإذا تشكل بأشكال مخيفة فهو الغول .

وإذا شوش على الإنسان ، وآذاه فى عقله فهو الخبل .

وصالح الجن أن عاش مع الناس يسمى **بالعامر** ، وإن عاش مع الصبيان يسمى **بالروح** [١] .

ويرى بعض العلماء أن الشياطين صاروا جنساً خاصاً ، لهم ذريتهم ، وهم نوع لا يعرف الخير ، ويعمل للمعصية مطلقاً لا صلاح فيها ، ولا خير يأتى من قبلها ولا أمل فى اشتقاقها ، وأبو الشياطين هو إبليس الذى عصى أمر ربه ، فطرده من رحمته ، وأبقاه وذريته مع الناس ابتلاء للآدميين ، وطريقاً لإقامة الحجة على من يستهويه ، وعاملاً من عوامل إبراز الخير فى الناس ، وتمييز الصالح من الطالح بين البشر ، يقول الله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾[٢]

وعلى ذلك فمن الأولى تسمية العصاة بالشياطين تميزاً لجنسهم الخبيث ، وإشارة إلى أن بعض الجن لا يكون شيطاناً إذا كان مسلماً مستقيماً .

٢) تشكل الجن : دلت الآثار الواردة على أن الجن يتشكل بصور مختلفة فلقد أتى بعض الجن قريشاً فى صورة سراقة بن مالك ، وأغراهم بالخروج إلى بدر[٣] ، يقول الله تعالى ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ

---

(١) آكام المرجان ص ٧ ، ٨ .

(٢) سورة الكهف الآية ٥٠

(٣) سيرة النبى جـ١ صـ٦١٢

مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[1].

وكما امتثل لكفار مكة فى دار الندوة فى صورة شيخ نجدى .

وكما تشكل فى صورة رجل يسرق من أموال الصدقة .

وتشكيل الجن بإرادة الله تعالى ، كما أنه بالتشكل لا يخرج عن حقيقته التى خلق عليها .

والملائكة تتشكل بإرادة الله تعالى هى الأخرى كما جاء جبريل للرسول ﷺ فى صورة دحية الكلبى ، إلا أن تشكل الجن يفترق عن تشكل الملائكة ، لأن الجن قد تتشكل بالصور الحسنة ، كما تتشكل الصور القبيحة ، بينما الملائكة تظهر فى الصور الحسنة فقط ، وأيضاً فإن الجن تحكمه الصورة التى يظهر بها ، أما الملائكة فلا تحكمها الصورة وذلك كله بإرادة الله تعالى .

٣) مساكن الجن : فى أثر روى عن رسول الله أن مسلمى الجن يسكنون القرى والجبال ، وكافرهم يسكنون ما بين الجبال والبحار ، وغالب ما يوجد الجن فى مواضع النجاسات ، كالحمامات ، والحشوش ، والمزابل ، والقمامة ، ولذلك جاء النهى عن الصلاة فى هذه الأماكن ، لأنها مأوى الشياطين، وقد تؤذى الإنسان أو تصرفه عن الإخلاص فى صلاته ، ولذلك أمر رسول الله ﷺ بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ، عند دخول الخلاء ، إبعاداً للشياطين عنه .

يروى أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال : " **إن هذه الحشوش محتضرة ، فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل أعوذ بالله من الخبث والخبائث** [2] .

وعلى هذا فمن الممكن أن يمس الجن الفاسد (الشيطان) الجن الإنســـان إذا لم

(١) سورة الأنفال الآية ٤٨

(٢) سنن أبى داود ، كتاب الطهارة ، باب ما يقول إذا دخل الخلاء جـ١ صـ١٥ ، ومحتضرة : أى تحضرها الشياطين ، والحشوش جمع حش ، وهو البستان ، وكانوا يقضون حوائجهم فيه .

يحصن نفسه بطاعة الله تعالى ، لأن عصيان الإنسان نجاسة معنوية تدعو إلى مشاركة الشيطان له ، فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : **إذا دخل الرجل منزله فذكر اسم الله عند دخوله ، وعند طعامه ، قال الشيطان : لا مبيت ، ولا عشاء ، وإذا لم يذكر اسم الله عند دخوله ولم يذكر عند طعامه يقول الشيطان : أدركتم العشاء ولا مبيت لكم ، وإذا لم يذكر اسم الله عند دخـــوله قال الشيطان : أدركتم المبيت والعشاء** [١].

٤) طعام الجن : الجن يأكل ويشرب ، وهو محتاج إلى ذلك لتستمر معه الحياة وقد سأل الجن رسول الله الزاد فعرفهم به ، وطعامهم هو العظم ، فإن ذكر اسم الله عليه فهو طعام الجن الكافر ، وقد نهى رسول الله ﷺ عن الاستنجاء بالعظم ، والروث وقال : **إنه زاد الجن** ، بل ثبت أن الشياطين تشارك الإنسان طعامه ، إذا لم يذكر اسم الله تعالى ، والجن عموماً يأكل بشماله ويشرب بشماله ، ولذلك سن رسول الله ﷺ للإنسان أن يأكل ، ويشرب بيمينه ، يقول النبي ﷺ : **إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه وإذا شرب فليشرب بيمينه فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله** [٢] .

٥) تكليف الجن : الجن منذ خلقهم الله تعالى مكلفون بالتزام الطاعة ، وترك المعصية ، والدليل على ذلك أن الله أخبر بأنه أرسل فيهـــم رســـلاً يقول الله تعالى ﴿ يَـٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَـٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَـٰذَاۚ ﴾[٣] وقد اشتمل القرآن الكريم على ذم الشياطين ، ولعنهم وبين ضرورة التحرز من شرهم ، وبين ما أعد لهم من عذاب وعقاب ، وهذا كله لا يكون إلا مع مكلفين .

وقد بعث رسول الله ﷺ إلى الجن لخبر القرآن الكريم أن الجن اســـتمعوا إلى

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب الأطعمة ، باب التسمية على الطعام جـــ٥ صـــ٢٩٩

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الأطعمة ، باب الأكل باليمين جـــ٥ صـــ٣٠٤

(٣) سورة الأنعام الآية ١٣٠

رسول الله وكلفهم بما أمره الله به ، والجن يتعبدون بما يتعبد به الإنس من صلاة ، وحج وحضور مجالس العلم وهكذا .

يقول الله تعالى ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[١]

وجمهور العلماء على أن لهم عند الله ثواباً ، وعقاباً فى الجنة ، والنار .

٦) صلة الجن بالإنس : الجن ، والإنس من مخلوقات الله تعالى ، وهما مكلفان برسالة محمد ﷺ ، وقد ثبت أن كلا منهما يمكنه أن يتصل بالآخر ، على صورة من الصور .

فالإنسان يمكنه أن يتصل بالجن يستخدمه ، ويسخره ، وبخاصة عصاقم الذين يرغبون إضلال الإنسان ، وإلحاق الأذى به ، فإذا علموا إنساناً يسعى للشر ، ويعمل للفساد جاءوا إليه إعانة له على الإفساد ، ومن هذا عملية تحضير الأرواح ، فإن الشياطين تأتى للإنسان ليتوهم المحضر نجاحه فى عمله ، بينما هو عن النجاح بعيد وكثيراً ما يأتى الشيطان لمن يستعين به ، ويوهمه بالموافقة فى فعل ما يطلب منه وهو كذوب ، وقد يستجيب الشيطان لمن يسخره للضرر والفساد .

وبعض الناس يتحكم فى الجن ليكثر طعامه ، ويغذى وليده ، ويلحق المرض والصرع بمن يعمل لأذاه ، ويتناكح منه[٢] .

---

(١)سورة الأحقاف الآيات من ٢٩ إلى ٣٢

(٢) من أراد مزيد بيان فى هذا الموضوع فعليه بكتاب (آكام المرجان) للقاضى بدر الدين محمد الشبلى وكتاب (لقط المرجان فى أحكام الجان) لابن القيم .

٧) الاحتراز من الجن : ثبت وجود الجن ، كما ثبت تمكنه من إيذاء الإنسان وكيفية الاحتراز من إيذائه ممكن للإنسان إذا استقام وأطاع ربه ، ومن الممكن إبعاد الشيطان بواحد مما يأتي :

- الاســـتعاذة بالله من الشـــيطان الرجيم والإكثار من ذلك يقول الله تعالى ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(١) .

- قراءة المعوذتين فهما أفضل ما تعوذ به المتعوذون من الشيطان الرجيم .

- قراءة آية الكرسي لأن من قرأها لا يقربه الشيطان .

- الإكثار من قراءة القرآن الكريم ، وذكر الله تعالى ، واللجوء إلى الطاعة كلما ألم بالنفس سوء ، أو نزل بالجسد أذى .

- قطع طرق الشيطان التي تمكنه من الإنسان ، وذلك بمداومة ذكر الله تعالى يقول الله سبحانه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾(٢) .

- الاستقامة على الحق ، والالتزام بطاعة الله تعالى يقول الله سبحانه ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(٣) .

وعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : **من قال إذا خرج من بيته ، بسم الله ، توكلت على الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، يقال له حينئذ : هديت وكفيت ، ووقيت ، فيتنحى عنه الشيطان ... فيقول شيطان آخر : كيف لك برجل قد هدى ، وكفى ، ووقى** (٤) .

---

(١) سورة الأعراف الآية ٢٠٠

(٢) سورة الأعراف الآية ٢٠١

(٣) سورة النحل الآية ٩٩

(٤) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب ما يقول إذا خرج من بيته جـ٥ صـ٣٢٨

- المبحث الثالث -

الإيمان بالكتب الإلهية

الأصل الثالث من أصول الدعوة الإيمان بالكتب الإلهية ، التى أنزلها الله على رسله وحياً إليهم ، بواسطة ملك الوحى جبريل عليه السلام .

والإيمان بالكتب الإلهية قضية مسلمة ، لأن من آمن بالله ، وآمن برسله ، وبالوحى المنزل المشتمل على تعليم الدين ، يسلم عقلا بكتب تحتوى على هذه التعاليم

والقرآن الكريم كتاب الله تعالى المنزل على محمد ﷺ خير شاهد على هذه الحقيقة ، فلقد جاء حاوياً لكافة الأصول الإسلامية ، مبيناً لسائر فروع الشريعة ، ومكارم الأخلاق ، وهو فى نفس الوقت المصدر الأساسى الذى يحدد للمسلم كل ما يجب الإيمان به .

ولما كان العقل يسلم بأن يكون لكل نبى كتاب موحى به إليه ، وحيث أن القرآن الكريم لم يفصل فى عدد الكتب ، من هنا كان الإيمان بالكتب الإلهية على صورتين :-

الصورة الأولى الإيمان الإجمالى : وهو الإيمان بأن لله كتباً عديدة ، لا يحصيهم إلا الله سبحانه وتعالى ، من غير تحديد عدد ، ولا اسماء لهذه الكتب .

الصورة الثانية الإيمان التفصيلى : وهو يتضمن الإيمان بالكتب التى وردت أسماؤها فى القرآن الكريم ، وحددت أسماء الرسل التى نزلت عليهم ، ولا عبرة لأسماء ذكرها الرواه ، والمؤرخون فى الإيمان المفصل ، أو المجمل .

ويجب أن تتضح ضرورة الإيمان بكل الكتب المنزلة من عند الله لأن الإيمان بالبعض ، والكفر بالبعض كفر بالجميع ، وعدم تصديق لكلام الله تعالى.

الكتب المتعلق بها الإيمان التفصيلى :

ويجب على كل مؤمن أن يؤمن تفصيلاً بأن الله أنزل الكتب التالية :

١) صحف إبراهيم عليه السلام .

٢)صحف موسى لقوله تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾(١) .

٣)**التوراة** : وهى الكتاب المنزل على موسى ﷺ بقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴾(٢) والمراد من لفظ الكتاب فى هذه الآية التوراة التى أنزلها الله على موسى ﷺ ، وفيها شريعته إليهم لقوله تعالى فى شأن قومه بنى إسرائيل ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣)

٤)**الزبور** : وهو الكتاب الذى نزل على داود ﷺ يقول تعالى ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾(٤) .

٥)**الإنجيل** : وهو الكتاب الذى أنزله الله على عيسى ﷺ يقول تعالى ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ﴾(٥) .

٦)**الألواح** : وهى الكتاب الذى نزل على موسى قبل التوراة ، وهى أول ما أتاه الله لموسى ﷺ وقد تضمنت الألواح أصول التوراة يقول الله تعالى ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾(٦)

وليس على المسلم أن يؤمن بكتب إلهية أخرى غير هذه الكتب مهما تشبث

(١) سورة الأعلى الآيتان ١٨ ، ١٩
(٢) سورة الفرقان الآية ٣٥
(٣) سورة الأعراف الآية ٢٠٠
(٤) سورة الأعراف الآية ٢٠٠
(٥) سورة الأعراف الآية ٢٠٠
(٦)سورة الأعراف الآية ١٤٥

بها أصحابها ، ومن هنا فأى إنجيل لغير عيسى ، وأى توراة لغير موسى لا يتعلق بها الإيمان ، وإنما هى أراء ، وأفكار لبشر ، عاديين لا يصح لمسلم أن يدخلها فى دائرة الإيمان ، لأن الذى يحدد الكتب الواجب الإيمان بها هو القرآن الكريم .

الكتب الإلهية والتحريف :

على المؤمن وهو يصدق بالكتب التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم ، مفصلة أن يكون يقظاً ، فاهماً ، ولا يغره ما يقرأ ، أو يسمع ، فلا يؤمن بالمسمى إن كان المحتوى ليس هو الكتاب المنزل ، وعليه أن يلحظ صفات فى الكتاب الذى يؤمن به لابد منها لأى كتاب سمات ، وهذه الملاحظات مسلمات ضرورية عقلية ، وهى :

١) إن ينسب الكتاب المقدس إلى رسول جميع صفات الرسالة بكل كمالاتها ، وأن يكون هذا الرسول معروفاً ، ومشهوراً ، أكثر من الكتاب على الأقل ، إذ لا يعقل أن يأتى كتاب مقدس بلا رسول ، أو برسول مجهول ، أو برسول لم يعرف بصدقه وأمانته .

٢) أن تكون نسبة الكتاب إلى الرسول ثابتة بطريق قطعى ، سواء كان الثبوت بواسطة سند متصل ، صحيح يوصل إلى الكتابة من الرسول أو إلى النقل الشفوى منه ﷺ هو الكتاب أو النقل الشفوى ، مع احتواء الكتاب المقطوع بثبوته على ما يفيد هذه النسبة .

٣) أن يخلو الكتاب من التناقض ، والاضطراب فى تعاليمه ، وأن يحافظ على قداسة الله وصفاته ، وعلى كمالات الرسل حينما يخبر عنهم ، وهذا شرط جوهرى لأن التناقض فى النص دليل نقص فى حق صاحبه ، ولا يتصور أن يترل الله كلاماً متناقضاً ، أو قولاً فيه إساءة لذاته سبحانه ، أو لأحد من رسله .

٤) إجماع جمهور أهل الملة المعتد بهم فى قومهم على التصديق بكتابها تأييداً لقطعيته .

ووصولاً إلى حقيقة موضوعية مع الكتب المعاصرة فإننا نحاول تطبيق هذه الأوصاف الأربعة عليها لنعرف قدرها ، ونكتشف حقيقتها ، وذلك فيما يلى :

١) مع كتب اليهود :

نرى أن البروتوكولات ليست كتابا متزلا ، وكذلك التلمود ، وإن قدسهما اليهود ، وأما العهد القديم فهو محل المناقشة ونحن معه .

ونسأل أولاً : عن كنه هؤلاء الرسل ، والأنبياء الذين نسبت الأسفار إليهم؟

ونسأل ثانياً : وهل نسبة الأسفار إلى هؤلاء الرسل نسبة مقطوع بصحتها ؟

ونسأل ثالثاً : عن مدى الترابط فى تعاليم هذه الأسفار ؟

ونسأل رابعاً : عن مدى إجماع الإسرائيليين وأهل الكتاب على حقيقة هذه الأسفار ؟

وحتى نجيب على هذه الأسئلة نحاول تطبيقها على الكتب الدينية الموجودة مع الناس ، ويدعى أصحابها أنها كتب مقدسة .

وحين ننظر إلى كتب اليهود نلحظ ما يلى :

أولاً : إن أنبياء بنى إسرائيل عدد غفير قاموا بدور الوعاظ ، والمرشدين فى أقوامهم ، لكن سيرتهم ، وحقيقتهم ظلت مجهولة ، والمعجزات التى تحدوا بها غير معروفة ومع ذلك فإن الأسفار تصور بعضهم بصورة نابية ، وتصفهم بأوصاف لا تليق بالرجل العادى .

جاء فى سفر عاموس (**إنكم – والخطاب للأنبياء – ستدوسون المسكين وتأخذون منه هدية قمح ، بنيتم بيوتاً من حجارة منحوتة ، ولا تسكنون فيها ، وغرستم كروماً شهية ، ولا تشربون خمرها ، لأنى علمت ذنوبكم كثيرة ، وخطايكم وافرة ، أيها المضايقون البار ، الآخذون الرشوة ، الصادون ، البائسون خلف الباب ، لذلك يصمت العاقل فى ذلك الزمان لأنه زمان ردئ** [١])

---

(١) سفر عاموس الإصحاح الخامس ، الفقرات ١١ – ١٣

وجاء فى سفر حزقيال (**قل للذين هم أنبياء من تلقاء ذواقم أسمعوا كلمة الرب هكذا قال السيد الرب ، ويل للأنبياء الحمقى الذاهبين وراء روحهم ، ولم يروا شيئاً ، أنبياؤك يا إسرائيل صاروا كالثعالب فى الخرب ... رأوا باطلاً وعرافة كاذبة** [١])

وجاء فى سفر أرميا (**ولا تسمعوا أنتم لأنبيائكم وعرافيكم وحالميكم ، وعائقيكم وسحرتكم الذين يكلمونكم قائلين : لا تخدموا ملك بابل ، لأنهم يتنبأون لكم بالكذب** [٢])

ويصف الإصحاح السابع والعشرون من سفر التكوين يعقوب بالشطط ، والكذب عندما مثّل على أبيه إسحاق ، وادعى أنه عيسو ، وليس هو [٣].

وينسب الإصحاح الحادى عشر من سفر الملوك الأول انحرافات دينية وأخلاقية إلى سليمان عليه السلام ويزعمون أنه عشق نساء كثيرات ، وسار وراء آلهتهم ، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب [٤].

وبهذه النصوص يظهر لنا أن كثيراً من أنبياء بنى إسرائيل ، وبخاصة الذين تنبأوا قبل عيسى عليه السلام كانوا مجهولين ، ولا خلاق لهم .

ونلحظ (ثانياً) : أن نسبة هذه الأسفار إلى من نسب إليهم غير صحيحة ، وذلك لأن أسفار موسى الخمسة ليس فيها ما يشير إلى أنه هو الذى جاء بها ، أو أنها نزلت عليه ، بل أن بعض نصوصها يؤكد خطأ نسبة هذه الأسفار إلى موسى ، جاء فى سفر التثنية الإصحاح الرابع والثلاثون : **فمات موسى هناك عند الرب فى أرض مؤاب مقابل بيت فغور ، ولم يعرف إنسان قبره إلى اليوم ، وكان موسى**

---

(١)سفر حزقيال الإصحاح ١٣ فقرات ٢ - ٦

(٢)سفر أرميا الإصحاح ٢٧ فقرات ٩ - ١٠

(٣) سفر التكوين الإصحاح السابع والعشرون الفقرة ١٨ - ٢٤

(٤) سفر الملوك الأول الإصحاح الحادى عشر فقرة ١-٤

ابن مائة وعشرين سنة حين مات ... فبكى بنو إسرائيل موسى فى عربات مؤاب ثلاثين يوماً [١])

هذه الفقرات **الثلاث** لا يجوز مطلقاً أن يكون نزولها على موسى ، لأنها تحدث عنه بعد موته ومع ذلك رواها العهد القديم على لسان موسى ﷺ .

ويروى رحمه الله الهندى فى كتابه إظهار الحق أن سفر يوشع كتبه أرميا وبين يوشع ، وأرميا ثمانية قرون تقريباً ، وسفر القضاة كتبه حزقيال ، كما أن الأسفار المنسوبة إلى سليمان لا يصح نزولها عليه لما فيها من خيال و هوى ، وكيف يصدق ما جاء فى سفر صموئيل الثانى الإصحاح الثامن من أن داود ذهب ليسترد سلطته عند نهر الفرات ، مع أن الثابت أنه لم يذهب إلى الفرات قط [٢] .

وباختصار فإن ما ذكرناه من نصوص يشير إلى العهد القديم الموجود بين اليهود المعاصرين ، ويؤكد ما فيه من تناقض لا يصح أن تكون فى كتاب مقدس وهناك شك كثير فى صحته .

إن الثابت أن موسى ﷺ كتب أسفاره الخمسة ، ووضعها فى التابون مع لوحين من الحجر ، ولما جاء سليمان فتح التابوت فلم يجد سوى الحجرين ، و لم يجد التوراة .

جاء فى سفر الملوك الأول الإصحاح الثامن : **أن سليمان لم يجد فى التابوت إلا لوحى الحجر ، اللذين وضعهما موسى هناك فى حوريب ، حين عاهد الرب بنى إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر)[٣]** وبعد سليمان حدثت ردة دينية قطعت كل ذكر للتوراة مدة طويلة حتى أظهرها الكهان بصورتها المحرفة .

وعلى ذلك ، فإن الوحى لم يترل بهذه الفقرات التى لا يتصور عاقل نزولها من عند الله تعالى ، ولكن العقول البشرية هى التى ألفتها ووضعتها .

---

(١) سفر التثنية ، الإصحاح الرابع والثلاثون الفقرات ٥-٨

(٢) أنظر إظهار الحق جـ٢ صـ٨٧ إلى ١٧٢

(٣) سفر الملوك الأول الإصحاح الثامن الفقرة ٩

ونلحظ (ثالثاً) : أن تعاليم هذه الأسفار توحى بتناقضها ، فرغم أن اليهود ينسبونها إلى الرب إلا أنها تحوى عنصريتهم وضلالهم ، حيث يجعلونها موطناً لإبراز مزيتهم على العالم ، ففى سفر التكوين **جاء أن اليهود من سلالة ابن آدم الطيب وأما ابنه الضال فهم بعيدون عنه**[١] وجاء فيه أيضاً **هجوم على سام ابن نوح لأنه جد المصريين ، وهجوم آخر على الكنعانيين لأنهم حاربوا شعب إسرائيل**[٢]

وقد عدد الأستاذ أحمد شلبى بعض تناقضت الأسفار فيما يلى :

– جاء فى سفر اللاويين أن شباب بنى اسرائيل قبيل خروجهم من مصر عدوا بالملايين بينما كان عددهم قبل ذلك بقرنين أقل من مائة ، وهذا غير معقول .

– جاء فى سفر الخروج أن الأبناء يؤاخذون بذنب الآباء حتى الجيل الرابع بينما يقرر سفر حزقيال أن الابن لا يحمل ذنباً للأب وهذا تناقض .

– اعترف مفسروا العهد القديم بأخطاء موجودة فى المزامير ، وفى الملوك ، وفى التكوين ، ويكفى بياناً لتحريف العهد القديم أنها تشرع عقيدة فاسدة تصور الله غاضباً ، نادماً ، مجسماً ، كما فى سفر التكوين وتصور الأنبياء فسقه كفرة ، مخادعين كما فى سفر التكوين ، وسفر الملوك الثانى ، وسفر استير ، ونشيد الأنشاد[٣] .

ونلحظ (رابعاً) : أن الفرق اليهودية تختلف نظرتها إلى العهد القديم ، فبينما يرى بعضهم أن أسفاره ليست هى كل ما نزل ، يرى البعض الآخر أنها أكثر مما نزل ، وبين الفرق اليهودية اختلاف فى تفسير الأسفار ، كما أن النصارى ، وهم يعدون العهد القديم مصدراً لهم يختلفون فيه أيضاً فبينما نرى البروستانت يقصرونه على تسع وثلاثين سفراً ، نرى الكاثوليك يضيفون إليها سبعة أسفار أخرى ليصل عددها إلى ست وأربعين سفراً .

---

(١) سفر التكوين

(٢) سفر التكوين

(٣) اليهودية صـ٨٩

ونكتفى بهذه الملاحظات مع كتب اليهود لأنها تجيب على الشروط الواجب توافرها فى العهد القديم ، وتؤكد أنها لا تجمع الشـــروط الضـــرورية للكتاب المنزل من عند الله تعالى .

مع كتب النصارى : ومع مصادر النصارى نسأل نفس الأسئلة ومن الإجابة **نلحظ (أولاً)** : إن عيسى عليه السلام رسول الله الذى أنزل عليه الكتاب المقدس لم تنسب الأناجيل ، ولا الأعمال ، ولا الرسائل إليه ، وإنما نسبت إلى من كتبها من الحواريين ، والرسل ، ولذلك يبقى السؤال القائل : **أين إنجيل عيسى عليه السلام ؟**

ومن خلال التاريخ المسيحى ، نعلم أن **حوارى المسيح أثنا عشر** هم تلامذته الأصفياء ، وقد ذكروا بأسمائهم فى سفر أعمال الرسل ، ونعلم أن **المسيح أرسل سبعين رجلاً ليبشروا بإسمه** فى البلاد ، وهم الرسل الذين أشار إليهم لوقا فى إنجيله ولم يذكر أسماءهم ، **ونعلم أن بطرس** أحد الحواريين خطب فى مائة وعشرين تلميذاً حتى امتلأوا بروح القدس ، وتكلموا بألسنة غير ألسنتهم كما جاء فى سفر أعمال الرسل ، بلا ذكر أسماء .

يقول النصارى : إن الإلهام نزل على الحواريين ، وعلى الرسل، وعلى التلاميذ وسندهم فى ذلك هو إنجيل لوقا ، وسفر أعمال الرسل الذى كتبه لوقا أيضاً [١].

وهنا **أقول** أن لوقا هذا (**مرجع إثبات إلهام الحواريين الرسل والتلاميذ**) لم يدع أنه ملهم وإنما قال فى مقدمة إنجيله : **إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا ، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة ، رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شئ من الأول بتدقيق أ ن اكتب على التوالى إليك أيها العزيز ياثا وفليس لتعرف صحة الكلام الذى علمت به** [٢].

---

(١) محاضرات فى النصرانية صـــ٨٥

(٢) إنجيل لوقا الإصحاح الأول ، الفقرات ١ - ٤

وفى مقدمة أعمال الرسل جاء **الكلام الأول أنشأته ياثا وفليس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ، ويعلم به** [١] ففى المقدمتين يشير "لوقا" إلى أنه لم يكتب ما علمه عن الآخرين ، وأنه ينشئه من عنده ، ومع ذلك لم ير فيما كتبه لوقا أسماء الرسل أصحاب الأسفار اللهم إلا متى ، وبطرس ، ويوحنا ،ويعقوب ، ويهوذا ، وبقى الجميع مجهولين .

ومع ذلك نسأل عن "لوقا" ما هو ؟ .... من يكون ؟

وتأتى الإجابة بأنه لم يكن من الحواريين ، ولا من الرسل ، ولا من تلاميذ بطرس وكل ما ثبت أنه كان تلميذاً لبولس الرسول ، ومعنى ذلك أنه لم يشاهد المسيح ، و لم يعاصره لأنه من تلاميذ تلاميذه .

وقال مؤرخو المسيحية عن لوقا : إنه نحات .

وقالوا : إنه كان طبيباً .

وقالوا : إن أصله إيطالى .

و لم يتحدثوا عن معجزة له ، وكل ما ورد عنه جاء فى رسائل بولس حيث يقول " **ويسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب** .

ويقول : **لوقاً وحده معى** .

ونسأل أخيراً ، من أثبت الثانى ؟ هل هو بولس أم لوقا ؟

ثم نسجل ما نقله الشيخ محمد أبو زهرة عن كتّاب من النصارى يقولون " إن الذين قالوا إن كل قول مندرج فى الكتب المقدسة إلهامى لا يقدرون أن يثبتوا دعواهم بسهولة[٢] .

ونلحظ ثانيا : أن نسبة الأناجيل ، والرسائل ، والأعمال ، إلى أصحابها لا تخلو من شك ، لأن الأناجيل الأربعة عرفت للناس فى ســنة ٢٩٩م تقريباً فى وقت

---

(١) أعمال الرسل الإصحاح الأول الفقرة ١

(٢) محاضرات فى النصرانية صـــ٤٣ - ٤٦

كان الناس يعرفون إنجيل برنابا، وإنجيل التذكرة، وإنجيل سرن تمتز، وإنجيل السبعين.

وذلك أن الكنيسة لما رأت كثرة الأناجيل فى أوائل القرن الثالث الميلادى اختارت الأناجيل الأربعة ، وخصتها بالتقديس ، ونصت على إلغاء غيرها تماماً .

وأيضاً فإن فى اللغة التى كتبت بها الأناجيل اختلاف ، وإهمال زمن كتابة الأناجيل ، وزمن ترجمتها ، مختلف فيها كذلك ، يقول هورن : ألف إنجيل يوحنا سنة ٣٧ أو سنة ٣٨ أو سنة ٤١ أو سنة أو ٤٣ أو سنة ٤٨ أو سنة ٦٠ أو سنة ٦١ أو سنة ٦٣ أو سنة ٦٣) .

ويقول : (ألف إنجيل مرقص سنة ٥٦ إلى سنة ٦٠ أو سنة ٦٣) وهكذا يقول بصفة الاحتمال فى تاريخ تدوين الإنجيلين الآخيرين[١] .

ثم نسأل بعد ذلك عدداً من الأسئلة المتصلة بالموضوع .

فى أى كتاب سجل وحى الله إلى عيسى عليه السلام ؟

ألم يكن من الأولى أن نعرف إنجيل عيسى عليه السلام قبل غيره ؟

و لم ضاع إنجيل عيسى عليه السلام دون البقية ؟

ولماذا ارتضى أصحاب الأسفار أن يذكروا اسم إنجيل الله دون تسجيله ؟

وأرى أهمية هذه الأسئلة لأن العهد الجديد نفسه يشير إلى وجود إنجيل للمسيح بشر به ودعا قومه إليه ، وكرز به باسم الرب ، يقول بولس فى رسالته إلى أهل رومية الإصحاح الأول : (فإن الله الذى أعبده بروحى فى إنجيل ابنه يسوع شاهد لى)[٢]

ويقول فى رسالته لأهل كورنثوش (وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم فى مجامعهم ، ويكرز ببشارة الملكوت)[٣]

ويقول مرقص (وبعد ما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة

---

(١) محاضرات فى النصرانية صـ٤٨ ، ٥٢

(٢) رسالة كولس إلى أهل رومية — الإصحاح الأول فقرة ٩

(٣) رسالة بولس لأهل كورنثوش — الإصحاح الخامس عشر فقرة ١٢

ملكوت الله) والبشارة هى الإنجيل [١] .

ونلحظ ثالثاً : إن فى العهد الجديد بعض التناقض الذى لا يصح نسبته إلى الله تعالى ، ومن هذه التناقضات .

جاء فى الإصحاح العاشر من متى ، والإصحاح الثالث عشر من مرقص ، الأمر إلى الرسل **بعدم الكلام** حين يؤذنون ، لكن الأمر لهم فى سفر الأعمال الإصحاح الثالث والعشرين **أن يتكلموا ويشتموا** [٢].

اختلف إنجيل لوقا عن إنجيل متى فى مسائل عدة منها :

فى متى أن يوسف بن يعقوب ، وفى لوقا أن يوسف بن هالى .

وفى متى أن عيسى من أولاد سليمان وهم من السلاطين ، وفى لوقا أن عيسى من أبناء ناثان بن داود ، وهم ليسوا من السلاطين .

وفى متى أن سلتائيل بن بكيثا وفى لوقا أنه ابن بكيرى .

وفى متى أن من عيسى إلى داود ستة وعشرين جيلاً ، وفى لوقا أن بينهما واحد وأربعين جيلاً .

وكل هذه اختلافات فى شئ واحد لا يختلف فيه ، ولا يصح لأنها تتصل بنسب المسيح ، رسول الله إليهم .

وكذلك اختلف إنجيل يوحنا عن إنجيل متى ، فى إنجيل متى فى الإصحاح السادس والعشرين جاء أن يهوذا هو الذى أعلمهم بالمسيح ، بالعلامة التى اتفق معهم عليها وهى تقبيل يد يسوع ، وفى يوحنا أن المسيح هو الذى قدم نفسه ، وفرق بينهما .

وقد حوى كتاب إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندى على أكثر من مائة اختلاف من هذا النوع .

ونلحظ رابعاً : أن بعض النصارى ينكر بعض أسفار العهد الجديد وبعضها

---

(١) إنجيل مرقص الإصحاح ١٦ الفقرة ١٥

(٢) انظر محاضرات فى النصرانية صـ٨٦ بتصرف .

يزيد الأناجيل عن الأربعة المشهورة ، فعند الأرثوذكس الأناجيل هى (متى ، يوحنا مرقص ، لوقا) ، وقد أنكر مجمع نيقية المنعقد فى سنة ٣٢٥م الرسائل التالية :

١) رسالة بولس إلى العبرانيين .

٢) رسالة بطرس الثانية .

٣) رسالة يوحنا الثانية والثالثة .

٤) رسالة يعقوب .

٥) رسالة يهوذا .

٦) رسالة يوحنا التى أشار فيها إلى رؤياه وهى التى تسمى "**الكتاب النبوى** " إلا أن مجمع لوديسيا اعترف بها سنة ٢٦٤ م

وبعرض هذه التساؤلات ، ومعرفة إجاباتها من المصادر المسيحية ، نتبين مدى صدقها ، ومدى كونها كتاباً مقدساً ، والواقع خير شاهد ، وبرهان ، والحكم متروك لفطنة القارئ .

٣) مع القرآن الكريم : ونكرر نفس الأسئلة مع القرآن الكريم لنقف على حقيقتها ، ومن الإجابة نلحظ .

أولاً : القرآن الكريم : نزل على محمد ﷺ ونقل عنه متواتراً إلى الأمة كلها ، وحياته ﷺ معروفة بدقة ، وكتاب السير والتاريخ ، يحيطونها بالتفصيل ، والتحليل ، ويشرحون كل معجزاته بالعلم ، والعقل ، ويؤكدونها بالنقل ، ومن كل ما أثبته العلماء الثقاة نلمح أن النبى ﷺ تمتع بكل كمال يليق به ، وقد أيده الله بالمعجزات الدالة على صدقة ، وكان ﷺ يحافظ على تأكيد صدق القرآن الكريم ، ففصل بين القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وقد أمر بكتابة القرآن وحده دون السنة حتى لا يختلطا ، وذلك فى بداية الوحى ، فلما استقر الأمر سمح لمن يكتب أن يكتب غير القرآن الكريم .

ونلحظ (ثانياً) : أن نسبة القرآن الكريم إلى النبى ﷺ لا مطعن فى ثبوتها فقد كتب القرآن فى حياته ﷺ وحفظ ، وبعد وفاته جمع القرآن ووزع على الأمصار ، وقد تواتر الجمع الغفير من المسلمين على حفظ القرآن ، وفهمه ، وبذلوا من أنفسهم وأموالهم الكثير من أجل الحفاظ على القرآن كما جاء الوحى به بلا تبديل أو تحريف .

ومن دلالة اهتمام المسلمين ، بالمحافظة على القرآن الكريم وجود ملايين الحفاظ فى كل أرجاء العالم الآن ، وقد حفظوا القرآن فى صدروهم ، ودونوه فى كتب محفوظة وعلى مخترعات العصر من فضائيات ، وتسجيل .

والاهتمام بالقرآن موصول ، وكل مسلم يعلم أن ذلك عبادة يتقرب بها إلى الله تعالى .

ونلحظ (ثالثاً) : عدم وجود تناقض فى تعاليم القرآن ، أو فى تعاليم السنة الصحيحة ، لأنهما ثابتان كما نزلا ، ولو كان أحدهما من عند غير الله لو جدوا فيه اختلافاً كثيراً

ونلحظ (رابعاً) : أن الأمة الإسلامية مجمعة على صدق مصادرها ، وثبوتها لفظاً ومعنى .

ونلحظ (خامساً) : حرص المسلمين فى كافة العصور على تأكيد أن يتم تلقى القرآن من شيخ تلقى عن غيره ... عن رسول الله ﷺ ، وبذلك يستمر السند المتصل فى تلقى القرآن الكريم من قارئة فى أى زمان ، ومكان إلى رسول الله ﷺ بل إلى الله تعالى لأن رسول الله ﷺ تلقاه عن جبريل عليه السلام وتلقاه جبريل عن الله سبحانه وتعالى .

وأخيراً : نذكر أن المسيحية واليهودية معاً قد وضحهما القرآن الكريم ، وأحاط رسلهما بالكمال الواجب ، وبين الصلة بينهما ، وبين الإسلام وأشار إلى أن التحريف قد لحق بمصادرهما إحقاقاً للحق ، وبياناً للواقع .

- المبحث الرابع -

الإيمان بالرسل

الإيمان بالرسل هو الأصل الرابع من أصول الرسالة الخاتمة التى جاء بها محمد ﷺ ودراسة هذا الأصل يحتاج إلى المباحث التالية :

- ١ -

الرسول ، والنبى

خلق الله عباده ، واختار من بينهم من اصطفاهم ليتنزل الوحى عليهم ، ويقوموا بتبليغ الوحى لأقوامهم ، لنشر دين الله بين الناس ، وهؤلاء **المختارون هم** رسل الله وأنبياؤه .

ومن العلماء من لا يفرق بين النبى ، والرسول **ويرى أن كلا منهما إنسان** بعثه الله إلى الخلق لتبليغ الدين الذى يوحى إليه به .

ويرى آخرون أن النبى أعم من الرسول لأنه يشترط **فى** الرسول أن يكون صاحب كتاب وشريعة بخلاف النبى فإنه لا يشترط **فيه** ذلك .

ويرى آخرون أن الرسول يشمل الإنسان والملك فهو أعم من النبى الذى يختص بالإنسان فقط .

ولعل أرجح الأقوال هو أن النبى شخص من بنى آدم أوحى الله إليه بشرع ، و لم يؤمر بتبليغه ، وسمى نبياً لأنه نبئ ، وأخبر من قبل الله تعالى ، فإن أمر بتبليغ هذا الشرع للناس سمى رسولاً ، لأن الله أرسله ، وبعثه للخلائق ، فهو إذا نبى مرسل ، وعلى هذا فكل رسول نبى ، وليس كل نبى رسولا ، فالنبوة هى طريق الرسالة ، ولا رسالة بدون نبوة .

ولذلك كان **إخبار** الله تعالى فى القرآن الكريم بأن محمداً خاتم النبيين شاملاً لكونه خاتم المرسلين أيضاً .

والإيمان بالرسل والأنبياء واجب ، وذلك أصل من أصول الإسلام ، من جحده كفر ، والواجب على كل مكلف أن يعتقد فى أن الله سبحانه وتعالى أرسل رسلاً مبشرين بثوابه ، ومنذرين بعقابه ، قاموا بتبليغ ما أمروا به على خير وجه .

والإيمان بالأنبياء والرسل يكون على وجهين .

الأول : الإيمان إجمالاً وذلك بأن يؤمن بأن الله تعالى أرسل رسلاً عديدين ، لا يحصيهم إلا الله سبحانه وتعالى ، وذلك لقوله سبحانه ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [١] .

الثانى : الإيمان تفصيلاً بما ورد ذكرهم مفصلاً فى القرآن الكريم ، وعددهم خمسة وعشرون رسولاً هم :

" آدم ، وإدريس ، ونوح ، وهود ، وصالح ، وإبراهيم ، ولوط ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، ويوسف ، وأيوب ، وشعيب ، وموسى ، وهارون ، ويونس ، وداود ، وسليمان ، وإلياس ، واليسع ، وذو الكفل ، وزكريا ، ويحي ، وعيسى ، ومحمد " عليهم جميعاً الصلاة ، والسلام .

وقد حصر أحد الشعراء المسلمين هؤلاء الرسل فى بيتين :

فقال :

فى تلك حجتنا منهم ثمانية ... من بعد عشر ويبقى سبعة وهم

إدريس ، هود ، شعيب ، صالح ، وكذا ... ذو الكفل ، آدم ، بالمختار قد ختموا

وأولو العزم من هؤلاء الرسل خمسة هم :

نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ، وسموا بذلك لأنهم صبروا على أذى قومهم وتحملوا المشاق ، والمتاعب ، وصمدوا أكثر من غيرهم .

ومن المعلوم أن الرسالة والنبوة اختيار محض من قبل الله تعالى ولا مدخل للإكتساب فيها .

---

(١) سورة النساء الآية ١٦٤

صحيح أن الرسل صلوات الله عليهم كانوا من أنقى الناس عنصراً ، وأحسنهم خلقاً وأعظمهم طاعة ، واستقامة ، ومع هذا فلا دخل ، لاستقامتهم ، ومجاهدتهم في نيل الرسالة لأنها منحة محضة .

يقول الله تعالى ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾(١) .

ويقول ﴿ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ ۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾(٢) .

ويقول سبحانه ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾(٣) .

وإرسال الرسل من الأمور الجائزة فى حق الله تعالى وهو سبحانه أعلم حيث يجعل رسالته ، وقد أخبر سبحانه وتعالى بأنه لن يعاقب أحداً إلا إذا جاءه رسول يرشده ، ويعرفه بصراط الله المستقيم .

-٢-

الحاجة إلى الرسل

أرسل الله سبحانه وتعالى رسله للناس مبشرين ومنذرين ، لتحقيق السعادة الحقيقة لهم ، ورسم المنهج الصحيح من أجل الوصول إلى المصالح الثابتة للأفراد أو الجماعات .

وطبيعة الإنسان وفطرته تقضى بحاجة البشر الملحة إلى رسل يأتون إليهم حاملين وحى الله تعالى ، يدعونهم إلى الخير ، ويخرجونهم من الظلمات إلى النور ، وتلك قضية مسلمة عقلاً لعدة أسباب أهمها :

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٢٤

(٢) سورة القصص الآية ٦٨

(٣) سورة الحج الآية ٧٥

أولاً : ما دام الإنسان قد تيقن من بقاء نفسه بعد الموت ، وآمن بالحياة الأخرى بما فيها من نعيم مقيم ، أو شقاء أليم ، وعلم أن الشقاء ، والسعادة فى الحياة الدنيا ، والحياة الآخرة مرتبطان بالأعمال الدنيوية ، قلبية كانت كالاعتقاد والقصد والإرادة ، أو بدنية كالعبادات ، والمعاملات .

إن الإنسان مهما كانت عقيدته يسلم بمسألة بقاء الروح ، وبعثها مرة أخرى لتنال جزاء ما قدمت فى المرة الأولى ، ومع قوة العقل فى التصور ، والاستنباط ، فإنه يسلم بالعجز أمام قضايا عديدة ، **منها** التصور الدقيق التام للحياة الأخرى ، **ومنها** معرفة المنهج الصحيح للعمل الدنيوى الموصل لخيرى الدنيا والآخرة .

وللمرء أن يتساءل :

- هل ما نراه فى الدنيا هو ما سنراه فى الآخرة ؟
- هل العقل يوصل كل إنسان إلى معرفة حقيقة الحياة الآخرة ، ومشاهدها ؟
- هل فى أساليب النظر ما يأخذ بالإنسان إلى اليقين التام فى الاعتقاد ، والعمل الصحيح ، اللذين يحققان الخير فى الدنيا والآخرة ؟
- هل يستطيع العقل الإنسانى اكتشاف الغيب المحيط به ماضياً ، أو حاضراً أو مستقبلاً ؟

يجيب الشيخ محمد عبده على تلك الأسئلة ويقول : كلا فإن الصلة بين الدنيا والآخرة تكاد أن تكون منقطعة ، فالنظر فى المعلومات الحاضرة لا يوصل إلى كشف حقائق الغيب المجهول فى الآخرة [١] .

من هنا تجلت حكمة البارى سبحانه وتعالى أن خلق من الناس **أفراداً تميزوا بسلامة الفطرة** وكمال الروح ، والقدرة على تقبل الوحى الذى يأتيهم من قبله ، وكلفهم أن يتلقوا منه منهج إصلاح الحياة، وتبليغه للخلق ، وهو سبحانه يؤيدهم ،

---

(١) رسالة التوحيد صـ ٩٠

ويحقق لهم النصر ، والتمكين فى الأرض بين الناس .

إن ذلك ضرورة والإنسان فى حاجة إليها.

ثانياً : الإنسان مدنى بطبعه ، وقد درج على الاستعانة بغيره فى كافة مطالب حياته ، وكيفية خلقه تعينه على ذلك ، فلسانه يكلم غيره ، وأذنه تسمع من غيره وهكذا سائر جوارحه ، حتى تأكد الإنسان أنه خلق للغير ، وبهم يعيش ، ومعهم يتحرك ، ولهم يعمل ، وفى إطارهم يعيش ، ويسعد .

وفى وسط الناس تتعدد صور العلاقات ، ومستوياتها ، فهناك الصلة العادية ، وهناك المودة ، وهناك العداوة ، إلى غير ذلك ، وكل صورة لها سبب ، وكل نتيجة مرتبطة بعلتها ، فالحاجة تدفع إلى الصداقة ، والمصلحة تؤدى إلى التعارف ، والإخلاص يوصل إلى الحب ، والعمل الدءوب يحقق الإعجاب ، وقوة الإرادة تضع صاحبها فى مجال الريادة والقدوة .

وفى نفس الوقت يؤدى التنافس إلى التحاسد ، ويؤدى النهم فى الإشباع إلى الفرقة والكراهية .

ولو ترك الأمر للإنسان وحدة لبقى يتخبط فى متاهات الغريزة ، ومجالات الهوى النفسى ، وحينئذ يقوم الإنسان بغير ما هيئ له ، يفسد ، ويهدم ، ويبغى الغلبة ، والانتصار شهوة وظلماً .

وهنا تجلت رحمة الله تعالى بإبراز بشر لهم صلة بالناس أساسها الثقة والحب ، والإعجاب ، مع البعد التام عن عوامل النفور المادية ، وجعلهم رسله يحملون وحيه ويبلغونه من وراءهم ، فينظمون العلاقات بمنهج صالح ، مصلح ، يحقق الخير ، ويبتعد عن كل شر وسوء .

ثالثاً : فطرة الإنسان ، تجعله يرحب برسل الله إليه ، لأنه جبل على الإذعان لما فاق قدره قدرته ، وعلا بمستواه عنه ... ومن هذا المدخل بعث الله رسله يطرقون القلوب بقوارع من أمر الله ، ويدهشون المدارك ببواهر من آياته ، فيحيطون

العقول بمالاً مندوحة عن الإذعان له ، ويستوى فى الركون لما يجيئون به المالك والمملوك ، والعاقل ، والجاهل ، فيكون الإذعان لهم أشبه بالإضطرار منه بالاختيار وحينئذ يتحقق المراد بأمر الله .

رابعاً : ومن حقائق الوجود أن الوصول للغاية يحتاج إلى عالم بحقيقة الواقع وأسراره ، ومدرك للغاية المقصودة ، وقادر على تحديد الطريق المستقيم الذى يحرك الإنسان بواقعة نحو غايته ، وفق منهج معين ...... ولا يقدر على ذلك إلا الله سبحانه وتعالى العليم بمن خلق ، الخبير بالغايات الخيرة ، القادر على تحديد الطريق الموصل ولذلك أرسل الرسل بدينه ، ليسير الناس بنظام الله ليتحقق لهم الخير كله .

خامساً : درج الناس فى رقيهم الاجتماعى إلى اتباع مصلح حكيم ، يدرك الغاية الصالحة ، ويدعو إليها ، ويرشد الناس إلى أحسن الطرق ، وفق اجتهاده للوصول ، ولولا هؤلاء المصلحون لبقى الناس يعمهون فى الجهالة ، والغباية ، ومن هنا كان الإنسان عموماً أكثر إلفاً بمن يخلص له ، ويعمل على تحقيق سعادته .

وإن كان هذا الإلف مع الناس العاديين فهو مع الرسل ضرورة .

إن رسل الله يبعثهم الله لإصلاح الحياة بالمنهج الربانى ، المتكامل ، الذى يشرع بدقة ، مناسبة للمصلحة الإنسانية ، وبصورة لا يعتريها خلل أو اضطراب ومن هنا كان إرسال الرسل ضرورة ، والإنسان فى حاجة إليه .

- ٣ -

معجزات الرسل

المعجزة هى الدليل الذى يحمله الرسول ليثبت للناس رسالته ، وهى تصديق من الله تعالى لرسوله فيما يدعيه من النبوة والرسالة ، ولسان حالها يقول : **صدق عبدى فيما يبلغ عنى** ، وتأتى المعجزة فى صورة حسية ، أو معنوية من جنس ما تفوق فيه قوم الرسول ، بشكل يعجز البشر عن الإتيان بمثلها ، وذلك سميت

معجزة لأنها أعجزت البشر عن الإتيان بمثلها ، بعدما تحداهم رسولهم بهـــا ، ولا تظهر المعجزة إلا عند الحاجة إليها ، أى مع الرسول الذى يطلب مـــن النـــاس تصديقه فى رسالته .

والعلماء يعرفون المعجزه بأنها "**أمر خارق للعادة ، يظهره الله على يد مدعى النبوة تصديقاً له فى دعواه ، على وجه يعجز المنكرون عن الإتيان بمثلها ، بعـــد تحديهم فى ذلك** ".

ومن هذا التعريف نلحظ أن شروط المعجزة هى :

١) المعجزة تكون من الله سواء كانت قولاً كإنزال كتبه المقدسة ، أو فعلا مثل إنشقاق القمر ، أو تركا كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم عليه السلام .

٢) أن تكون المعجزة خارقة للعادة ، أى يعجز البشر عن الإتيان بمثلها .

٣) أن تظهر على يد مدعى النبوة مقرونة بدعواه .

٤) أن تكون موافقة للمطلوب ، لا على عكسه

٥) أن تكون مصدقة له بالقول إذا نطقت كما نطق الشجر والحجر .

والمعجزة ممكنة عقلاً ، لأن الله الذى يرسل الرسل ، هو خالق الخلق ، وهو على كل شئ قدير ، يقول للشئ كن فيكون .

وكما جعل سبحانه لكل شئ سبباً ، يمكنه أن يخرق نظام إيجـــاد الخلـــق ، ويقطعه عن علته ، ويوجد المسبب بلا سبب ، أو يوجده بسبب لا يدرك البشر الارتباط بينهما .

وقد وقعت المعجزة فعلاً ، فما من رسول ولا نبى ، إلا ومعه معجزاته الـــتى أقر الناس بعجزهم عن الإتيان بمثلها .

وحتى يكون التحدى كاملاً ، وتاماً ، فى دلالته على صدق الرسول كانت المعجزة تأتى دائماً فى الأمور التى اشتهر بها الأقوام الذين بعث الرسول إلـــيهم ،

ونبغوا فيها ، فموسى عليه السلام جاء بمعجزة العصا التى تنقلب ثعباناً وذلك من نوع السحر الذى نبغ فيه المصريون .

وهناك فرق بين المعجزة وبين غيرها من خوارق العادات .

فالكرامة : أمر خارق للعادة يظهره الله على يد عبد صالح غير مدع للنبوة ، رفعاً لشأنه ومساعدة له .

والمعونة : أمر خارق للعادة يظهر على يد بعض العوام تخلصا من شئ يضره أو جلباً لأمر يحتاجه .

والإهانة : أمر خارق للعادة يظهر على يد مدع للنبوة كذباً ، وتكون الإهانة على خلاف مطلوبه كما حصل لمسيلمة الكذاب فإنه تفل فى عين أعور ليبرئه فعميت السليمة .

والاستدراج : أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدع الألوهية على وفق مراده استدراجاً له ، كما سيحدث مع الدجال فإنه يأمر السماء لتمطر فتمطر ، وهكذا .

والإرهاص : أمر خارق للعادة يظهر قبل مبعث نبى ، كتصدع إيوان كسرى وجفاف بحيرة ساوة ، وتظليل الغمام لرسول الله ﷺ .

أما السحر ، والشعوذة ، وغرائب المخترعات ، فهى ليست من خوارق العادات لأنها معتمدة على أصول عملية ، وخفة فى التطبيق .

ودلالة المعجزة على صدق الرسول دلالة يقينية عند الجمهور ، وهى دلالة تلزم الذين شاهدوها ، والذين سمعوا عنها ، ومن يأتى بعدهم بكل ما جاءت من أجله لأنها نقلت إليهم نقلاً صحيحاً .

ومعجزة النبى ﷺ الباقية إلى يوم القيامة هى القرآن الكريم ، وهى معجزة ملزمة لكل من بلغته فى كل زمان ومكان .

- ٤ -

خصوصيات محمد ﷺ

محمد ﷺ خاتم النبيين والمرسلين ، اختصه الله سبحانه وتعالى ، بمجموعة من الخصائص كانت له و لم تكن لغيره من الرسل ممن سبقه ،وأهمها ما يلى :

أ) عموم الرسالة المحمدية : فجميع الرسالات قبل الإسلام كانت خاصة لقوم معينين ، لا يكلف بها سواهم ، فلما بعث محمد ﷺ جعل الله رسالته عامة للخلق أجمعين بعدما — أودع — سبحانه فى الناس تطوراً عقلياً ، ورشداً فى التصور والإدراك يمكنهم من التجمع فى الدين الواحد ، وتقبل فكرة العالمية فى العقيدة والشريعة ، ولذلك كانت رسالة الإسلام عامة للعالم كله ، يقول الله تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1].

ويقول سبحانه ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[2] .

ويقول الله تعالى ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾[3] .

يقول النبى ﷺ : **وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**[4] .

ب) محمد ﷺ خاتم الأنبياء والرسل : قضى الله سبحانه وتعالى بأن تختم الرسالات برسالة سيدنا محمد ﷺ ولذلك جعلها صالحة لكل زمان ، ولكل مكان ، وللناس أجمعين ، وحفظ تعاليمها من الضياع ، والتحريف ، وأبقى سيرتها ، وسيرة رسولها للناس بكل الوضوح ، والبيان ، يقول النبى ﷺ " **إنما مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه ، وأجمله ، إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل**

(١) سورة سبأ الآية ٢٨

(٢) سورة الأعراف ١٥٨

(٣) سورة الأحقاف الآية ٢٩

(٤) صحيح البخارى ، كتاب التيمم جـ١ صـ٢٣٢

الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبين "[١] .

٣) نصره الله بالرعب :مسيرة شهر سير الإبل ، وسيلة التنقل فى عصر البعثة.

٤) جعل الله الأرض له ولأمته مسجداً ، فأيما رجل مسلم أدركته الصــــلاة فى أى مكان فليصل فيه .

٥) أحل الله له الغنائم : و لم تحل لأحد قبله .

٦) أعطاه الله الشفاعة العظمى : يقول النبى ﷺ دليلاً على هذه الخصوصـــيات **"أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من قبلى ، نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجداً ، وطهوراً ، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لى المغانم ، ولم تحل لأحد قبلى ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعث إلى قومــــه خاصة وبعثت إلى الناس عامة "[٢] .**

لقد فضل الله رسوله محمداً ﷺ على سائر الرسل ، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، وعلى المسلمين أن ينهضوا لأداء دورهم ، وتحمـــل مســـئوليتهم فى قيــــادة الإنسانية والله يهدى إلى سواء السبيل .

٧) نزل القرآن الكريم : أهم ما تميز به محمد ﷺ هو نزول القرآن الكريم ليكون دستور الأمة إلى يوم القيامة ، وقد حفظه الله تعالى ، وبينته السنة النبوية ، وأودع فيه جوانب الإعجاز العديدة التى تمد المسلمين فى كل عصر ، ومصر بالجديد المعجز .... ويكفى ما فى القرآن الكريم من نظم ، وتوجيه ، وتربية ، وإرشاد ... تبدو جديـــدة مع الناس أجمعين يقـــول الله تعـــالى ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[٣]

---

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب باب خاتم النبيين جـــ٦ صـــ٢٢ ، ٢٣

(٢)صحيح البخارى كتاب التيمم جـــ١ صـــ٢٣٢

(٣) سورة العنكبوت الآية ٥١

- المبحث الخامس -

الإيمان باليوم الآخر

قضى الله سبحانه وتعالى بإيجاد حياتين للمكلفين تعرف الحياة الأولى بالحياة الدنيا ، وتعرف الثانية بالحياة الأخرى ، وإنما سميت بالأخرى لأنها تعقب الأولى مباشرة بعد فنائها .

والإيمان باليوم الآخر يعنى الإيمان بكل ما ورد فيها من أخبار صحيحة .

ويرى بعض العلماء أن اليوم الآخر يبدأ بالنسبة للأفراد من لحظة موتهم .

إذ لكل نفس أجلها ، يقول الله تعالى ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[١] .

فإذا مات إنسان وقبر فى رمسه فإن أول شئ يقابله سؤال الملكين بعد أن يرد الله روحه ، وسمعه ، وبصره ، ثم يسأله الملكان عن ربه ، ودينه ، ونبيه ، لينال جزاءه حسب إجابته .

يستدل هؤلاء على أن الموت بداية الآخرة لقوله ﷺ " **القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه** [٢] .

ويروى فريق آخر من العلماء — وهو الأرجح — بأن اليوم الآخر يبدأ من البعث ، وهو إحياء الموتى فى قبورهم بعد النفخ الثانية التى يقول الله عنها ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾[٣] .

وبعد البعث يكون النشر ، وهو الخروج من القبر ، والانتشار فى الأرض

---

(١) سورة يونس الآية ٤٩

(٢) سنن الترمذى كتاب الزهد ، جـ٤ صـ٥٥٣ وهو حديث حسن غريب .

(٣) سورة الزمر الآية ٦٨

للتجمع فى المحشر .

واليوم الآخر ثابت بالأدلة العقلية والنقلية يقول الله تعالى ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[١] .

ويقول سبحانه وتعالى ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[٢] .

ويقول سبحانه وتعالى ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾[٣] .

والإيمان باليوم الآخر واجب ، لأنه ركن من أركان الإسلام ، وقد اهتم القرآن الكريم بالدعوة إلى هذا الإيمان ، **فقرنه بالإيمان بالله تعالى** ، يقول الله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾[٤] ، **ووصف ما يقع فيه ، وأكد وقوعه** يقول الله تعالى ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾[٥] وربط الاستقامة بالإيمان به ، والإيمان الصادق باليوم الآخر ينعكس على المؤمن به ، استقامة ، وصلاحاً ، انتظاراً لثواب الله وجزائه العادل .

هذا ،

والبحث فى اليوم الآخر يقتضى دراسة أهم قضاياه هى :

---

(١)سورة الجاثية الآية ٢١

(٢)سورة القلم الآيتان ٣٥ ، ٣٦

(٣)سورة المؤمنون الآيتان ١١٥ ، ١١٦

(٤) سورة البقرة الآية ٢٣٢

(٥) سورة الحج الآية ٧

ـ أولاً ـ
أسماء اليوم الآخر

تعددت أسماء اليوم الآخر ، وحفل القرآن الكريم والسنة النبوية بهذه الأسماء الكثيرة تعظيماً لهذا اليوم ، وإشارة إلى الأهوال التى تقع فيه لأن لكل اسم معنى ودلالة على بعض ما يقع فى هذا اليوم ... وأهم هذه الأسماء هى :-

١) **القيامة** : ويدل على قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾[١] والقيامة بمعنى القيام ، والتاء فيه للمبالغة ... وسمى اليوم بذلك لقيام الناس فيه من موقمم للحساب [٢] .

يقول ابن كثير : وقوله : الله لا إله إلا هو إخبار بتوحيده وتفرده بالإلهية لجميع المخلوقات ، وتضمن قسماً لقوله تعالى ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ وهذه اللام موطئة للقسم ، فقوله ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ خبر وقسم إنه سيجمع الأولين والآخرين فى صعيد واحد ، فيجازى كل عامل بعمله وقوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ أى لا أحد أصدق منه فى حديثه وخبره ووعده ، ووعيده فلا إله إلا هو ولا رب سواه .

٢) **الساعة** : ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴾[٣] .

والساعة جزء الزمن ، والمراد بالساعة فى الآية الوقت الذى تقوم فيه القيامة يقول الله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴾[٤] .

---

(١) سورة النساء الآية ٨٧

(٢) روح المعانى جـ٥ صـ١٠٥

(٣) سورة الروم الآية ٥٥

(٤) سورة الحج الآية ١

يقول تعالى ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾[1]

قال ابن جرير : إن الساعة التى يبعث الله فيها الخلائق من قبورهم لموقف القيامة جائية ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ بمعنى أكاد أخفيها من نفسى لئلا يطلع عليها أحد.

وعن أبى هريرة ﷺ يبلغ به النبى ﷺ قال : **تقوم الساعة ، والرجل يحلب اللقّحة فما يصل الإناء إلى فيه حتى تقوم ، والرجلان يتبايعان الثوب ، فما يتبابعانه حتى تقوم ، والرجل يَلِطُ فى حوضه فما يصدر حتى تقوم** [2] .

وعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : "... **ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لِقْحته ، فلا يطعمه ، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى منه ، ولتقومن الساعة وقد رفع أحدكم أكلته إلى فيه فلا يطعمها** [3] .

فى هذين الحديثين بيان لحصول الساعة بغتة وسرعتها ، وعظم أمرها على الناس فتتوقف أمور الدنيا ويعرض الناس عن ذلك فى استقبال أمر عظيم ، وخطب جسيم ، وهول فادح فيبطل البيع ، ويترك الطعام ، والشراب ،، ويترك إصلاح الأمور الدنيوية المهمة يرغب عن ذلك دون إرادة ، ولكن لانتهاء العاجلة ، وقدوم الآخرة وتوقف الأعمال ، واستقبال الحساب ، وهذا سنة الله تعالى .

قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾[4] .

---

(١) سورة طه الآية ١٥

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الفتن ، باب قرب الساعة جـ١٨ صـ٩١

(٣) صحيح البخارى كتاب الرقاق باب اقتراب الساعة جـ١٠ صـ١٦٦

(٤) سورة الحج الآية ١

وعن أبي هريرة ﷺ يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **تتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العواف – يريد عواف السباع والطير – وآخر من يحشر راعيان من مزينة يردان المدينة ، ينعقان بغنمهما ، فيجدانها وحشاً ، حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجوههما** [١] .

٣) الصاخة : ويدل عليه قوله تعالى ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾[٢] .

والمراد بالصاخة الصيحة التي تصم الأذان من شدة وقعها ومن هولها ذلك اليوم تكون الدواب صاخة في يوم الجمعة شفقة ، وهلعاً ، فعن أبي هريرة ﷺ أنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **ما على الأرض من دابة إلا وهي تصبح يوم الجمعة مصيخة حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة إلا ابن آدم** [٣] .

٤) الطامة : ويدل عليه قوله تعالى ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾[٤] .

والطامة هي الداهية التي تغلب ما سواها ، وتغطي كل شئ ، والطامة ، الكبرى هي يوم القيامة .

٥) الراجفة : ويدل عليه قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴾[٥]

والرجفة الاضطراب الشديد ، والزلزلة التي لا نظير لها .

ذهب الفراء إلى أن الراجفة هي النفخة الأولى ، والرادفة هي النفخة الثانية التي يحي الله الخلائق بها [٦] .

---

(١) صحيح البخارى كتاب فضائل المدينة باب من رغب عن المدينة جـ ٣ صـ٢٧٥ .

(٢) سورة عبس الآيات من ٣٣ إلى ٣٧

(٣) سنن النسائى ذكر الساعة التي يستجاب فيها الدعاء جـ٩٣

(٤) سورة النازعات الآية ٣٤

(٥) سورة النازعات الآيتان ٦ ، ٧

(٦) لسان العرب مادة (رجف) جـ٩ صـ١١٣

وجاء فى الحديث عن الطفيل بن أبى بن كعب عن أبيه قال : **كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال : يا أيها الناس اذكروا الله ، اذكروا الله ، جاءت الراجفة ، تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه ، جاء الموت بما فيه .**

قال أَبى : قلت يا رسول الله إنى أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتى ؟

فقال ﷺ : ما شئت .

قلت : الربع ؟

قال ﷺ : ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك .

قلت : النصف ؟

قال ﷺ : ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك .

قلت : فالثلثين ؟

قال ﷺ : ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك .

قلت : أجعل لك صلاتى كل ؟

قال ﷺ : إذا تكفى همك ، ويغفر لك ذنبك [١] .

٦) **الواقعة** : ويدل عليه قوله تعالى ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾[٢] .

يقول الإمام الشوكانى ، والواقعة هى النفخة الثانية [٣] .

٧) **الحاقة** : ويدل عليه قوله تعالى ﴿ ٱلْحَاقَّةُ ۝ مَا ٱلْحَاقَّةُ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَاقَّةُ ﴾[٤] .

ومعنى الحاقة أى إدعاء كل خصم أن الحق له ، وسميت القيامة بهذا الإسم

---

(١) سنن الترمذى كتاب صفة القيامة ، باب ٢٣ جـ٤ صـ٦٣٦ ، ٦٣٧وقال حديث حسن صحيح .

(٢) سورة الواقعة الآية ١

(٣) فتح القدير جـ٥ صـ١٤٧

(٤) سورة الحاقة الآيات من ١ إلى ٣

بظهور الحق فى كل الأمور .

٨) **القارعة** : ويدل على قوله تعالى ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾[١] .

والقارعة هى النازلة الشديدة ، والمصيبة الكبيرة التى يصير الجبال فيها كالعهن المنفوش ، والناس كالفراش المبثوث ، وعندها يكون الميزان ، والحساب .

٩) **الغاشية** : ويدل عليه قوله تعالى ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴾[٢] .

وهى الداهية التى تغطى الناس بهولها ، وشدتها ، وعذابها .

يقول ابن حجر : الغاشية اسم ليوم القيامة [٣] .

١٠) **اليوم الآخر** : ويدل عليه قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[٤] .

ويراد به الوقت الدائم الذى يبدأ بالنفخ ويستمر حتى يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، وسمى بالآخر ، لأنه آخر الأوقات .

ومن أسماء اليوم الآخر : يوم الدين ، ويوم الفصل ، ويوم الحساب ، واليوم الموعود ، ويوم الجمع ، ويوم التغابن ، ويوم التناد ، ويوم التلاق ، ويوم الآزفة ، ويوم الحسرة .

---

(١) سورة القارعة الآيات من ١ إلى ٣

(٢) سورة الغاشية الآية ١

(٣) فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ٨ صـ٧٠٠

(٤) سورة التوبة الآية ١٨

- ثانيا -
الحكمة من تعدد أسماء اليوم الآخر

تكرر ذكر يوم القيامة فى مواضع متعددة فى كتاب الله الكريم ، وبأسماء متنوعة ، وكل اسم له دلالته البالغة ، فى بيان الحال التى سمى من أجلها ، وهذا من اكتمال الدين وعدل رب العالمين ، ومن تبصير عباده فى هذه الحياة الدنيا ، وحضهم على عبادته ، والالتزام بأمره ، واجتناب نهيه ، وتعريفهم بما هم آيلون إليه وما سيكون من مشاهد ، وأحوال ، تذهل فيها المراضع ، ويشيب فيها الوليد ، وتضع الحوامل حملها ، وتحصل الحسرة والندامة ، ويعض الظالم على يديه ، ويفر المرء من أخيه ، وأمه ، وأبيه وصاحبته ، وبنيه ، يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئاً ، ولا هم ينصرون ، يوم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون .

ولقد تكرر ذكر هذا اليوم لأمور :

١) أن الله تعالى هو الرب الخالق لهذا الكون ومن فيه ، المتصرف فى ذلك حيث شاء ومتى شاء ، وأنه إليه المرجع ، والمآب فى يوم من الأيام للمجازاة على ما كان فى الدنيا .

٢) توكيد تحقق وقوع ذلك اليوم للفصل بين العباد .

٣) تحذير العباد من سوء ذلك اليوم للاستعداد له بالأعمال الصالحة .

٤) بيان مشاهد ذلك اليوم وما سيكون فيه من أهوال .

ومعلوم أن الشئ إذا عظم خطره كثرت أسماؤه ، كما روى عن الإمام على ﷺ: كثرة الأسماء تدل على عظم المسمى .

ومعلوم أن ذلك ليس من المترادفات فإن لكل اسم دلالة على معنى خاص به ، فالواقعة : لصدق وقوعها ، والحاقة لتحقق وقوعها ، والطامة لأنها تطم ، وتعم بأحوالها ، والآزفة من قرب وقوعها ﴿ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴾[1] مثل ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ

---

(١) سورة النجم الآية ٥٧

ٱلْقَمَرُ ﴾[1] ... وهكذا .

وقال القرطبى : كل ما عظم شأنه تعددت صفاته ، وكثرت أسماؤه ، وهذا فى جميع كلام العرب ألا ترى أن السيف لما عظم عندهم موضعه ، وتأكد نفعه لديهم جمعوا له خمسمائة اسم .

ولذلك فالقيامة لما عظم أمرها ، وكثرت أهوالها ، سماها الله تعالى فى كتابة بأسماء عديدة ، ووصفها بأوصاف كثيرة .

ومما هو معلوم أن التكرار قد يكـــون بتكرار الاســـم فى آية واحدة كقوله تعالى ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ .

وقد يكون بتكرار الاسم الواحد فى آيات ، وسور كثيرة كتكرار يوم القيامة .

وقد يكون بتكرار مسميات كثيرة تدور حول يوم القيامة لأداء الغرض المقصود وهو ما أشرت إليه .

قال الزركشى : وقد يترل الشئ مرتين تعظيماً لشأنه وتذكيراً به عند حدوث سببه خوف نسيانه .

---

(١) سورة القمر الآية ١

- ثالثاً -

علامات الساعة

أجمع العلماء على أن الساعة تسبق بعلامات تدل عليها ، وتلك حكمة من الله تعالى ينبه بها عباده ليأخذوا حذرهم يقول الله تعالى ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴾[1] .

لقد أخفى الله سبحانه وتعالى زمن قيام الساعة عن الخلق ، فلا أحد يعلم ذلك إلا الله تبارك وتعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾[2] .

وقال الله تعالى ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[3] .

ولكن الله عز وجل أبان لنا علاماتها ليستعد الناس ، ويحذروا هول ذلك اليوم ، وما بعده ، وهذه العلامات منها الصغرى ، ومنها الكبرى .

قال السفاريني : ثم اعلم أن أشراط الساعة ، وأماراتها ، تنقسم إلى ثلاثة أقسام .

قسم ظهر وانقضى ، وهى الأمارات البعيدة .

وقسم آخر ظهر و لم ينقض ، بل لا يزال فى زيادة وتنوع .

والقسم الثالث : وهى الأمارات الكبيرة التى تعقبها الساعة ، وتأتى

---

(١) سورة محمد الآية ١٨

(٢) سورة لقمان الآية ٣٤

(٣) سورة الأعراف الآية ١٨٧

متتابعة كنظام خرزات انقطع سلكها .

فالأولى التى ظهرت ومضت ، وانقضت (منها) بعثة النبى ﷺ ، وموته ، وفتح بين المقدس (ومنها) قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ ... إلخ .

والثانية : الأمارات المتوسطة وهى التى ظهرت ، ولم تنقض ، بل تتزايد وتكثر وهى كثيرة جداً .

والثالثة : العلامات العظام ، والأشراط الجسام التى تعقبها الساعة .

ونظراً لأن القسم الأول انقضى وانتهى و لم يعد باقياً إلا القسم الثانى ، والثالث ، وهما يعرفان **بالعلامات الصغرى** ، ويراد بها القسم الثانى ، **والعلامات الكبرى** ويراد به القسم الثالث .

وعلى هذا فالعلامات التى لم تنقض تنقسم إلى صغرى ، وكبرى .

أما الصغرى : فهى كثيرة ، وردت الأحاديث مبينة لها ، وقد وقع كثير منها ، وهى تظهر قبل الساعة بوقت طويل ، ومن المعلوم أن وقت الساعة قريب ، يقول الله تعالى ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1] ويقول الله تعالى ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾[2] ويقول تعالى ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾[3] ويقول تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾[4] وسوف اكتفى بإيراد أهمها لوضوح دلالتها على معناها – عن أنس بن مالك ﷺ قال قال رسول الله ﷺ " **إن أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ، ويفشوا الزنا ، ويشرب ، والخمر ، ويكثر**

---

(١) سورة النحل الآية ١

(٢) سورة القمر الآية ١

(٣) سورة الأنبياء الآية ١

(٤) سورة الشورى الآية ١٧

النساء ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد " [١]

- عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال " **لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم ، وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج (القتل) حتى يكون فيكم المال فيفيض** [٢] .

- عن أبي هريرة ﷺ أن صحابياً سأل رسول الله ﷺ عن الساعة ، فقـال النبي ﷺ **إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ، قال الرجل ، وكيف إضاعتها ؟ قال إذا اسند الأمر لغير أهله فانتظر الساعة** [٣] .

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : **منعـت العـراق درهمهـا وقفيزها ومنعت الشام مديها ودينارها ، ومنعت مصر إردبهـا ودينارهـا ، وعدتم من حيث بدأتم وعدتم من حيث بدأتم وعدتم من حيث بدأتم** [٤] .

عن أبي هريرة ﷺ عنه قال قال رسول الله ﷺ : **لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون ، حتى يختبئ واليهودى من وراء الحجر ، والشجر فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم ، يا عبد الله ، هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود** [٥] .

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : **لا تقوم الساعة حيث يبعـث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله** [٦] .

عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : **لا تقوم الساعة إلا على**

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب أشرطة الساعة جـ١٨ صـ٩٣

(٢) سنن الترمذى باب ما جاء فى الهرج جـ٤ صـ٤٨٩

(٣) صحيح البخارى كتاب العلم ، باب من سئل علما وهو مشتغل بحديث جـ١ صـ١٥

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة جـ١٨ صـ٢٠

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة جـ١٨ صـ٤٥

(٦) صحيح مسلم كتاب الفتن ، جـ١٨ صـ٤٦

شرار الناس [١].

يقول النبى ﷺ : **بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار إلى أصبعيه السبابة ، والوسطى ، وقرن بينهما** [٢] .

تلك أهم العلامات الصغرى للساعة ، وتتميز بأنها تأتى متفرقة بين الواحدة والأخرى زمن طويل ، ولذلك نجد أن بعضها قد وقع وبعضها لم يقع بعد .

هذا بالنسبة للعلامات الصغرى .

أما العلامات الكبرى للساعة :

فإنها تأتى متتابعة تظهر الواحدة تلو الأخرى يقول النبى ﷺ : **ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت فى إيمانها خيراً ، طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض "** [٣].

ولذلك قضى الله تعالى بأن هذه العلامات إذا ظهر واحد منها أغلق باب التوبة ، لأن هذه العلاقات إيذان بقرب قيام الساعة ، فأشبهت توبة من يتوب بعد ظهورها كتوبة من يأتيه الموت يقول الله تعالى ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾[٤] .

وتلك قضية عدل لأن الآيات الكبرى تظهر قبيل قيام الساعة مباشرة ، وحينذاك يكون الجزاء على ما قام به المكلف قبل أن يأتيه أجله ، وكان من العدل أن لا تنفع توبة إنسان لم يتب من قبل .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الفتن جـ١٨ صـ٨٨

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الفتن باب قرب الساعة جـ١٨ صـ٨٩

(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان ، باب الزمن الذى لا تقبل فيه التوبة جـ٤ صـ١٩٥

(٤) سورة الأنعام الآية ١٥٨

وأهم العلامات الكبرى للساعة ما يلى :

١) الدخان :

أول آيات الساعة الكبرى إتيان السماء بدخان يغشى الناس يقـــول الله تعالى ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[١]

يقول على بن أبى طالب : آية الدخان لم تمض بعد ، يأخذ المـــؤمن كهيئـــة الزكام ، وينفخ الكافر حتى ينفد ، ويؤيد كون آية الدخان لم تمض ما أخرجه مسلم من حديث أبى سريحة حذيفة بن أسيد قال : **كان النبى ﷺ فى غرفة ، ونحن أسفل منه فاطلع إلينا فقال ما تذكرون ؟**

قلنا : الساعة .

قال ﷺ : إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات خسف بالمشـــرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف فى جزيرة العرب ، والدخان ، والدجال ، ودابـــة الأرض ، ويأجوج مأجوج ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونار تخرج من قعـــرة عدن ترحل الناس ، والعاشرة نزول عيسى بن مريم ﷺ [٢].

٢) طلوع الشمس من المغرب :

وهى من أول الآيات الكبرى الدالة على نهاية الحياة الدنيا ، وقرب قيام الساعة يروى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال " **لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون ، وذلك حين لا ينفع نفســـاً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسب فى إيمانها خيراً** "[٣] .

وهذه الآية تحدث يوماً واحداً فتطلع الشمس من المغرب ، وتغرب فى المشرق ثم تعود لحالتها الطبيعية .

---

(١) سورة الدخان الآيتان ١٠ ، ١١

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب أشراط الساعة جـ١٨ صـ٢٨ ، ٢٩

(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب جـ٢ صـ١٩٤

٣) خروج الدابة :

تخرج هذه الدابة فى آخر الزمان من مكة ، أو من غيرها يتطاير خبرها بين العالم بما تظهره من عجائب العلم ، وخوارق العادات لأنها تخاطب الناس ، وتخبرهم بأحوالهم النفسية ، وتبين لهم حقيقة ما هم عليه من إيمان .

ويبدوا أن خروج الدابة يكون فى يوم طلوع الشمس من المغرب ، ولا توبة بعد خروج الدابة يقول ﷺ : **ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً وهى : طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض** (١).

يقول الله تعالى ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾(٢) .

٤) خروج المسيح الدجال :

والمسيح - بالحاء — رجل دجال يجوب الأرض كلها فى أربعين يوماً ، وسمى بالمسيح لأنه يمسح الأرض كلها ، ويقطعها فى هذه المدة القصيرة ، ولأنه ممسوح العين اليمنى ، وهو لا يسير فى الأرض صامتاً ، وإنما يحاول إضلال الناس ، وفتنتهم.

يقول أبو سعيد الخدرى أن رسول ﷺ حدثنا حديثاً طويلاً عن الدجال فكان فيما حدثنا قال : **يأتى الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقَاب المدينة (طرقها) فينتهى إلى بعض السباخ (الأرض الملحة) التى تلى المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل ، هو خير الناس ، أو من خير الناس، فيقول له : أشهد أنك الدجال الذى حدثنا عنه رسول الله ﷺ حديثه ، فيقول الدجال أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون فى الأمر ؟**

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الفتن جـ١٨ صـ٨٨

(٢) سورة النمل الآية ٨٢

فيقولون : لا ...

فيقتله ثم يحييه ، فيقول حين يحييه : والله ما كنت فيك قط أشد بصراً منى الآن فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه (١) .

وعن عبد الله بن عمر **أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال بين ظهـــرانى النـــاس فقال: إن الله تعالى ليس بأعور ألا وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية** "(٢) .

وعن أنس بن مالك قال **قال رسول الله ﷺ ما من نبى إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب ألا أنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه (ك ف ر)** (٣)**أى كافر .**

وعن حذيفة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : **الدجال أعور العين اليسرى جفـــال الشعر معه جنة ، ونار ، فناره جنه ، وجنته نار** "(٤) .

ويقول ﷺ : **وإن معه نهرين يجريان ، أحدهما رأى العين ماء أبيض ، والآخـــر رأى العين نار تأجج ، فما أدركن أحد فليأت النهر الذى يراه ناراً ، ولـــيغمض ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه ، فإنه ماء بارد ، وأن الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر ، يقرؤه كل مؤمن كاتب، وغير كاتب** (٥).

وهكذا الدجال رجل مفسد فى الأرض يسبح فى جنباتها بسرعة ويفتن الناس بما يظهر على يديه كإنزال المطر ، وإنبات الزرع ، وإخراج الكنوز حتى أن الأمر يصـــل به وبإتباعه إلى محاولة رمى السماء بالسهام قتالا لله ويستمرون على فتنتهم حتى يترل المسيح عليه السلام .

---

(١) صحيح مسلم باب ذكر الدجال جـــ٥ صـــ٧٩٢

(٢) صحيح مسلم كتاب الفتن باب ذكر الدجال جـــ١٨ صـــ٥٩

(٣) صحيح مسلم كتاب الفتن باب ذكر الدجال جـــ١٨ صـــ٥٩

(٤)صحيح مسلم كتاب الفتن باب ذكر الدجال جـــ١٨ صـــ٦١

(٥) صحيح مسلم كتاب الفتن باب ذكر الدجال جـــ١٨ صـــ٦١

٥) نزول المسيح عيسى عليه السلام :

دل القرآن الكريم ، ودلت السنة على أن سيدنا عيسى عليه السلام يتزل قرب الساعة ، ويقتل الدجال ويحكم بشريعة نبيناً محمد ﷺ ، ويمكث فى الأرض ما شاء الله أن يمكث ثم يموت ويصلى عليه المسلمون ، يقول الله تعالى ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾[1]

فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : **والذى نفسى بيده ليوشكن أن يترلن ابن مريم حكماً مقسطاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخترير ، ويضع الجزية ، ويقبض المال حتى لا يقبله ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا ، وما فيها ، ثم قال أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم**[2] ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾[3] ، ويقول سبحانه ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[4] والأيتان تتحدثان عن نزول عيسى عليه السلام علامة على الساعة فيؤمن به أهل الكتاب جميعاً .

وعن عروة بن مسعود الثقفى قال : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : **قال رسول الله ﷺ " يخرج الدجال فى أمتى فيمكث أربعين : لا أدرى أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً ، فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ، ثم يحكم الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة**[5].

ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبيل الشام ، فلا يبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير ، أو إيمان ، إلا قبضته ، حتى ولو أن أحدكم دخل فى كبد جبل لدخلت عليه ، حتى تقبضه ، فيبقى شرار الناس فى خفه الطير ، وأحلام

---

(١) سورة النساء الآية ١٥٩

(٢) مسند الإمام أحمد

(٣) سورة النساء الآية ١٥٩

(٤) سورة الزخرف الآية ٦١

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الفتن جـ١٨ صـ٨٠

السباع ، لا يعرفون معروفاً ، ولا ينكرون منكراً ، فيتمثل لهم الشيطان فيقـــول : ألا تستجيبون ؟ فيقولون فما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان ، وهم فى ذلـــك دار رزقهم حسن عيشهم ، ثم ينفخ فى الصور فيصعق الناس ، ثم ينزل الله مطراً كأنـــه الطل فتنبت منه أجساد الناس ، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ، ثم يقال يا أيها الناس هلم إلى ربكم ، وقفوهم إنهم مسؤلون ثم يقال أخرجوا بعث النـــار فيقال : من كم ؟ فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، قال : فذلك يـــوم يجعل الولدان شيباً ، وذلك يوم يكشف عن ساق [١] .

٦) يأجوج ومأجوج :

من علامات الساعة الكبرى خروج يأجوج ومأجوج ، وخروجهم ثابـــت بالكتاب والسنة ،يقول الله تعـــالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴾[٢] .

ويأجوج من نسل أدم عليه السلام يخرجون من مكانهم لنشر الفساد فى الأرض، يأتون الناس من كل مرتفع ، فيملأون الأرض كلها ، وقد وردت أحاديث كثيرة تتحدث عنهم .

فعن عبد الرحمن بن جبير بن نقير الحضرمى عن أبيه أنه سمع النواس بن سمعـــان الكلابى يقول : **ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة ، فخفض فيه ورفع حـــتى ظنناه فى طائفة النخل .**

فلما رجعنا إليه عرف ذلك فى وجوهنا ، فسألناه ، فقلنا يا رسول الله ذكـــرت الدجال الغداة ، فخفضت فيه ورفعت ، فقال غير الدجال أخْوَفُنى عليكم ، فإن يخرج وأنا فيكم ، فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ، ولست فيكم فكل امرئ حجيج نفسه ، والله خليفتى على كل مسلم ، وأنه شاب جَعْد قَطَطَ عينه عنبة طافية ، وإنه يخرج خَلَّةً بين الشام والعراق ، فعاث يميناً وشمالاً .

---

(١) صحيح مسلم كتاب علامة الساعة ، باب ذكر الدجال جـــ١٨ صـــ٧٥ ، ٧٧

(٢) سورة الأنبياء الآية ٩٦

يا عباد الله اثبتوا .

قلنا : يا رسول الله ما لبثه فى الأرض ؟

قال ﷺ : أربعون يوماً ، يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم .

قلنا : يا رسول الله : فذلك اليوم كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم ، وليلة ؟

قال : لا ، اقدروا له قدره .

قلنا : يا رسول الله فما إسرا عه فى الأرض ؟

قال كالغيث استدبرته الريح فيمر بالحى ، فيدعوهم ، فيستجيبون له ، فيأمر السماء فتمطر ، والأرض فتنبت ، وتروح عليهم سارحتهم ، وهى أطول ما كانت ذرى ، وأمده خواصر ، وأسبغه ضروعاً ، ويمر بالحى فيدعوهم ، فيردون عليه قوله ، فتتبعه أموالهم ، فيصبحون ممحلين ليس لهم من أموالهم شئ ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجى كنوزك فتتبعه الكنوز كيعاسيب النحل .

قال ﷺ : ويأمر برجل فيقتل فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ، ثم يدعوه فيقبل إليه .

فبينما هم على ذلك إذ بعث الله عز وجل المسيح عيسى بن مريم ، فينزل عند المغارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرتين ، واضعاً يديه على أجنحة ملكين فيتبعه فيدركه ، فيقتله عند باب لُدّ الشرقى .

فبينما هم كذلك إذا أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم عليه السلام أنى قد أخرجت عباداً من عبادى لا يدان لك بقتالهم ، فَحَوِّز عبادى إلى الطور فيبعث الله عز وجل يأجوج ، ومأجوج وهم كما قال الله تعالى ﴿ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾[1] .

فيرغب عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الله عز وجل فيرسل الله عليهم نغفاً فى رقابهم ، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة .

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٩٦

فيهبط عيسى وأصحابه فلا يجدون فى الأرض بيتاً إلا قد ملأ زهمهم ونتنهم فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل ، فيرسل الله عليهم طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله .

يقول جابر رواى الحديث : فحدثنى عطاء بن يزيد السَّكْسَكِىّ عن كعب أو غيره قال فتطرحهم بالمهيل : قال جابر : فقلت يا أبا يزيد : وأين المهيل ؟ قال مطلع الشمس .

قال : ويرسل الله مطراً لا يكن منه مدر ولا وبر أربعين يوماً ، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة ، ويقال للأرض أنبتى ثمرك ، ودرى بركتك : فيومئذ يأكل النفر من الرمانة فيستظلون بقحفها ، ويبارك فى الرسل حتى إن اللقحة من الأبل لتكفى الفئام من الناس ، واللقحة من البقر تكفى الفخذ والشاه من الغنم تكفى أهل البيت .

فبينما هم على ذلك إذ بعث الله عز وجل ريحاً طيبة ، فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مسلم — أو قال مؤمن — ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر وعليهم تقوم الساعة [١].

وخروج يأجوج ليس بعيداً ، يقول رسول الله ﷺ : **ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا ، وحلق بأصبعيه الإبهام والتى تليها .**

فقالت زينب بنت جحش رضى الله عنها : أنهلك وفينا الصالحون .

قال ﷺ : نعم إذا كثر الخبث [٢] .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الفتن ، باب ذكر الدجال جـ١٨ صـ٦٣ - ٧٠

(٢) صحيح البخارى ، كتاب الفتن باب قول النبى ﷺ ويل للعرب جـ١١ صـ١٠ ط الأوقاف .

مشتملات اليوم الآخر

يشتمل اليوم الآخر على أمور كثيرة المذكور منها ههنا عشرة ، وإليك بيانهـــا بإجمالى :

١) النفخ فى الصور :

يقول الله تعالى ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ۝ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾[1] .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، والشعبى ، وزيد بن أسلم ، والحسن ، وقتـــادة ، والضحاك ، والربيع بن أنس والسدى ، وابن زيد ﴿ **الناقور** ﴾ هو الصور وهو القرن الذى ينفخ فيه .... عند بعث الموتى إلى المحشر ، القرن هو البوق يتخذ من القـــرون ينفخ فيه النفخة الأولى للفناء ، والثانية للإنشاء .

والصور ثابت فى القرآن الكريم ، والسنة المطهرة .

قال الله تعالى ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾[2] وهنا يبين الله تعالى أن النفخة الأولى تؤدى إلى الصعق ثم الموت ، وتؤدى النفخة الثانية إلى القيام .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن أعرابياً أتى النبى ﷺ فسأله عن الصور قال : " **قرن ينفخ فيه** ".

والمشهور عند العلماء أن النافخ فى الصور هو إسرافيل عليه السلام

٢) البعث :

وهو إحياء الله الموتى فى قبورهم ليلقى كل منهم جزاءه الذى قدر له من نعيم أو عذاب ويقع ذلك بعد النفخة الثانية قال تعالى ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾[3] .

---

(١) سورة المدثر الآيتان ٨ ، ٩

(٢) سورة الزمر الآية ٦٨

(٣) سورة المؤمنون الآيتان ١٥ ، ١٦

وقال تعـالى ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾(١) .

وعن كعب بن مالك أن النبى ﷺ قال " **إنما نسمة المؤمن طير يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه** " .

وقد رد القرآن الكريم على منكرى البعث بإيجاز ، ودقة .

فعرفهم بأن من خلق أولاً قادر على الإعادة فقال تعالى ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾(٢) ويقول سبحانه وتعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٣) .

وعرفهم بأن من يحي الأرض بعد موتها قادر على إعادة خلق الإنسان يقول الله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(٤) ويقوله سبحانه ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَـٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾(٥)

---

(١) سورة المجادلة الآية ٦

(٢) سورة مريم الآيتان ٦٦ ، ٦٧

(٣) سورة العنكبوت الآيتان ١٩ ، ٢٠

(٤) سورة الأعراف الآية ٥٧

(٥) سورة فاطر الآية ٩

وعرفهم بكمال قدرته فى الخلق والإيجاد فلقد قالـــوا ما حكـــاه الله تعالى ﴿ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾[1] فرد عليهم بقوله تعالى ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَـٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَـٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَـٰهُ حُطَـٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَـٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾[2]

ووضح لهم سبحانه عظيم قدرته فى الأشياء كلها ليتيقنوا من البعث فقال تعالى ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[3] .

٣) الحشر :

وهو سوق الناس إلى مكان الحساب الذى يجتمع فيه الخلائق ، وفيه يحاسبون ،

---

(١) سورة الواقعة الآيتان ٤٧ ، ٤٨

(٢) سورة الواقعة الآيات من ٥٧ إلى ٧٣

(٣) سورة النساء الآية ٨٧

وتوزن أعمالهم ، ويعرف كل مصيره ، ويسمى هذا المكان بأرض المحشر .

قال تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[١] .

وقال تعالى ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾[٢]

وعن ابن عباس ﷺ قال : قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال : " **يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله تعالى حفاة ، عراة، غرلاً ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾[٣] ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام وإنه سيجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال .**

فأقول : يا رب أصحابي .

فيقول الله تعالى : إنك لا تدرى ما أحدثوه بعدك .

فأقول كما قال العبد الصالح ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٤]

فيقال لى : إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم .

فأقول : سحقاً سحقاً[٥] .

وعن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ **قال : يحشرون الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنف مشاة ، وصنف ركبان ، وصنف على وجوههم ، قيل : يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم ؟**

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٠٣

(٢) سورة الكهف الآية ٤٧

(٣) سورة الأنبياء الآية ١٠٤

(٤) سورة المائدة الآية ١١٧

(٥) صحيح مسلم باب بيان الحشر يوم القيامة جـ ١٧ صـ ١٩٤

قال : إن الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب ، وشوك [١].

وعن أبى هريرة ﷺ قال : أتى رسول الله ﷺ بحلم فرفع إليه الذراع فأكله ، وكانت تعجبه فنهس منها نهسة ثم قال : أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون مم ذلك ؟ يجمع الله الناس الأولين ، والآخرين فى صعيد واحد ، يسمعهم الداعى ، وينفذهم البصر ، وتدنو الشمس ، منهم فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون [٢].

وعن بن مسعود ﷺ أن النبى ﷺ قال : **يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ، ينتظرون فصل القضاء ، وينزل الله فى ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسى ، إنهم لا يستطيعون فى الأرض هرباً ، ولا يجدون من القول جدلاً ، استسلموا لما فى الدنيا قد وعدوا وما فى ساعتهم قد وجدوا**[٣] ﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ ﴾[٤] .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : أى لا تستطيعون هرباً من أمر الله ، وقدره بل هو محيط بكم ، لا تقدرون على التخلص من حكمه ، ولا النفوذ عن حكمه فيكم أينما ذهبتم أحيط بكم ، وهذا فى مقام الحشر ، الملائكة محدقة بالخلائق سبع صفوف ، من كل جانب ، فلا يقدر أحد على الذهاب ﴿ **إلا بسلطان** ﴾ أى بأمر الله ﴿ يَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴾[٥]

---

(١) سنن الترمذى كتاب تفسير القرآن .

(٢) صحيح البخارى كتاب التفسير باب سورة بنى إسرائيل .

(٣) معارج الوصول بشرح سلم الوصول جـ١ صـ٢٦٥

(٤) سورة الرحمن الآية ٣٣

(٥) سورة القيامة الآيات من ١٠ إلى ١٢

وعن المقداد بن الأسود قال : **سمعت رسول الله ﷺ يقول : تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل قال سليم : فوالله ما أدرى ما يعنى بالميل ؟ أمسافة الأرض أم الميل الذى تكتحل به العين فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق ، فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً .**

قال وقد أشار رسول الله ﷺ إلى فيه (١) .

وليس المراد أن أهل الحشر يقعون جميعاً فى العرق ، ويلجمهم ذلك ، بل كل على قدر عمله فى الدنيا .

وهناك من لم يقع له شئ ، و لم يتأثر بشئ من حرارة الشمس ، لحفظ الله تعالى له بسبب منهجه الحسن فى دنياه .

عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال : **سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إنى أخاف الله رب العالمين ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه** (٢) .

فهؤلاء أصناف سبعة من الناس يقيهم الله ذلك شر ذلك اليوم العظيم وأهواله إلا من تعامل مع الله ، وتاجر معه بالأعمال الصالحة ، والقربات الصادقة فأمنه سبحانه وتعالى فى ذلك الموقف ، فالمؤمنون يخفف الله عليهم ذلك الموقف ويحاسبون حساباً يسيراً .

٤) الحساب : وهو توقيف الله سبحانه وتعالى عباده قبل الإنصراف من المحشر على أعمالهم أقوالاً ، وأفعالاً ، واعتقادات خيراً أوشراً تفصيلاً بعد أخذهم كتبهم

---

(١) رواه مسلم فى صحيحة كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها جـ١٨ صـ٨٩

(٢) صحيح البخارى كتاب الصلاة ، باب من جلس فى المسجد ينتظر الصلاة جـ٢ صـ٣١

ووزن أعمالهم إلا من استثنى منهم[١] ، وكيفية الحساب أمر غيبى لم يرد ما يدل عليه والناس فيه متفاوتون (فمنهم) من يحاسب حساباً يسيراً بأن يعرض عمله عليه فيطلعه الله على سيئاته سر ، بحيث لا يطلع عليها أحد ، ثم يعفو عنه ، ويأمر به إلى الجنة (ومنهم) من يناقش الحساب ، بأن يسأل عن كل جزئية ، ويطالب بالعذر ، والحجة ، فلا يجد عذراً ، ولا حجة فيهلك مع الهالكين ، ويفتضح بين الخلائق .

قال تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۞ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۞ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۞ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾[٢] .

وقال تعالى ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾[٣] .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : **من نوقش الحساب عذب " فقلت أليس يقول الله تعالى** ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۞ ﴾ ؟

فقال : إنما ذلك العرض ، وليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك [٤] .

وعن أبى برزة الأسلمى ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : **لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه ؟ وعن علمه فيم فعل ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟ وعن جسمه فيما أبلاه ؟** [٥] .

هذا واعلم أنه سيشهد على العاصى يوم القيامة أحد عشر شاهداً : اللسان

---

(١) لوامع الأنوار الإلهية جـ٢ صـ١٧١

(٢) سورة الإنشقاق الآيات من ٧ إلى ١٢

(٣) سورة الغاشية الآيتان ٢٥ ، ٢٦

(٤) سنن الترمذى ، باب ما جاء فى العرض جـ٤ صـ٦١٨

(٥) سنن الترمذى كتاب صفة الصلاة ، باب فى القيامة جـ٤ صـ٦١٢ وقال حديث صحيح

والأيدى ، والأرجل ، والسمع ، والبصر ، والجلد ، والأرض ، والليل ، والنهار ، والحفظة الكرام ، والمال ، فضلاً عن الشهداء من الناس ، والملائكة ، والنبى ﷺ .

قال تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[1] .

وقال تعالى ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾[2] .

وعن أبى هريرة ﷺ قال قرأ رسول الله ﷺ ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾[3] فقال : أتدرى ما أخبارها ؟ فقلت : الله ورسوله أعلم قال : فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمه بما عمل على ظهرها ، و تقول : عمل كذا ، وكذا يوم كذا ، وكذا قال : فهذه أخبارها "[4] .

وعن أنس ﷺ **كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال : هل تدرون مم أضحك؟**

قلنا : الله ورسوله أعلم .

قال ﷺ : من مخاطبة العبد ربه فيقول : يارب ألم تجرنى من الظلم ؟

يقول الله تعالى: بلى ، فيقول: إنى لا أجير اليوم على نفسى شاهداً إلا منى .

فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ، والكرام الكاتبون شهود فيختم على فيه ، ويقول لأركانه : انطقى فتنطق بأعماله ، ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول : بعداً لكن ، وسحقاً ، فعنكن كنت أناضل "[5] .

وعن أبى سعيد الخدرى ﷺ أن النبى ﷺ قال : **إن هذا المال خضـــرة حلوة ،**

---

(١) سورة فصلت الآية ٢٠

(٢) سورة ق الآية ٢١

(٣) سورة الزلزلة الآية ٤

(٤) سنن الترمذى ، كتاب التفسير جـ٥ صـ٤٨ وهو حديث حسن صحيح

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الزهد ، والرقائق جـ١٨ صـ١٠٥

ونعم هو لمن أعطى منه المسكين ، واليتيم ، وابن السبيل ، وإنه من يأخذه بغير حقه كان كالذى يأكل ولا يشبع ، ويكون شهيداً عليه يوم القيامة [١] .

ويبدأ الحساب بإضاءة الأرض عند مجئ الرب سبحانه وتعالى ، والشهداء ، وحضور النبيين يقول الله تعالى ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾[٢] .

ويتم الحساب بعدل دقيق ، يقول الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[٣] .

وتعرض كافة الأعمال جلها ودقيقها ، وظاهرها ، وخفيها يقول الله تعالى ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[٤] .

وفى وقت الحساب لا يستطيع الإنسان الجدل ، والمراء ، يقول الله تعالى ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾[٥] .

ولا يتكلم أحد إلا بإذن الله يقول الله تعالى ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴾[٦] .

---

(١) مسند أحمد باب مسند المكثرين .

(٢) سورة الزمر الآيتان ٦٩ ، ٧٠

(٣) سورة النساء الآية ٤٠

(٤) سورة آل عمران الآية ٣٠

(٥) سورة الإسراء الآيتان ١٣ ، ١٤

(٦) سورة هود الآية ١٠٥

وأول من يحاسب من الأمم أمة محمد ﷺ لأفضليتها فى الدنيا ، وبعدهم يحاسب الخلق أجمعون .

٥) صحائف الأعمال :

وهى الكتب التى كتبت فيها الملائكة ما فعله العباد فى الدنيا من اعتقادات ، وأقوال ، وأفعال ، وهى ثابتة بالكتاب ، والسنة ، والإجماع فمنكرها كافر ، وقد سبقت الأدلة العديد على ذلك فى الحساب ، وغيره .

وهذه الصحف لا يأخذها الأنبياء ، والملائكة ، ومن يدخلون الجنة بغير حساب ، لأنهم لا يحاسبون .

٦) الميـــــزان :

وهو ذو كفتين ولسان على كيفية لا يعلمها إلا الله تعالى توزن فيه أعمال ، العباد بقدرة الله تعالى دفعة ، واحدة ، والصنج مثاقيل الذر والخردل ، تحقيقاً لإظهار تمام العدل ، والميزان ليس واحداً ، بل هو عدد كثير على الأرجح ، يقـــول الله تعالى ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾[١] ، ويذهب ابن كثير إلى أنه ميزان واحد ، ووروده بصيغة الجمع لتعدد الأعمال التى توزن .

وقال تعالى ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾[٢]

وعن الحسن عن عائشة رضى الله عنها **أنها ذكرت النار فبكت فقال رسول الله ﷺ : ما يبكيك ؟**

قالت : ذكرت النار فبكيت ، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة ؟

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٤٧

(٢) سورة القارعة الآيات من ٦ إلى ١١

فقال رسول الله ﷺ : أما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر أحدٌ أحدا ، عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل ؟ وعند الكتاب حين يقال : هاؤم اقرءوا كتابيه " وحتى يعلم أين يقع كتابه فى يمينه ، أم فى شماله ، أم من وراء ظهره ؟ وعند الصراط إذا وضع بين ظهرى جنهم حتى يجوز (١) .

وعن ابن عمرو بن العاص ﷺ أن النبى ﷺ قال : إن الله عز وجل يستخلص رجلاً من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلاً ، محل كل سجل مد البصر فيقول : أتنكر من هذا شيئاً ؟

فيقول : لا يارب .

فيقول : أظلمك كتبتى الحافظون ؟

فيقول : لا يارب .

فيقول : أفلك عذر أو حسنة ؟

فيقول : لا يارب .

فيقول الله عز وجل : بلى إن لك عندنا حسنة ، وإنه لا ظلم عليك اليوم ، فيخرج بطاقة له فيها : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمد رسول الله .

فيقول الله له : احضر وزنك .

فيقول : ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟

فيقول الله : إنك لن تظلم فتوضع السجلات فى كفة ، والبطاقة فى كفة ، فطاشت السجلات ، وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله تعالى شئ (٢).

وعن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال : كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن ، سبحان الله، وبحمده ، سبحان الله العظيم (٣).

---

(١) سنن أبى داود

(٢) سنن الترمذى ، كتاب الإيمان .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب الدعوات .

ومما تقدم نعلم أنه يوزن عمل كل من يحاسب حتى من لا حسنة له : ليزداد خوفاً على رؤوس الأشهاد ، وبالوزن يظهر العدل فى العذاب ، والعفو عن الآثام كما يظهر الفضل عند النعيم ، والفوز .

٧) الصراط :

وهو جسر ممدود على ظهر جهنم ، يمر عليه الأولون والآخرون ، كل بحسب عمله ، فمنهم من يمر كلمح البصر ، ومنهم من يمر كالبرق ، ومنهم من يمر كالريح العاصف ، وناس كالجواد ، وناس هرولة ، وناس حبواً ، وناس زحفاً ، وناس يتساقطون فى النار ، وعلى جوانبه كلاليب ، لا يعلم عددها إلا الله ، تخطف بعض الخلائق (**والكلاليب مثل الخطاطيف**) .

قال تعالى ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾[١] .

وعن ابن مسعود : **الصراط على جهنم مثل حد السيف ، فتمر الطبقة الأولى كالبرق ، والثانية كالريح ، والثالثة كأجود الخيل ، والرابعة كأجود البهائم ، ثم يمرون ، والملائكة ، يقولون اللهم سلم سلم** [٢].

وعن أبى سعيد الخدرى **أنه قيل لرسول الله ﷺ ما الجسر ؟**

قال ﷺ : **دحض مزلة فيه خطاطيف ، وكلاليب ، وحسك ، تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان ، فيمر المؤمنون كطرف العين ، وكالبرق ، وكالريح ، وكالطير ، وكأجاويد الخيل ، فناج مسلم ، ومخدوش مرسل ، ومكدوس فى نار جهنم ، حتى إذا خلص المؤمنون من النار ، فوالذى نفسى بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله فى استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة**

---

(١) سورة مريم الآية ٧١

(٢) مسند أحمد

لإخوانهم الذين فى النار ، يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ، ويصلون ، ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم ، فتحرم صورهم على النار ، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه ، وإلى ركبتيه .

ثم يقولون : ربنا ، ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا به .

فيقول : ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً .

ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا .

ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة نصف دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً .

ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً ، ثم يقول : ارجعوا ، فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيراً [(١)] .

قال أبو سعيد : **بلغنى أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف .**

٨) الحوض :

يجب الإيمان بأن لكل رسول حوضاً يرده الطائعون من أمته لقوله ﷺ **إن لكل نبى حوضاً وإنهم يتباهون بهم ، أكثرهم واردة ، وإنى أرجو أن أكون أكثرهم واردة** [(٢)]

وحوض النبى ﷺ : أكبرها ، وأعظمها ، طوله مسيره شهر ، مربع الشكل له ميزابان يصبان فيه من الكوثر ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، كيزانه أكثر من نجوم السماء ، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً ، ولو دخل النار من شرب منه يعذب بغير العطش ، يرده الأخيار ، وهم المؤمنون بالنبى ﷺ الآخذون بسنته ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، ويطرد عنه الكفار ، والمبتدعة فى العقيدة ،

---

(١) صحيح البخارى كتاب التوحيد

(٢) سنن الترمذى كتاب صفة القيامة جـ٤ صـ٦٢٨

وكل من تعامل بالربا ، أو جار فى الأحكام ، أو أعان ظالماً ، أو جاوز حداً من حدود الله ، وهو ثابت بأحاديث مشهورة تفيد التواتر المعنوى ، منها حديث ابن عمرو أن النبى ﷺ قال : **حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء ، وماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء ، من يشرب منه فلا يظمأ أبداً** [١].

وحديث ثوبان أن النبى ﷺ قال : **إنى ليعقر حوضى ، أذود الناس عنه لأهل اليمن ، أضرب بعصاى حتى يرفض عليهم ، فسئل عن عرضه فقال : من مقامى إلى عمان ، وسئل عن شرابه فقال : أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل يفت فيه ميزانان يمدانه من الجنة ، أحدهما من ذهب والآخر من ورق** [٢] .

وعن أنس ﷺ قال : **بينا رسول الله ﷺ فى المسجد إذ أغفى إغفاءه ثم رفع رأسه ضاحكاً فقيل : ما أضحكك يا رسول الله ؟**

قال ﷺ : **نزلت على سورة آنفاً فقرأ** ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾[٣] **فقال : أتدرون ما الكوثر ؟**

قلنا : الله ورسوله أعلم .

قال ﷺ : إنه نهر ، وعدنية ربى عز وجل ، عليه خير كثير ، وهو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة ، آنيته بعدد نجوم السماء ، فيختلج العبد منهم فأقول : ربى أنه من أمتى فيقول : ما تدرى ما أحدث بعدك [٤].

٩) الشفاعة :

وهى لغة الوسيلة والطلب ، وعرفاً سؤال الخير للغير ، وهى تكون من الأنبياء

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب الرقائق .

(٢) أخرجه أحمد ، ومسلم ، والبغوى ، وفيه حتى يرفضوا عنه (أى ينصرفوا)

(٣) سورة الكوثر الآية ١

(٤) سبق تخريجه

والعلماء العاملين ، والشهداء ، والصالحين .

فعن عثمان بن عفان ﷺ أن النبى ﷺ قال : **يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ، ثم الشهداء** (١).

يشفع كل لأهل الكبائر على قدر مترلته عند الله تعالى ، والنبى محمد ﷺ أول من يفتح باب الشفاعة حين يشفع فى القضاء ، وهى الشفاعة العظمى المختصة به ، والتى يغبطه عليها الأولون ، والآخرون ، وهى المقام المحمود المذكور فى قوله تعالى ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾(٢) .

فعن أبى هريرة ﷺ قال : **سئل النبى ﷺ عن المقام المحموم فى الآية فقال : هو المقام الذى أشفع فيه لأمتى** (٣) .

وعن ابن عمر أن النبى ﷺ قال : **إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن ، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم فيقول لست بصاحب ذلك ثم بموسى فيقول كذلك، ثم بمحمد ﷺ فيشفع ليقضى بين الخلق، فيمشى حتى يأخذ بحلقة باب الجنة ، فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم** (٤).

وعن جابر ﷺ عن النبى ﷺ قال : **شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى** " (٥).

وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : **أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع ، وأول مشفع** (٦) .

١٠) الجنة :

هى دار المؤمنين المطيعين ، المستقيمين على الحـــق ، وقد أعدها الله لعبـــاده

---

(١) سنن ابن ماجة ، كتاب الزهد .

(٢) سورة الإسراء الآية ٧٩

(٣) أخرجه أحمد والترمذى والبيهقى فى الدلائل .

(٤) صحيح البخارى كتاب الزكاة

(٥) سنن الترمذى كتاب صفة القيامة باب فى الشفاعة جـــ٤ صـــ٦٢٥

(٦) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الفضائل ، باب فضل سيدنا محمد ﷺ جـــ١٥ صـــ٣٧

المخلصين لتكون مقر سعادتهم ، ومأواهم الجميل فى الحياة الآخرة بعد انتهاء الحساب وتحديد مصائر الخلق

وقد جاءت آيات عديدة ، وأحاديث كثيرة تتحدث عن الجنة ، وتفصل فيما يحدث فيها ، وتصورها بصورة تقرب حقيقتها للمكلفين .

يقول ابن القيم : ولما علم المؤمنون ما خلقوا له ، وما أريد بإيجادهم ، رفعوا رءوسهم ، فإذا عَلَم الجنة قد رفع لهم ، فشمروا إليه ، وإذا صراطها المستقيم قد وضح لهم فاستقاموا عليه ، ورأوا من أعظم الغبن بيع مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر فى أبد لا يزول ، ولا ينفد بصبابة عيش ، إنما هو كأضغاث أحلام ، وكطيف زار فى المنام ، مشوب بالنغص ، ممزوج بالغصص ، إن أضحك قليلاً أبكى كثيراً ، وإن سر يوماً أحزن شهوراً .

آلامه تزيد على لذاته ، وأحزانه أضعاف مسراته، أوله مخاوف وآخره متالف فيا عجباً من سفيه فى صورة حليم ، ومعتوه فى مسلاخ عاقل ، آثر الحظ الفانى الخسيس على الحظ الباقى ، وباع جنة عرضها السماوات والأرض بسجن ضيق ، بين أرباب العاهات، والبليات، ومساكن طيبة فى جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار ، بأعطان ضيقة آخرها الخراب، والبوار ، وأبكاراً عرباً أتراباً، كأنهن الياقوت، والمرجان بقذرات، دنسات، سيئات الأخلاق، مسافحات أو متخذات أخدان، وحوراً مقصورات فى الخيام بخبيثات مسيبات بين الأنام ، وأنهاراً من خمر لذة للشاربين ، بشراب نجس ، مذهب للعقل ، مفسد للدنيا والدين ، ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم ، بالتمتع برؤية الوجه القبيح الدميم ، وسماع الخطاب من الرحمن بسماع ، المعازف والغناء ، والألحان ، والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت ، والزبرجد يوم المزيد ، بالجلوس فى مجالس الفسوق مع كل شيطان مريد ونداء المنادى يا أهل الجنة إن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا ، وتحيوا فلا تموتوا ، وتقيموا فلا تظعنوا ، وتشبوا فلا تهرموا بغناء المغنين [١].

---

(١) حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح صـ٩

والجنة واسعة لأصحابها : يقول الله تعالى ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[١] ، وإن كان هذا عرضها فما بالك بطولها ؟

وللجنة ثمانية أبواب ، وعند كل باب توجد شجرة عظيمة ينبع من جذورها عينان تجريان أحدهما لشراب الداخلين ، والأخرى لتطهيرهـــم ، يقـــول الله تعالى ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾[٢] ، ويقول النبى ﷺ : وإذا شجرة على باب الجنة ينبع من أصلها عينان فإذا شربوا من إحداها جرت فى وجوههم نضرة النعيم ، وإذا توضأوا من الأخرى لم تشعث أشعارهم أبداً [٣] .

والداخلون الجنة يأتون إليها زمراً متتابعين ، يستقبلهم الملك "رضوان" خازن الجنة ، ومعه الملائكة الموكلون بالنعيم والإسعاد وهم يبشرون بالسلام الدائم ، والخير المطلق .

يقول الله تعالى ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴾[٤] .

ويقول تعالى ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[٥] .

وللجنة أسماء عديدة أشهرها ، الجنة ، ودار السلام ، ودار الخلد ، ودار المقامة وجنة المأوى ، وجنة عدن ، ودار الحيوان ، والفردوس ، والمقام الآمين .

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٣٣

(٢) سورة الإنسان الآية ٢١

(٣) الترغيب ، والترهيب جـ٤ صـ٤٩٤

(٤) سورة الزمر الآية ٧٣

(٥) سورة الأنبياء الآية ١٠٣

وأهل الجنة يتفاوتون فى النعيم بسبب تفاوتهم فى الصالحات ، يقول النبى ﷺ **إن أهل الجنة يتراءون فى الغرف من فوقهم ، كما يتراءون الكوكب الدرى الغابر فى الأفق من المشرق ، أو المغرب لتفاضل ما بينهم .**

قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم .

قال ﷺ : بلى ، والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله ، وصدقوا المرسلين (١)

ونعيم الجنة روحانى وجسمانى معاً ، ولا عبرة لمن يخالف ذلك لما يلى (٢) :

أولاً : أن الأرواح التى يراد بها النعيم لا يتم لها التنعيم الحقيقى إلا إذا كانت حالة فى أجسام تلائمها ، وتستقر فيها ، وتقوم بها ، ولذا فإنه لما أريد إنعام الشهداء وتكريمهم خلق الله لأرواحهم أجساماً خاصة تلائمها فتحل فيها ليتم لها النعيم .

ثانياً : أن الله سبحانه وتعالى الذى خلق الإنسان ، وخلق له كل ما يحتاج إليه من مطعم ، ومشرب ، وملبس ، قادر على أن يعيده بروحه ، وجسده ، ليبعث فى أكمل صورة ، وينعم بأقصى وجه .

وصورة الجنة فى القرآن الكريم ... جلية ، واضحة لها تأثيرها الكبير ، ولذلك أحببت أن أدع المسلم أمام صورة الجنة فى القرآن الكريم .

صورة الجنة فى القرآن الكريم :

والآيات كثيرة فى وصف الجنة ، وقد سبق إيراد كثير منها ، وأورد هنا بعضاً آخر ... يقول الله تعالى ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ

---

(١) صحيح البخارى كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء فى صفة الجنة جـ٥ صـ٢٩٠ ، ٢٩١

(٢) عقيدة المؤمن صـ٣٦٤

رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾[1]

وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2]

وقال تعالى ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾[3]

---

(١) سورة الرحمن الآيات من ٤٦ إلى ٦٠

(٢) سورة الطور الآيات من ١٧ إلى ٢٨

(٣)سورة الإنسان الآيات من ١٢ إلى ٢٢

وقال تعالى ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ۝ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾(١)

١١) النـــار :

النار مأوى العصاة ، والكافرين ، وبعد المحشر تبرز النار ، وتظهر للناس ، وبخاصة للغاوين الضالين ، وتبقى على بروزها حتى يأتي إليها مستحقوها المعذبون.

وتنقسم النار إلى دركات متعددة بعدد منازلها السبع التي ذكرها القرآن الكريم وهي (جهنم ، ولظى ، والحطمة ، والسعير ، وسقر ، والجحيم ، والهاوية) .

والمستحقون للنار يأتون إليها أفواجاً أفواجاً ، وحين يقتربون منها تخرج منها عنق تجذبهم إليها ، وتلتهمهم .

يقول النبي ﷺ : **تخرج عنق من النار يوم القيامة لها عينان تبصران ، وأذنان تسمعان ، ولسان ينطق ، يقول** : **إني وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد ، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر ، وبالمصورين ، وتساق تلك الزمر إلى جهنم حتى إذا وصلوها وجدوا أبوابها مغلقة فتفتح لهم ، ويدفعون إليها دفعاً عنيفاً** (٢).

وحينئذ تحيط النار بأصحابها ، فيعيشون في العذاب الأليم الشديد ، تحيطهم سلاسل الحديد ، والحيات ، والعقارب ، لا يأكلون إلا ما يعذبهم ، ولا يشربون إلا ما يؤلمهم

وأهل النار يظهرون بصورة سيئة ، ومنظر قبيح ، وبكاء طويل .

ومن المعلوم أن عذاب العصاة يتفاوت بحسب معاصيهم .

وقد وصف الله النار في القرآن فقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾(٣)

---

(١) سورة الحجر الآيتان ٤٧ ، ٤٨

(٢) سنن الترمذي صفة جهنم ، باب ما جاء في صفة النار جـ٤ صـ٧٠١

(٣) سورة النساء الآية ٥٦

وقال تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴾[1] .

وقال تعالى ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2]

وقال تعالى ﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُواْ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴾[3] .

وقال تعالى ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[4] .

---

(١) سورة غافر الآيتان ٤٩ ، ٥٠

(٢) سورة الشعراء الآيات من ٩١ إلى ١٠٢

(٣) سورة ص الآيات من ٥٥ إلى ٦٤

(٤) سورة الكهف الآية ٢٩

وقال تعالى ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾[1] .

---

(١) سورة الواقعة الآيات من ٥١ إلى ٥٦

ـ المبحث السادس ـ
الإيمان بالقضاء والقدر

الإيمان بالقضاء والقدر هو اليقين التام بأن كل شئ يقع فى الكون يكون بقضاء الله ، وفق تقديره ، وإرادته ، والإيمان بالقضاء والقدر مرتبط ، بتوحيد الله تعالى ... فما دام الإنسان قد آمن بالربوبية فقد صدق بقدرة الله ، وآمن بقضائه النافذ فى كل سائر خلقه ، وما دام آمن بالألوهية فقد توجه إلى الخالق بكل شئ ، مستسلماً ، عابداً وما دام قد آمن بتوحيد الأسماء ، والصفات ، فقد نفى عن الله تعالى الشريك وأعلن تفرده سبحانه وتعالى فى ذاته ، وأسمائه وصفاته ، وأفعاله .

والآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية تشير إلى أن كل شئ بقضاء الله ، وقدره ، لتفتح الحقيقة أمام العبيد ليؤمنوا بها ، لأنها ركن من أركان الإيمان .

يقول الله تعالى ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾(١) .

وقال تعالى ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾(٢) .

وقال تعالى ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾(٣) .

ويقول تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾(٤)

---

(١) سورة التغابن الآية ١١

(٢) سورة التوبة الآية ٥١

(٣) سورة الحديد الآية ٢٢

(٤) سورة آل عمران الآية ١٤٥

وقال تعالى ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾[١] .

وقال تعالى ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾[٢] .

وأما الأحاديث فكثيرة ، فى مقدمتها حديث " **هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم** " إذا جاء فيه " **وما الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، اليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره ، وشره** [٣].

ويقول الرسول ﷺ : " **اعملوا فكل ميسر لما خلق له** "[٤] .

ويقول : " **المؤمن القوى خير وأحب إلى الله عز وجل من المؤمن الضعيف وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شئ فلا تقل : لو أنى فعلت لكان كذا ، وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان** "[٥] .

وعن حذيفة بن أسيد يبلغ به النبى ﷺ قال : "**يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر فى الرحم بأربعين ، أو خمسة وأربعين ليلة ، فيقول ، يا رب أشقى ، أو سعيد؟ فيكتبان ، فيقول : أى رب ذكر أو أنثى ؟ فيكتبان : ويكتب عمله ، وأثره ، وأجله ، ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص** "[٦] .

والإيمان بالقدر على الوجه الصحيح خير حافز على السعى ، والعمل فى طمأنينة وثبات ، لأن المؤمن يقدم على العمل متوكلاً على الله ، مستعيناً بمعونته ملتزماً بطاعته ويترك نتائج العمل لله تعالى ، فلا ييأس حين الفشل ، ولا يغتر إذا نجح ، ويعيش راضياً

---

(١) سورة الرعد الآية ٨

(٢) سورة القمر الآية ٤٩

(٣) سنن الترمذى كتاب الإيمان جـ٥ صـ٧

(٤) صحيح مسلم كتاب القدر جـ١٦ صـ١٩٧

(٥) صحيح مسلم ، كتاب القدر ، باب الإيمان للقدر جـ١٦ صـ٢١٥

(٦) صحيح مسلم ، كتاب القدر ، باب خلق الآدمى فى بطن أمه جـ١٦ صـ١٩٣

مما قدر الله ، وبما قضى فيه ، وشعاره فى كل ما يصيبه قول الله تعالى ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾(١) .

وقوله تعالى ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾(٢) .

إن الإيمان بالقضاء والقدر يمنع التواكل ، والكسل ، ويؤكد على الجهاد والعمل .

ولا عبرة لمن يكسل ، ولا يعمل ، بدعوى أن القدر نازل ، وقضاء الله نافذ .. لأن ما قضى الله به غيب قبل حدوثه ، ولذلك فإن المؤمن عليه أن يعمل الخير ، ويسعى بالمعروف ، ويطيع الله تعالى فى كل أعماله ، وأهواله مؤمناً بأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، وقد أمر الله تعالى بالسعى ، والعمل ، والاستقامة على منهجه سبحانه وتعالى ، يقول الله تعالى ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) .

ويقول تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (٤) .

ويقول تعالى ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ (٥)

والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم

---

(١) سورة التوبة الآية ٥١

(٢) سورة الحديد الآيتان ٢٢ ، ٢٣

(٣) سورة التوبة الآية ١٠٥

(٤) سورة النحل الآية ٩٧

(٥) سورة الزلزلة الآية ٧ ، ٨

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، الذى بنعمته تتم الصالحات ، وبفضله يعطى الخيرات وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ،

فقلد أعاننى الله تعالى على إتمام هذه الدراسة فى أصول الدعوة الإسلامية ، وتمكنت بقدر استطاعتى من معايشة القرآن الكريم ، والسنة النبوية أعرف منهما الأصل ، وأستنبط منهما منهج الوحى فى الاستدلال بما فيه من إقناع العقل ، وإشباع العواطف ، وإرضاء الوجدان .... ومعايشة الإنسان المخلوق حتى يتحول العلم بالأصول إلى عمل ، وتطبيق ، ويتحول المجتمع إلى كتلة من الصلاح ، تمثل خير أمة أخرجت للناس .

إن منهج الوحى فى الاستدلال يتميز عن سواه بأنه يخاطب الإنسان بكافة عناصره ، ولا يكتفى بمجرد الجدل ، والنقاش ، وإنما يحقق الغاية المقصودة من الخطاب ....

وعلى الدعاة :

أن يستفيدوا من خطاب الوحى للناس ، ويستنبطوا منه العبرة ، والعظة ، وأن يضموا إلى دقة الاستنباط سعة القراءة ، ومراعاة الواقع ، وقصد الوصول للهدف .

وعلى الدعاة :

أن يعلموا أهمية علوم الدعوة ، فهى أسلحة فى أيديهم تمكنهم من الفوز ، والنجاح ... ومسئوليتهم أمامها ليست مجرد الإحاطة ... بل عليهم أن يساهموا فى إثرائها بالبحث ، والتأليف ، والمدارسة ، والنصح .

وأخيراً ،،،

فهذا ما رجوته فإن أصبت فهو من الله ، وإن أخطأت فهو منى ، وأستغفر الله وحسبى أنى بذلت وسعى ، والله يهدى إلى سواء السبيل .

المؤلف ،



فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة
المقدمـــة	٧

الفصـــل الأول

تحديد المفاهيم

التمهيـــد	١٥
المبحث الأول : التعـريف اللغوى للـدعـــوة	١٦
المبحث الثانى : التعريف الاصطلاحى للدعـــوة	٢١
– بمعنى الإســـلام	٢٣
– بمعنى النشر والبلاغ	٢٥
المبحث الثالث : المفهوم المراد من كلمة أصـــول	٢٩
المبحث الرابع : التعريف الاصطلاحى لأصول الدعوة الإسلامية	
– بمعنى أصول الإسلام	٣٢
– بمعنى أصول التبليغ	٣٩

الفصل الثانى

الركائز الإيمانية فى الإنسان

التمهيـــد	٤٥
المبحث الأول : التعريف بالدين وبيان مدى الحاجة إليه	٤٧
المبحث الثانى : الفطرة ركيزة إيمانية فى الإنســان	٥٨
المبحث الثالث : العقل ركيزة إيمانية فى الإنســان	٦٦

الفصل الثالث

مميزات الدعوة الإسلامية " الإسلام "

التمهيـــد : ٧٧

المبحث الأول : الدعـــوة التامـــة ٧٨

المبحث الثاني : الدعـــوة الخاتمـــة ٨٣

المبحث الثالث : الدعـــوة العالميـــة ٩٠

الفصل الرابع

أصول الرسالات الإلهية السابقة

التمهيـــد : ١٠٧

المبحث الأول : الإيمـــان بالله تعـــالى : ١٠٨

- عقيدة البشر قبيل الرســـالات ١٠٨
- مفهوم التوحيد وأدلة الرسل عليه ١١٧

المبحث الثاني : إثبـــات الرســـالة ١٢٧

المبحث الثالث : إثبـــات البـــعث ١٣٠

المبحث الرابع : إثبات أصول العبـــادات ١٣٧

المبحث الخامس : الاهتمام بمكارم الأخـــلاق ١٤٥

- بدء الـــدعوة بالأخـــلاق ١٤٦
- التطبيـــق العمـــلي ١٥٣
- التركيز على الرذائل المتفشية ١٥٨
- بيـــان عاقبـــة الأخـــلاق ١٦٠

الفصل الخامس

أصول الدعوة الإسلامية " الإسلام "

التمهيـــــد : ١٦٥

المبحث الأول : الإيمان بالله تعالى ١٦٧

- توحيـــد الله ١٦٧

- الأدلة العقلية ١٧١

السببية ١٧١

النظام ١٧٥

العناية ١٧٨

التسخير ١٧٩

الحدوث ١٨٢

الإمكان ١٨٢

الأدلة الدينية " وأهميتها " ١٨٣

الخطاب المباشـــــر ١٨٤

إرسال الرسول ﷺ ١٨٦

قيام الدعاة بالتبليغ ١٨٦

أنواع التوحيـــد ١٨٧

توحيد الذات والصفات ١٨٧

توحيـــــــــد الربوبية ١٨٧

توحيـــــــــد الألوهية ١٨٩

المبحث الثانى : الإيمان بالمـــلائكـــــة :

- الإيمان بالملائكة ١٩١

- أصـــل الملائكة ١٩٣
- تنـــوع الملائكة ١٩٤
- من صفات الملائكة ١٩٨

الجـــن : ٢٠٠
- أســـماء الجن ٢٠١
- تشـكل الجـــن ٢٠٢
- مســاكن الجن ٢٠٣
- طعـــام الجن ٢٠٤
- تكليف الجـــن ٢٠٤
- صلة الجن بالإنسان ٢٠٥
- الاحتراز من الجـن ٢٠٦

المبحث الثالث : الإيمان بالكتب الإلهية ٢٠٧
- الكتب المتعلقة بالإيمـــان التفصيلى ٢٠٧
- الكتب الإلهية والتحــريف ٢٠٩
- الشروط الواجبة لصحة الكتاب المقدس ٢٠٩
- مصادر اليهود وهذه الشــروط ٢١٠
- مصادر النصارى وهذه الشــروط ٢١٤
- القرآن الكريم وهذه الشــروط ٢١٨

المبحث الرابع : الإيمان بالرسل ٢٢٠
- الرســول والنبى ٢٢٠
- الحاجة إلى الرســل ٢٢٢
- معجزات الرســل ٢٢٥
- خصوصيات محمد ﷺ ٢٢٨

المبحث الخامس : الإيمان باليوم الآخر : ٢٣٠

- أسماء اليوم الآخر ٢٣٢
- الحكمة من تعدد أسماء اليوم الآخر ٢٣٧
- أهم علامات الساعة الصغرى ٢٣٩
- أهم علامات الساعة الكبرى : ٢٤٢
١) الدخان ٢٤٣
٢) طلوع الشمس من المغرب ٢٤٣
٣) خروج الدابة ٢٤٤
٤) خروج المسيخ الدجال ٢٤٤
٥) نزول المسيح عيسى عليه السلام ٢٤٦
٦) يأجوج ومأجوج ٢٤٧
- مشتملات اليوم الآخر : ٢٥٠
١) النفخ فى الصور ٢٥٠
٢) البعث ٢٥٠
٣) الحشر ٢٥٢
٤) الحساب ٢٥٥
٥) صحائف الأعمال ٢٥٩
٦) الميزان ٢٥٩
٧) الصراط ٢٦١
٨) الحوض ٢٦٢
٩) الشفاعة ٢٦٣
١٠) الجنة ٢٦٤
١١) النار ٢٦٩
- من صور الجنة فى القرآن الكريم ٢٦٧
- من صور النار فى القرآن الكريم ٢٦٩

المبحث السادس : الإيمان بالقضاء والقدر ٢٧٢

الخـــــاتمــــة ٢٧٥

الفهــــــــرس ٢٧٧

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،